بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

شعر الهدايا في العصر العباسي

(١٣٢ – ٤٠٠ هـ)

The "Poetry of Gifts" in the Abbasid Era

(132- 400 A.H)

إعداد:

عدنان عبود موسى الحراحشة

إشراف الدكتور:

محمّد محمود الدروبي

الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م

شعر الهدايا في العصر العباسي
(١٣٢ – ٤٠٠ هـ)

The "Poetry of Gifts" in the Abbasid Era

(132- 400 A.H)

إعداد:

عدنان عبود موسى الحراحشة

إشراف الدكتور:

محمّد محمود الدروبي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتور محمّد محمود الدروبي	مشرفاً ورئيساً	
الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي	عضواً	
الأستاذ الدكتور يوسف بكار	عضواً	
الدكتور عبد الرحمن الهويدي	عضواً	

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ: ١٦/١/٢٠٠٦م

الإهـداء

إلى والدي الحبيب وإلى والدتي الغالية

أمدّ الله في عمرها...

وإلى زوجتي العزيزة أم أنس

وأبنائي الأعزاء أنس وإبراهيم ومحمد

ومعاوية وقتيبة،

أمد الله في أعمارهم..

شكر وتقدير ،،

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: **﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾** [إبراهيم: ٧]

صدق الله العظيم

فأحمد الله وأشكره على توفيقه لي في إتمام هذا العمل وأتقدم بالشكر أجزله وبالامتنان أوفاه إلى الدكتور محمد محمود الدروبي الذي شرّفني بالإشراف على هذه الرسالة ورعاها بكل صدق وإخلاص وأمانة، ولم يبخل بجهده ووقته، فجهده موصول في كل مرحلة من مراحل إعداد هذا العمل وإنجازه، فجزاه الله عني خير جزاء، ومتعه بموفور الصحة والعافية.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة لتكرمهم بمناقشة هذه الرسالة، وإبداء ملاحظاتهم القيمة، الأستاذ الدكتورعبد الجليل عبد المهدي والأستاذ الدكتور يوسف بكار والدكتور عبد الرحمن الهويدي.

ويسعدني أن أشكر إلى كل من وقف إلى جانبي وساندني عبر رحلتي في هذا البحث، وأخصّ والديّ العزيزين اللذين كان دعاؤهما المتواصل خير معين يمدني بالعزيمة والمثابرة والتصميم على مواصلة الجهد، وكذلك جميع إخواني وأخواتي، وإن أنسى فلا أنسى أفراد عائلتي زوجتي أم أنس وأبنائي أنس وإبراهيم ومحمد ومعاوية وقتيبة الذين صبروا وضحوا وهيأوا لي أفضل الظروف للبحث والتحصيل، وكذلك أشكر أصدقائي فلهم جميعاً عظيم الشكر والتقدير.

الباحث

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخص بالعربية	ح
المقدمة	١-٢
التمهيد	٣-١٨
الفصل الأول: دواعي ازدهار الهدايا في العصر العباسي وارتباطها بالواقع الاجتماعي	١٩-٥٣
دواعي ازدهار الهدايا في العصر العباسي	٢٠-٢٤
ارتباطها بالواقع الاجتماعي	٢٤-٢٥
ارتباطها بالأعياد الإسلامية	٢٦-٢٧
ارتباطها بالأعياد الفارسية	٢٩-٣٩
١- النيروز	٢٩-٣٨
٢-المهرجان	٣٨-٣٩
ارتباطها بالمناسبات الاجتماعية	٤٠-٥٣
١- الزواج	٤٠-٤١
٢- الختان	٤١-٤٢
٣- الشفاء	٤٣-٤٨
٤- الحج	٤٨-٥٣
الفصل الثاني: المعاني المشتركة في شعر الهدايا	٥٤-١١٨

١- طلب الهدية	٥٦-٧٠
٢- قبول الهدية	٧٠-٧٢
٣- الشكر على الهدية	٧٢-٧٦
٤- الاعتذار على الهدية	٧٦-٧٩
٥- ذم الهدية	٨٠-٨٢
٦- رد الهدية	٨٢-٨٧
٧- وصف الهدية	٨٧-١٠٣
٨- الهدية والغزل	١٠٣-١١٢
٩- الهدية والمدح	١١٢-١١٨
الفصل الثالث: الخصائص الفنية	١١٩-١٧٨
الأسلوب (النداء)	١٢٠-١٢٢
الأمر	١٢٣-١٢٦
التكرار	١٢٦-١٢٨
الإطناب	١٢٨-١٢٩
الشرط	١٣٠-١٣١
الألفاظ والمعاني	١٣١-١٣٤
الصنعة	١٣٤-١٣٥
١-الطباق	١٣٥-١٣٨
٢- الجناس	١٣٨-١٤١
٣- الالتفات	١٤١-
الصورة	١٤١-١٥٢
الألوان	١٥٢-١٥٤
الأوزان والقوافي والموسيقا	١٥٤-١٥٧

القافية	١٥٧-١٦٠
الموسيقا	١٦٠-١٦٣
الخاتمة	١٦٤-١٦٥
المصادر والمراجع	١٦٦-١٧٥
الملخص باللغة الإنجليزية	١٧٦-١٧٧

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة شعر الهدايا في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع دراسة موضوعية وفنية، فالاهتمام بالهدايا ظهر منذ القدم، ولكنه نضج وازدهر في العصر العباسي، فقد بدأ الاهتمام بالهدايا قبل الإسلام من خلال الاهتمام بمظاهر الحضارة من تحف ومظاهر الزينة من جواهر وحلي، ولم تقتصر الهدايا على أدوات الزينة والحلي والجواهر، إنما نلاحظ أنها تنوعت لتشمل كثيراً من الأشياء الثمينة والرخيصة التي يمكن أن تكون هدية مقبولة.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، أما التمهيد فتناول مفهوم الهدية لغة واصطلاحاً، والفرق بين الهبة والهدية، والعطية والهبة والرشوة، وقد تحدثت عن الهدايا عند الأمم الأخرى، وعن الهدايا في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، وتحدث الفصل الأول من الدراسة عن ازدهار الهدايا في العصر العباسي وارتباطها بالواقع الاجتماعي، كما تتناول هذه الدراسة ارتباط الهدايا بالأعياد الإسلامية والأعياد الفارسية والمناسبات الاجتماعية.

وأما الفصل الثاني فتناول الباحث الموضوعات، والمعاني المشتركة في شعر الهدايا، وتطرق إلى الحديث عن طلب الهدية، وقبولها، والشكر عليها، والاعتذار عنها، وذمها، وردها، ووصفها، والهدية والغزل، والهدية والمدح.

وأما الفصل الثالث فجاء دراسة فنية لشعر الهدايا من حيث الأسلوب وعرضت في ذلك الأسلوب الإنشائي كالنداء والأمر وقد عرضت التكرار والألوان والإطناب وأسلوب الشرط والصفة وتناولت منها الطباق والجناس والسجع والالتفات والصورة، وقد تناولت كذلك الألفاظ والمعاني والأوزان والقوافي والموسيقا. ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

ففي العصر الجاهلي لا يكاد المرء يلمس في الشعر الجاهلي أشعاراً قيلت بمناسبة تقديم الهدايا سوى إشارات بسيطة جداً.

أما في صدر الإسلام فقد ازدهر شأنها بعد أن سنّ الرسول ﷺ قبول الهدية، أما في العصر العباسي فلقيت الهدايا نشاطاً ملموساً في ذلك العصر، وكانت العادات جارية في أن تتهادى العامة والخاصة ضروباً وألواناً من الهدايا المختلفة كالأطعمة والأشربة، والملابس، فضلاً عن الهدايا الرمزية.

كان الوصف انعكاساً للصور الجميلة كصورة المجتمع التي تكشف عن الثراء والترف، واتسم شعر الهدايا بخصائص أسلوبية وفنية مميزة تحمل ألواناً من الفن التي تدل على مقدار ما وصل إليه الشعراء من دقة ومهارة في الألفاظ وبروز المحسنات البديعية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فتُعد الهدايا لوناً مهماً من ألوان المبادلات الاجتماعية التي عرفها الجنس البشري منذ زمن بعيد، وقد يكون من دليل على ذلك تلك الإشارة التي تطالعنا في القرآن الكريم من هدية ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام، فضلاً عما تتضمنه التوراة والإنجيل من إشارات إلى هذا اللون من العلائق الاجتماعية التي سادت في المجتمعات الإنسانية المتحضرة آنذاك.

وقد شكل تبادل الهدايا، على اختلافها، مظهراً من المظاهر الحضارية لدى الأمم والشعوب القديمة كالهنود والصينيين والفرس واليونان والفرنج والفراعنة، فضلاً عن العرب الذين تبادلوا الهدايا قبل منبثق الإسلام.

وازدهر شأن الهدايا في الإسلام بعد أن سنّ الرسول ﷺ قبول الهدية، وندب إلى تبادلها؛ لما تحققه من نمو العلاقات العاطفية القائمة على المودة بين المتهادين، ورتبت الشريعة أصول الهدية وقواعدها، ووضعت حدوداً فاصلة بين الهدية والعطية والرشوة والصدقة، وأضحت الهدايا ملمحاً اجتماعياً حاضراً في صدر الإسلام والعصر الأموي، وكانت تتبادل بين سائر أوساط المجتمع، فقد تبادلها الأصدقاء والخلان والعشاق والمحبون، مثلما تبادلها العلماء والفقهاء والقضاة والقواد والأمراء والخلفاء، كما تبادلتها النساء والرجال سواء بسواء.

ومع نمو المجتمع وتحضره، تجذرت الهدية أكثر فأكثر في العصر العباسي، وكانت العادة جارية في أن يتهادى العامة والخاصة ضروباً وألواناً من الهدايا المختلفة، كالأطعمة، والأشربة، والملابس، وأدوات الزينة، والحيوانات والطيور، فضلاً عن الهدايا الرمزية كالزهور والورود والرياحين والعطور والألطاف والتحف الفنية، وكانت الهدية تتبادل أكثر ما يكون في المناسبات السعيدة، خاصة وعامة، كالأعياد الإسلامية والفارسية، والمواسم، والزواج، والختان، والفصد، والإنجاب، والقدوم من السفر، والعودة من الحج، إلى غير ذلك من المناسبات الدينية والاجتماعية، وكثيراً ما تجاوزت الهدية حد المناسبة، فكانت تتبادل من غير مناسبة تدعو إليها.

وقد ارتبط الأدب بالمظهر الاجتماعي، شعراً ونثراً، ارتباطاً وثيقاً، فقد كان المتهادون يشفعون هداياهم برقعة شعرية أو نثرية، تصف الهدية، وتعتذر عن التقصير، وتلتمس قبولها، وتمدح المُهدي إليه إلى غير ذلك من المضامين التي يهتم الدارس بها في هذه الدراسة، وقد شكلت هذه الرقاع، بأنواعها، مادة أدبية جيدة، صورت الحياة الاجتماعية، وأوضحت طبيعة

الأنماط الاجتماعية. ونظراً لكثرة الهدايا وانتشارها على صعيد واسع في البيئات العباسية، فقد شكلت مادة الهدايا مبعثاً للمؤلفين العرب القدامى على وضع مؤلفات تناولت الموضوع منها: كتاب الهدايا للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وكتاب الهدايا لأحمد طيفور (ت ٢٨٠هـ)، وكتاب الهدايا للجنديسابوري (ت ٢٩٧هـ)، وكتاب الهدايا للخالديين (ت ٣٦٠هـ/ ٣٧٠هـ)، وكتاب الهدايا للمرزباني (ت ٣٨٤هـ)، وكتاب الهدايا للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وغيرها.

تقوم الدراسة على تحديد مفهوم شعر الهدايا أولاً؛ لمعرفة حدود الموضوع المختلفة وتعين مصادره، وتعمد من ثم إلى تناول المضامين بالنظر إلى المادة الشعرية التي قيلت في التعبير عن الموضوع، فهي تأخذ بالمنهج الاستقرائي في قراءة الظاهرة وتتبع ملامحها، كما تستند إلى المنهج التحليلي في تناول النص الشعري، وتبين ملامحه وقضاياه والمضامين التي عبر عنها، كما تفيد الدراسة من معطيات المنهج الجمالي في الكشف عن جماليات النص وسماته الفنية، ورغبة في معرفة مدى التطور الذي داخل شعر الهدايا في العصر العباسي، تأخذ الدراسة نفسها بالوقوف عند أبعاد الظاهرة قبل العصر العباسي، تمهيداً لإجراء المقارنات اللازمة لتحقيق هذا المطلب.

تقوم هذه الدراسة على ثلاثة فصول؛ خصص الأول منها للحديث عن تطور الهدايا في العصر العباسي وارتباطها بالواقع الاجتماعي وتعبير الشعر عن هذا الواقع وارتباطها بالواقع الاجتماعي وارتباطها بالأعياد الإسلامية والأعياد الفارسية فضلاً عن المناسبات الاجتماعية الأخرى.

أما الفصل الثاني، فقد تناول المعاني المشتركة في شعر الهدايا، وتناول الحديث الموضوعات التي طرقها شعر الهدايا كطلب الهدية وقبولها، والشكر عليها والاعتذار عنها وذمها وردها ووصفها، والهدية والغزل، والهدية والمدح.

أما الفصل الثالث فقد اختص بالدراسة الفنية لشعر الهدايا، وقامت الدراسة على تناول أهم السمات من ناحية البناء الفني والملامح الأسلوبية والموسيقى، وختمت الدراسة بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها. وبعد فقد قدمت جهد مقل من غير ادعاء بالكمال، فالكمال لله وحده، فإنني بذلت جهداً، فإن وفقت فيه إلى الصواب، فمن الله وحده وإن يكن غير ذلك فمن نفسي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التمهيد

مفهوم الهدية ووجودها عند الأمم

أولا: مفهوم الهدية:

عند الحديث عن مفهوم الهدية، لا بد من تناول ما يَتَعلق بالهدية من جهتي: اللغة والاصطلاح، مع النظر إلى ورودها في القرآن الكريم والحديث الشريف، والتمييز بينها وبيَّن مقابلات لها في الدلالة كالهبة، والعطية، والرشوة. ولابدّ ابتداءً من عرض مفهوم الهدية لغة، فقد جاء في الصحاح معنى الهدية (التهادي) أن يهدي الناس بعضهم إلى بعض[١].

وجاء في لسان العرب لفظ الهدية في باب (هدي)، قال ابن منظور: والهدية: ما اتحفت به، يقال: أهديت له وإليه. وفي التنزيل العزيز: ﴿**وإني مرسلة إليهم بهدية**﴾[٢]، والتهادي: أن يهدي الناس بعضهم إلى بعض. وفي الحديث: تهادوا تحابوا[٣]، والجمع هدايا وهداوى، وهي لغة أهل المدينة، وهداوي وهداء؛ أما هدايا فعلى القياس أصلها هدائي، والمِهْدي: الإناء الذي يهدى فيه مثل الطبق ونحوه؛ قال:

مِهْدَاك الأم مِهْدى حين تنسبُهُ فقيرة أو قبح العضد مكسور

ولا يقال للطبق مهدى إلا وفيه ما يُهدى وامرأة مِهداءٌ، إذا كانت تهدي لجارتها، والهداء: مصدر قولك هدى العروس، وهدى العروس إلى بعلها هِداء وأهداها واهتداها؛ والهدي: الأسير؛ فالمرأة سميت هدياً لأنها كالأسير عند زوجها[٤].

وقد ورد مفهوم الهدية في المعجم الوسيط في معنى ما يقدمه القريب أو الصديق من التحف والألطاف[٥].

ويتبين مما سبق أن الهدية تطلق في اللغة على كل ما يقدمه الناس إلى بعضهم من ألطاف.

وأما الهدية في الاصطلاح، فهي تتفق مع معناها اللغوي، وقد رأى العسكري أنها نوع من صلة الأرحام، والتواد بين الأقارب، وهي بذلك تصفي النفوس ، وتضفي عليها ثوباً من

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، **مختصر الصحاح**، ط١، مكتبة النوري، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٦٩٣. ، (مادة هدي).

(٢) **سورة النمل**، الآية ٣٥.

(٣) الرازي، **مختصر الصحاح**، ص ٦٩٣.

(٤) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل المعروف بابن منظور، (ت ٧١١هـ/١٣١١م) **لسان العرب**، قدم له عبد الله الغلايني، إعداد: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، مجلد ٣، ص٧٨٨ (مادة هدي).

(٥) إبراهيم أنيس، **المعجم الوسيط**، ط٤، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ج٢، ص٩٧٨-٩٧٩. (مادة هدي).

المحبة، والتلاطف بينهم[١].

أمّا الفرق بين الهبة والهدية، فإنّ الهدية ما يتقرب به المُهدى إلى المهدى إليه، وليس كذلك الهبة، ولهذا لا يجوز أن يقال إن الله يهدي إلى العبد، كما يقال إنه يهب له[٢]، قال تعالى **﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾**[٣]، وتقول أهدى المرؤوس إلى الرئيس ووهب الرئيس للمرؤوس، وأصل الهدية من قولك هدى الشيء إذا تقدم، وسميت الهدية هدية لأنها تقدم أمام الحاجة. والهبة عطية منفعة تفضل بها على صاحبك، ولذلك لم تكن عطية الدين ولا عطية الثمن هبة، وهي مفارقة للصدقة لما في الصدقة من معنى تضمن فقر صاحبها لتصديق حاله فيما يبني حاله من فقره، وأما الفرق بين العطية والجائزة، فهو أن الجائزة ما يعطاه المادح وغيره على سبيل الإكرام، ولا يكون إلا ممن هو أعلى من المعطى، والعطية عامة في جميع ذلك، أما الرشوة فهي ما يعطاه الحاكم أو المسؤول من غير وجه حق[٤]، وقد نهى عنها قال النبي ﷺ بقوله: "لعن الله الراشي والمرتشي"[٥].

أما الفرق بين الإعطاء والهبة، فهو أن الإعطاء اتصال الشيء إلى الأخذ له، ألا ترى أنك تعطي زيداً المال ليرده إلى عمرو وتعطيه ليتجر لك به، والهبة تقتضي التمليك، فإذا وهبته له فقد ملكته إياه[٦].

ومعنى ذلك أن الهدية ما اتحفت به غيرك من الألطاف والطرائف، وسُميت بهذا الاسم لأنها تُقدّم أمام الحاجة، فكأنها تهدي صاحبها إلى ما يريد، وواضح من كلام العسكري أن عطايا الأكفاء أو من دونهم إليهم هي ما تسمى بالهدية. أما عطايا الأعلى إلى الأدنى فتسمى بالهبة.

وقد ذكر الهدية الراغب الأصفهاني في كتابه "مجمع البلاغة"، فقال: "الهدية واللطفة والنُجْفة، تَسلُّ السخائمَ، وتدفع المغارمَ، وتغلب السلطانَ، وترضي الغضبانَ، والهدية هداية،

---

(١) العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، **ديوان المعاني**، عالم الكتب، د. ت، ج١، ص٢٥٣.

(٢) العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، **الفروق اللغوية**، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٣٧-١٤٢.

(٣) **سورة مريم**، الآية ٥.

(٤) العسكري، **الفروق اللغوية**، ص ١٤١.

(٥) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج٥، ص ١٦٨.

(٦) محمد عثمان الملا، **الهدية في الشعر العباسي**، **مجلة المنهل**، العدد ٤٤٧، مجلد ٤٨، السنة ٥٣، محرم ١٤٠٧هـ/ سبتمبر ١٩٨٦م، ص٦١.

الرشوة رِشَاء، واللطفة عَطْفَة، والهدايا ولايا القلوب"[١].

وواضح أن الراغب يتحدث عن فوائد الهدية، فهي تضفي على القلوب المحبة والمودة وتزيل الحقد والكراهية وتلين القلوب.

كما يبين أيضاً أن الهدية تنتشر بين الناس، فمنها ما يكون غرضه الكسب والمصلحة الخاصة، وهنا تكون أقرب إلى الرشوة، ويكون هدفها الكسب، متخذاً الهدية وسيلة للمنفعة الخاصة. ولم ترد الهدية في القرآن الكريم إلاّ مرتين، في سياق واحد لقصةٍ واحدة، في سورة واحدة، فقد وردت مرتين في سورة النمل، في سياق قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ.

فقد اكتشف (الهدهد) أرض (سبأ) وتعجب من عبادة القوم فيها للشمس من دون الله، وكلّفهُ (سليمان) عليه السلام أن يوصل كتاباً إلى ملكتهم، يدعوها فيه إلى التوحيد. فلمّا رأت الكتاب خافت وفزعت، وعرضت الأمر على (الملأ) من قومها، فتركوا الأمر لها، وفوّضوها بالتصرف[٢].

استعملت (الملكة) سلاحاً ناجعاً في الرد على كتاب سليمان عليه السلام ودعوته، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣].

وعندما نُنعم النظر في هذا السياق، نعرف الإيحاءات والظلال التي يُلقيها لفظ "الهدية"، فقد استعملت ملكة "سبأ" سلاح "الإغراء بالمال" أو الرشوة لتقف به أمام رسالة "سليمان" عليه السلام. وقد أطلقت على هذه الرشوة كلمة "هدية" لأن اسم الرشوة صريح مكشوف، قد ينفر منه الراشون والمرتشون، فيلجأون إلى اسم مموهٍ، وهو الهدية[٤].

وقد وردت كلمة " الهدية " في القرآن الكريم في سياق الذم، وليس معنى هذا أن الهدية مذمومة دوماً، لكنها مذمومة إذا كانت رشوة، ومحمودة إن كانت هدية لوجه الله، لورود أحاديث صحيحة تأمر بها وتحثّ عليها ، وقد كانت ملكة "سبأ" أوّل من حرَّف وزوَّر وتلاعب

---

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) **مجمع البلاغة**، تحقيق: عمر عبد الرحمن الساريسي، مكتبة الأقصى، عمان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج١، ص٤١٩-٤٢٠.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **لطائف قرآنية**، ط١، دار دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١١٦-١١٧.

(٣) **سورة النمل**، الآيات ٣٥-٣٧.

(٤) الخالدي، صلاح، **لطائف قرآنية**، ص١١٦ -١١٧.

بالمصطلحات، حيث أطلقت على الرشوة كلمة "هدية"، ثم سار المحرّفون المزورون على طريقتها، فصاروا يسمّون الرشاوى هدايا(١).

قال كشاجم في منزلة الهدية ودلالاتها الهدية:

إنّ هدايا الرجال مُخْبِرةٌ عن قدرهم قلّلوا أو احتفلوا(٢)

فالمرء يعرف بفضل هديته، كما تعرف سخافته بسخافة هديته، وقيل: ثلاثة تدل على عقول أربابها: الهدية والرسول والكتاب. وقد قال الله تعالى عن بلقيس أنها قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣).

فجعلت جواب الهدية ذلك، ويرى كشاجم في بيته أن الهدية تعبر عن الرجال ومخبرهم سواء أكانت قليلة أو ثمينة، وهي تشير بطريقة أو بأخرى عن صاحبها، وهذا البيت عبَّر بشكل جليّ عن أهمية الهدية وأهمية المهدي، فضلاً عن قدر المهدى إليه وقيمته.

ولا شك أن خير الهدايا ما سلمت من الأغراض، وقدمت لوجه الصداقة، وهي ما يجرى عادة بين الأحباب والأصحاب والأصفياء.

فالهدية على هذا النحو تزيد الروابط الأخوية تجدداً وعمقاً وقوة، وقد قيل في أثر الهدية: إنها تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفي الضغينة، وتركها يورث الوحشة ويدعو إلى القطيعة، والهدية تصير البعيد قريباً والعدو صديقاً والبغيض والياً والثقيل خفيفاً، وقيل إنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة(٤).

وقد حث الرسول ﷺ على الهدية في قوله: "تهادوا تحابوا"، وقوله "نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ما أرضى الغضبان ولا استعطف ولا استميل الهاجر ولا توقى المحذور بمثل الهدية(٥).

---

(١) الخالدي، صلاح، **لطائف قرآنية**، ص١١٨.

(٢) كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك (ت٣٥٠هـ /٩٦١م)، **الديوان**، تحقيق: خيريه محمد محفوظ، مطبعة دار الجمهورية، بغداد، ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م، ص٤٠٣.

(٣) **سورة النمل**، الآية ٣٥.

(٤) الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ج٢، ص٤٢٤.

(٥) محمد عثمان الملا، **الهدية في الشعر العباسي**، **مجلة المنهل**، العدد ٤٤٧، مجلد ٤٨، السنه ٥٣، محرم ١٤٠٧هـ/ سبتمبر ١٩٨٦م، ص٦١.

وترتبط الهدية عادة بالمناسبات الشخصية، والاجتماعية كالأعياد، والمواسم، وحفلات الزواج، والقدوم من السفر أو الحج، وشرب الدواء، والمرض وسكن المنازل الجديدة، وقد ازدهر الأدب المعبر عن التهادي في العصر العباسي، نتيجة التقدم الحضاري الكبير الذي أحرزه المجتمع العربي في المجالات شتى، فالهدية لها وقعها النفسي والاجتماعي، وهي لا تقدر بقيمتها المادية قدر ما تقدر بقيمتها المعنوية، فهي محبة وعنوان وفاء(١).

ثانيا: الهدايا عند الأمم الأخرى

من المعروف أن الاهتمام بها كان قديماً، فقد ظهر الاهتمام بها من خلال العناية بمظاهر الحضارة كالتحف، ومظاهر الزينة من جواهر وحلي، ومظاهر الطبيعة وجمالها الخلاب الذي يمثله القصر والعود والكافور(٢) ذو الرائحة الطيبة.

ويدل على "ذلك هدايا النيروز المحمولة إلى ملوك فارس في كل سنة من دهاقين العراق، وتُقدّر بعشرة آلاف ألف، وهدايا المهرجان وتقدر بمئة ألف ألف، ثم حملت إلى الخلفاء في الإسلام"(٣).

ويدل ذلك على ما كتب به ملك الصين "إلى أخيه كسرى أنوشروان" حين هادنه وأهداه: العود والكافور "الذي توجد رائحته على فرسخين(٤)"، وفارساً بفرسه من در منضد، عينا الفارس والفرس من ياقوت(٥) أحمر، وقائم سيفه من سَفنٍ نابت، مُنَضَّد، عليه الجوهر، وثوب صيني من الحرير"، فيه صورة الملك جالساً في إيوانه، وعليه حلتاه وتاجه، وعلى رأسه الخدم، بأيدهم المذاب، مصورة منسوجة بالذهب الأحمر، في سفط مذهب تحمله جارية تتلألأ جمالاً "(٦).

ومن ذلك ما كتبه "ملك الصين إلى معاوية بن أبي سفيان" مع هدية ملوكية إليه: "من ملك الأملاك الذي تخدمه بنات ألف ملك، والذي بُنيت داره بلبن الذهب، والذي في مربطه ألف فيل، والذي له نهران يُسقيان العود والكافور، الذي يوجد ريحُه من عشرين ميلاً، إلى ملك

---

(١) محمد عثمان الملا، الهدية في الشعر العباسي، **مجلة المنهل**، العدد ٤٤٧، مجلد ٤٨، السنة ٥٣، محرم ١٤٠٧هـ/ سبتمبر ١٩٨٦م، ص ٦١.

(٢) الكافور: نوع من النبات عجيب ذو لون وريح طيبة، **لسان العرب**، مادة (كغر).

(٣) ابن الزبير، القاضي الرشيد، أبو الحسين أحمد بن الرشيد، من أهل القرن الخامس الهجري، **الذخائر والتحف**، تحقيق: محمد حميد الله، منشورات وزارة الإعلام، ط٢، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٥.

(٤) فرسخ: المسافة، **لسان العرب** ، مادة (فرسخ).

(٥) ياقوت: أحجار كريمة، **لسان العرب**، مادة (يقت).

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٣-٤.

العرب الذي يتعبد الله ولا يشرك به شيئاً، أما بعدُ، فإني قد أرسلتُ إليك هدية، وليست بهدية، ولكنها تحفه، فأبعثْ إليّ بما جاء به نبيكم من حرام وحلال، وابعثْ إليّ من يُبيّنه لي. والسلام".

"وكانت الهدية كتاباً من سرائر علومهم، فيقال إنه صار بعد ذلك إلى خالد بن يزيد بن معاوية وكان يعمل منه الأعمال العظيمة من الصنعة وغيرها "[١].

ولم تقتصر الهدايا على أدوات الزينة والحلى والجواهر، إنما نلاحظ الاهتمام ببعض العادات والتقاليد المحببة لملك الهند التي تسود عندهم في الاحتفالات، كاستخدام العود الهندي، وإشعال الشموع، والاهتمام بالجواري، والاهتمام باللباس المزخرف والاهتمام بالذهب، ويتضح ذلك في هدية ملك الهند:

فقد " أهدي إليه في أحد الأعياد ألف مَنَا[٢] من العود الهندي يذوب في النَّار كالشّمع، ويختم عليه فتَتَبيَّن الكتابة. وجام[٣] ياقوت أحمر، فتحه شبرٌ في شبر مملوءاً درّاً. وعشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر، وجارية طولها سبعة أذرع، تضرب أشفارُ عينيها خدَّيها، وكان يتبيَّن لمعانُ البرق من بياض مبسمها، مقرونة الحواجب، لها ضفائر شعر تجرّرها، وفرش من جلود الحيّات، ألْيَنَ من الحرير، وأحسنَ من الوشي، وكتابهُ كان بالدرّ والذهب في لحاء الشجر"[٤].

"وذكر المدائني أنّ ملك الهند أهدى إلي الجنيد بن عبد الرحمن[٥] أيام ولايته السّند، في خلافة هشام بن عبد الملك ناقة مرصّعة بالجوهر قد مُلئت أخلافُها، لؤلؤاً، ونحرها ياقوتاً أحمر. على عجل من فضة، إذا تُركتْ على الأرض تحرّكت العجل فمشت الناقة". "فبعث بها الجنيد إلى هشام، فاستحسنها، ثم إن الذي جاء بها بزل أخلافها، فانتشر اللؤلؤ في علبة ذهب كانت معه، وفكَّ عنقها، فسال الياقوت منه كأنه الدم. فأعجب بها هشام وجميع من كان في مجلسه، ولم تزل في خزائن بني أمية حتى صارت إلى بني العباس"[٦].

"وقد أهدى بعض ملوك الهند إلى الرشيد بالله هدايا جليلة، في جملتها قضيبُ زمرد أطول من الذراع، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر، لا قدر له من النفاسة، فوهبه لأم جعفر زُبَيْدة بنت جعفر زوجته، وانتقل منها إلى الأمين، ثم إلى أخيه المأمون، ثم صار إلى

---

(١) ابن الزبير، القاضي الرشيد، **الذخائر والتحف**، ص٩-١٠.

(٢) **المن**: يساوي رطلين، (وجمعه أمناء). وهو غير المن (وجمعه أمنان)، المسعودي.

(٣) جام: إناء من فضة، لسان العرب، (جوم).

(٤) ابن الزبير، القاضي الرشيد، **الذخائر والتحف**، ص٤.

(٥) الجنيد بن عبد الرحمن المُرّي أمير خراسان والسند من جهة هشام بن عبد الملك. وكان الأجود ولكنه لم يحمد في الحروب، توفي سنة خمس عشر ومئة، **الوافي بالوفيات**، ج١١، ص ٢٠٤.

(٦) ابن الزبير، القاضي الرشيد، **الذخائر والتحف**، ص١٤-١٥.

المعتصم بعدهما". "وجلس المعتصم بالله يوماً، فشرب وعنده ندماؤه، فطرح إليهم قضيبَ زمرد كان في يده، طوله أكثر من ذراع، وقال: هل فيكم من يعرف هذا القضيب ؟ فكلٌّ نظر إليه، وقال: لا أعرفه، حتى صار إلى عبد الله بن محمد المخلوع فقال: نعم يا أمير المؤمنين! هذا قضيب أهداه ملك الهند إلى الرشيد في جملة هدايا أنفذها إليه، فوهبه الرشيد لزبيدة ووهبته زبيدة لأبي، وهو صبي فكان يلعب به، وكان على رأسه طائر ياقوت أحمر قيمته مئة ألف دينار، ولستُ أراه. فأمر المعتصم بطلبه، وتوعد الخُزّان بالقتل إن لم يحضروه من ساعته فطُلب، ورُكّب على القضيب من ساعته، وجاءوا به إليه[١].

فالهدية إذاً قديمة جداً عرفتها الأمم وشاعت عندهم، وارتبطت الهدية من الناحية الاجتماعية ارتباطاً كبيراً بالمناسبات منذ القدم، وخاصة مناسبات الزواج. ويبدو ذلك واضحاً في هدية "كسرى أبرويز إلى قيصر ملك الروم حين زوّجه ابنته مريم"، ما "قيمته عشرة آلاف بَدْرة[٢]، بعد أن كان قسم فيمن صحبه من الروم من أصحاب قيصر ألفين وخمسمئة بدرة، من ذلك ألف لبنة من ذهب، زنة كل لبنة منها ألف مثقال، ومن المال الصامتْ خمسمئة بدرة، وألف لؤلؤة صافية، ثمن كل لؤلؤة أربعة آلاف درهم، وألف اشبرقه[٣] ملينه ملحّمه منسوجه بالذهب، قيمة كل اشبرقه أربعة آلاف درهم، وألف برذون[٤] فتي من نتاج الملوك، قيمة كل برذون ألف درهم، وقيل: أربعة آلاف درهم[٥].

وكان مما تهديه ملوك الأمم إلى ملوك فارس طرائف مما في بلدهم، فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود، ومن التبت والصين المسك والحرير والأواني، ومن السند الطراويس[٦] والببغاء، ومن الروم الديباج والبُسط. وكان القواد والمرازبة والأساورة يهدون النشاب والأعمدة المصممة من الذهب والفضة، والوزراء والكتاب والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وجامات الفضة الملوحة بالذهب، والعظماء والأشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود وآلاتها[٧].

---

(١) القاضي الرشيد، **الذخائر والتحف**، ص٢٠-٢١.

(٢) بدرة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به، ويقدم في العطايا ويختلف باختلاف العهود (مادة بَدَرَ)، **الوسيط**.

(٣) اشبرقه: القطعة من الثوب. الوسيط.

(٤) برذون: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال، من الفصيلة الخيلية، مادة (بَرَدَ)، الوسيط.

(٥) القاضي الرشيد، **الذخائر والتحف**، ص٥-٦.

(٦) الطراويس: الصحيفة، مادة (طرس)، **الوسيط**.

(٧) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، **المحاسن والأضداد (منسوب)**، نشره: عاصم عيتاني، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م، ص٢٣٦-٢٣٧.

ومن الهدايا الملوكية هدية أبرويز إلى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين، وقد شارف الروم فأنفذ رسولا يستنجده وبعث إليه مائة غلام من أبناء الأتراك مختارين في صورهم ونفوسهم، في آذانهم أقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب(١).

وهذه الأخبار تدل على انتشار هذا النمط الاجتماعي عند الأمم الأخرى كالفرس، واليونان والهند والصين منذ القدم، كما تفتح أعيننا على أنواع الهدايا التي كانت تتبادل آنذاك.

ثالثا: الهدايا عند العرب

الهدية مظهر من المظاهر الاجتماعية الموغلة في القدم، ويبدو أن هذا المظهر كان ثمرة من ثمار التقارب بين أفراد الجماعة البشرية، ولعل من أوثق الشواهد التي تدل على تبادل الهدايا في المجتمعات القديمة ما قصه علينا القران الكريم من خبر الهدية التي أرسلتها ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام محاولة استمالته، بعد ما رأت من شدته وقوة بأسه، والحق أن الأزمنة لم تخلُ منذ القديم من تبادل الهدايا، حتى إنها لتعد عند كثير من الأمم عُرفا جارياً بين الناس. وغني عن القول إن الهدايا تذكر في مقدمة الطرائق التي يتقرب بها الناس من بعضهم، فهي بمنزلة رسول على دوام الصلة بين المتحابين المتآلفين وهي مما يوثق عرى المحبة ويزيدها نماء(٢).

ومع ذلك، فقد كانت الهدية موجودة عند العرب، وكان يتبادلها الناس منذ القدم وكانت عادة إهداء الناقة، والسيف، والفرس، والرمح، شائعة لديهم، لكنها كانت تقدم بأساليب مختلفة حسب عاداتهم وتقاليدهم، وقد كانت تقال في ذلك الأشعار من أجل الكسب المادي، ومما يدل على ذلك ظاهرة الكسب عند أميه ابن أبي الصلت الذي انقطع إلى ابن جُدعان يمدحه وينال عطاءه، ويروى عنه أنه قدم مكة فلما دخل عليه قال له: أمر ما جاء بك؟ فقال أمية: كلابُ غرمائي قد نبحتني ونهشتني، وكان عبد الله عليلاً من ديون لازمته، فطلب منه أن يمهله حتى يجمع ماله، وضمن له قضاء دينه، فأقام أميّة أياماً وعاد إليه، فقال له:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء(٣)

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، **المحاسن والأضداد (منسوب)**، نشره: عاصم عيتاني، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٢) الدروبي، محمد محمود، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ط١، دار الفكر، عمان، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، ص٢٥٧.

(٣) بهجة عبد الغفور الحديثي، **أمية بن أبي الصلت حياته وشعره**، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت، ص ٧٥-٧٦.

فلما أنشده أبياتاً كانت عنده قينات كثيرات، فوهبه إحداهن وانصرف، فمرّ بمجلس من قريش فلاموه على أخذها منه وهو عليل ويحتاج إلى خدمتها، فندم وعاد بها. فلما أتاه علم ابن جدعان بأمره وقال له: ما الذي قلت في ذلك؟

فقال أمية:

عطاؤُكَ زَيْنٌ لامرِئٍ إنْ حَبوتَه بِفَضْلٍ وما كُلُّ العطاءِ يَزِينُ

وليس بشينٍ لامرئٍ بذلُ وَجْهِهِ إليك كما بعض السؤالِ يَشِينُ

فأهداه الأخرى وأخذهما وانصرف، فلما صار إلى القوم أنشأ يقول:

ذُكِر ابنُ جُدعانِ بخَيْـ ـرِ كُلَّما ذُكِرَ الكِرامُ

من لا يَخُونُ ولا يَعُفُ ولا تغيِّرهُ اللئامُ

يَهَبُ النَّجِيبَةَ[١] والنَّجيـ ـبَ لَهُ الرِّحالةُ والزمامُ[٢]

تدل هذه القصة على أن التكسب هو الدافع في مدحه لعبد الله بن جدعان، وقد عبّر عن هذا السؤال ببذل ماء الوجه، وهو يرى أن سؤال مثله ليس عيباً، وربما كان ذلك مقبولاً، لأن العرب كانت تعتقد أن الأخذ عن الملوك، كما فعل النابغة ومن الرؤساء الجله كما فعل زهير، سهل خفيف، كما ترى الأخذ من دون الملوك عاراً، فضلاً عن العامة وأطراف الناس.

ومما يدل على ذلك أيضا حكاية مجنون ليلى، قال ابن الكلبي: دخلت ليلى على جارة لها من عقيل وفي يدها مسواك تستاك به، فتنفست ثم قالت: سقى الله من أهدى لي هذا المسواك، فقالت لها جارتها: من هو؟ قالت: قيس بن الملوح، وبكت ثم نَزَت ثيابها تغتسل، فقالت: ويحه اعلَقَ في ما أهلكه مني غير أن استحق ذلك، فنشدتك الله، أصدق في صفتي أم كذب ؟ فقالت: لا والله، بل صدق، قال: وبلغ المجنون قولها فبكى ثم انشأ يقول:

نُبِّئتُ ليلى وقد كنَّا بنخلِّها قالت سقَى المزنُ غيثاً منزلاً خربا

وحبَّذا راكبٌ كنَّا نَهَشُّ به يُهْدِي لنا من أراكِ الموسم القُضُبا

---

(١) النجيبة: الناقة الطويلة، **لسان العرب**، مادة (نجب).

(٢) بهجة عبد الغفور الحديثي، **أمية بن أبي الصلت حياته وشعره**، ص٧٥-٧٦.

قالتْ لجارتها يوماً تُسائِلُـها   لمَّا استَحَمَّت وألقَتْ عندها السَّلَبَا[١]

ياعَمْرَكِ الله ألا قُلْتِ صَادقةً   أصَدَقَتْ صِيغةُ المجنون أم كذبا[٢]

وأما في الإسلام، فقد جاء ذكر الهدية في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، وذلك لما لها من أثر في النفوس واستحباب قبولها، ولو القليل منها، والمكافأة عليها، فقد ندب الدين الإسلامي إلى الهدية وحث عليها، وعدّها عنصراً لتشيع المحبة والمودَّة بين القلوب، ورغب الإسلام في إعطائها لما في ذلك من تأليف القلوب وتوثيق عرى المحبة والتواصل بين الناس وتنمية العلاقات بينهم وتقريب بعضهم من بعض[٣].

وقد حض النبيّ على قبول الهدية، ولو قلت، لما فيها من التكاتف وعدم احتقار الشيء القليل، فإن الإسلام لا يحتقر ولا يقلل من شأنها مهما صغرت. وقد اكتسب الناس في تبادل الهدايا نوعاً من التقليد والعادات والأعراف حتى غدت كأنها جزء مهم من الحياة الاجتماعية.

كان الرسول الكريم يقبل الهدية، ولا يقبل الصدقة، ويثيب على الهدية؛ لأنها تعبير عن الوفاء والإخلاص للصديق، كما أنها المفتاح لفتح علاقات جديدة ومتينة، وهي حل للقضاء على العداوات والأحقاد والضغائن التي تحملها القلوب على بعضها، والهدية لا تقيم بقيمتها المادية وإنما بقيمتها المعنوية، وبما ترمز إليه من محبة وصفاء للنفوس وحسن سريرة، فالشريعة الإسلامية تطلب كل ما يقرب إلى قلوب الناس، ويغرس فيهم المحبة، ويؤكد فيها روابط الأفراد الاجتماعية.

ويدل على ذلك الأحاديث كقول النبي عليه الصلاة والسلام : "لو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأجبته، ولو أهدي إليَّ ذراع أو كراع لقبلت"[٤].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان الرسول ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها[٥].

---

(١) السلب: كل ما على الإنسان من ثياب، **لسان العرب**، مادة (سلب).

(٢) مجنون ليلى، قيس بن الملوح بن مزاحم بن ربيعة، (ت٦٥هـ/٦٨٤م)، **الديوان**، تحقيق: مجيد طراد، ط١، عالم الكتب، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٩٧.

(٣) الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **آداب الملوك**، تحقيق: جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٣٤.

(٤) الزبيدي، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف، **مختصر صحيح البخاري، التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح**، ط١، دار النفائس، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٢٥٢.

(٥) **المصدر نفسه**، ص٢٥٢.

وقيل: الهدية هداية: ونسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله شعراً:

ما من صديقٍ وان تمَّتْ صداقُته يوماً بأنجح في الحاجاتِ مِنْ طبقِ

لا تكذَّبنَّ فإنَّ النَّاسَ مذ خُلِقــوا عن رغبة يعظمون الناسَ أو فرقِ

أما الفعال ففوقَ النَّجمِ مطلَبُــه والقولُ يوجَدُ مطروحاً على الطرقِ[١]

حث الإسلام على الهدية، لأنها تولد المحبة، ولها فضائل كثيرة، فالهدية تقــوي روابــط الصداقة، وما يدل على ذلك أنه لا تخلو صداقه من هدية؛ لأنَّ من عادات الناس أنهم يعظمــون الهدية، وإذا جاءت الهدية فرحوا بها.

"أما الهدايا في الإسلام التي أهديت إليه ﷺ وإلى الخلفاء بعده"، فمنها هدية "جــريح بــن مينا، وهو المقوقس، عامل قيصر ملك الروم على مصر والإسكندرية وأعمالهــا، لمــا راســله رسول الله ﷺ بحاطب بن أبى بَلتَعة الضبّي[٢]، في سنة سبع من الهجرة، يدعوه إلــي الإســلام، عاد إلي رسول الله ﷺ في ذي القعدة من السنة المذكورة بجواب رسالته ومعه رسول مــن قبــل جريح. وأهدى إليه أربع جوار، منهن جاريتان أختان هما مارية وسيرين. وكانت مارية وأختهــا من ضيعة من عمل أنصِنا تُعرف بحَفن[٣]، من صعيد مصر، وكانتا لهما شانٌ في القبط عظــيم، وجمالٌ بارع، لم يكن بمصر أحسن منهما، وخصيّاً محبوباً يقال له: مابور، ويقــال: إنــه أخــو مارية وسيرين، يخدمهما، ومات بالمدينة، وبغلة شهباء سمّاها رســول الله ﷺ "دلــدل" بســرجها ولجامها، وماتت في خلافة معاوية. وحماراً سماه ﷺ "يعفور" أشهب. وفرساً سماه ﷺ "لِــزازاً" وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً من قباطي مصر، مع طُرف من طُرَفهم. وعسلاً من عسل بَنْها ضيعة أسفل مصر – وربعة إسكندرانية، كان بعد ذلك يجعل فيهما جهازه من مكحلةٍ ومشط وما سوى ذلك"[٤]. ووهب لحاطب ابن أبي بَلتَعة مئة دينار وخمسة أثواب، وأحسن مثواه وضــيافته. فقبل ﷺ جميع ذلك، واتخذ مارية لنفسه، وكان بها معجباً، "ووهب سيرين أخت مارية، لحسَّــان

---

(١) الأصفهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء**، ج١، ص٤١٩.

(٢) حاطب بن أبي بلتعة الضبي، اسمه عمرو، وقيل راشد، بن معاذ اللخمي من ولد لخم بن عدي وهو حليــف للزبير بن العوام، وقيل بل كان عبداً لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث ومات سنة ثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وستين. **الوافي بالوفيات**، ج١١، ص ٢٧٣.

(٣) حَفن: من قرى الصعيد، وقيل ناحية من نواحي مصر، وفي الحديث: أهدى المقوقس إلى النبــي ﷺ ماريــة من حفن. الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٣١٩.

(٤) القاضي الرشيد بن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٦-٧.

ابن ثابت، فأولدها ولده عبد الرحمن، ووهب الثالثة لمحمد بن مسلمة الأنصاري، وقيل: بل وهبها لِدحية بن خليفة الكلبيّ، ووهب الأخرى لجهم بن قيس العَدَوي، فهي أم زكريا بن الجهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر. وتصدق بالمال، وأعجبه العسل، فدعا لعسل بنها بالبركة، وبقيت تلك الثياب حتى كفّن في بعضها صلوات الله عليه. وكانت البغلة والحمار أحبَّ دوابه إليه".

"وكانت مارية وأختها سيرين متساويتين في الجمال والحسن. فلمّا نظر إليهما ﷺ، أعجبتاه وكره أن يجمع بينهما، وكانت إحداهما تشبه الأخرى، فقال: اللهم اختر لنبيّك، فاختار له مارية، وذلك أنه قال لهما: قولا: نشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمَّداً عبده ورسوله، فبدرت مارية فتشهدت وآمنت قبل أختها بساعة. ثم تشهدت فاختارها عليها"[١].

وكذلك أهدى معاوية بن أبي سفيان إلى عائشة، رضي الله عنها، حلقا من ذهب فيه جوهر بمئة ألف درهم. فقسمته بين أزواج النبي ﷺ[٢]. "أما هدايا النبي ﷺ التي أهداها لمن أراد من مسلم أو مشرك، فإنه حين أصاب مشركي قريش السَّنَة، وزاد عليهم القحط، وذلك في سنة خمس من الهجرة أرسل عليه الصلاة والسلام إلى أبي سفيان بن حرب وإلى سهيل بن عمرو، وإلى صفوان بن أميه بحمل نوى[٣] من ذهب، بينهم اثلاثا، فقبل أبو سفيان، وأبى سهيل وصفوان أن يقبلا ". "وأهدى أبو سفيان إلى النبي ﷺ سلاحاً فقبله"[٤].

وقد قدمت هدايا أخرى مثل الجواري، والخيل، والدواب، والذهب والفضة والآنية، ومما يدل على ذلك "ما قدم عبيدةُ بن عبد الرحمن القسيّ والي أفريقية وسائر المغرب، إلى هشام ابن عبد الملك من هداياه في سنة أربع عشرة ومئة، عشرون ألف عبد وأمَة، ومن صفايا الجواري المتخيّرة سبع مئة جارية. ومثل ذلك من الخصيان، ومن الخيل والدواب والذهب والفضة والآنية ما لا يحصى"[٥].

وقد "أهدى بعضُ ملوك الروم إلى المأمون بالله هدية: فقال المأمون: اهدوا له ما يكون مئة ضعف لها، ليعلم عزّ الإسلام ونعمة الله علينا به، ففعل ذلك فقال: وقد كملت الهدية: ما أعزُّ

---

(١) القاضي الرشيد، **الذخائر والتحف**، ص٨-٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ص١١.

(٣) **النواة**: خمسة دراهم. **الذخائر**، ص ٦.

(٤) **المصدر نفسه** ص٦.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ١٥.

الأشياء عندهم؟ قالوا: المسك والسمّور[١]. فقال المأمون: زيدوهم مائتي رطل مسكاً ومائتي جلد سَمّوراً[٢].

"وقال علي بن الفتح المعروف بالمطوّق: أهدى زيادة الله بن عبد الله بن الأعلب صاحب المغرب إلى المكتفي بالله في سنة إحدى وتسعين ومائتين هدايا لها قدر جليل، فيها مئة خادم، ومئة جارية، ومئة فرس، وزرافة، وبقر وحشية، ومئة ألف دينار، كل دينار عشرة دنانير".

"قال على بن الفتح: فقرأت ديناراً من تلك الدنانير فإذا عليه مكتوب في الجانب الأول:

يا سائراً نحو الخليفة قل لـه　　　أن قد كفـاك الله أمرك كلّـهْ
بزيادةِ الله بن عبد الله سيـ　　　ـف الله من دون الخليفة سَلّه[٣]

وفي الجانب الآخر.

ما إن يرى لك بالخلاف منافق　　　إلاّ استباح حريمَـه وأذلّـه
من لايرى لك طاعة فالله قـد　　　أعماه من طُرُق الهدى وأضلّه[٤]

وكان للهدية أهمية كبيرة في التعبير عمّا في القلب والنفس من حب وتقدير، إذ قد تكون قيمتها المادية متواضعة، ولكنها قيمتها المعنوية عظيمة.

ومن الجدير بالذكر أن الهدايا لم تقتصر على الخلفاء و الوزراء و الولاة و الشعراء، إنّما امتدت إلى عامة الناس، فهي ليست مقصورة على الخواص.

وكذلك فقد روى مالك في الموطأ عن عطاء مرفوعاً "تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء"[٥]

---

(١) السمّور: حيوان ثديٌّ ليليٌّ من الفصيلة السّمورية من آكلات اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين، ويقطن شمالي آسيا، مادة (سمر)، **الوسيط**.

(٢) القاضي الرشيد، **الذخائر والتحف**، ص ٢٨.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٤٧.

(٤) **المصدر نفسه**، ص٤٨.

(٥) الشوكاني، محمد بن على محمد، **نيل الأوطار، منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار**، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣، ج٥، ص٤١٥.

وقال بعض الشعراء:

إن الهدَّيـــةَ حُلْـــوةٌ كالسِّحر تَجتَلِبُ القلوبَا

تُدنِي البغيض مـــن الهَوَى حتى تُصَيِّره قريبـــا

وتُعيد مُضْطغنَ[١] العَـــدَا وةِ بعدَ نُفْرَته حبيبـــا[٢]

فالهدية تزيل الشحناء والبغضاء، وتذهب العداوة، وتقوي أواصر الاتصال، وتزيـــد فـــي المودة والمحبة، مما يجعل البغيض والبعيد قريباً.

وجدت الهدايا كما ذكرنا منذ القدم، لكن أخذت تتطور وتزدهر حسب طبيعة المجتمعـــات وتطورها ففي العصر الأموي تطورت وازدهرت قياساً بالعصر الجاهلي، فالمتابع للهـــدايا فـــي العصر الأموي يجد أنها سمة بارزة في هذا العصر، وكانت عادة دائمة وسنة حميدة حتـــى فـــي المناسبات الاجتماعية والدينية والسياسية، ففي الختان مثلا نلاحظ أنهم كـــانوا يرســـلون الهـــدايا وكذلك في الأعياد والمناسبات الدينية كالحج.

وهي نوع من التعظيم والتكريم للمُهدى إليه، ولعل العرب تأثروا كثيراً بالفرس من حيث عوائد الإهداء، وكانت ترافق الهدية أبيات من الشعر مدحاً أو فخراً، حتى إننـــا نجـــد الشـــاعر والأديب يعطى أهمية كبرى للكلمات التي ترسل مع الهدية، أو تكتب عنـــد الاســـتهداء فينتقـــي الألفاظ بعناية فائقة مما يعطي دافعاً، ويعطى قيمة فنية عالية للمقطوعة التي تقال فـــي الهـــدايا، وهذا مما نجده في مقطوعات من الشعر الأموي.

وقد نلاحظ كذلك أن الهدايا التصقت بالفروسيات والخمريات والغزليات التصاقاً واضحاً، ومن الملامح التي ظهرت في شعر الهدايا في هذا العصر ملمـــح ذم الهديـــة بأســـلوب الهجـــاء الممزوج بالسخرية، ويتضح ذلك عندما نزل الأعور البنهاني بجرير، فأهدى إليه جفنـــة ملأهـــا زبداً، ووطباً من لبن، وجفنة من تمر هجر، ولكن الأعور أساءَ الأدب، وأخذ يتـــأفف علـــى مـــا أهدى إليه، فأبي جرير أن يعطيه بعد ذلك، فهجا جريراً، فقال جرير يجيبه:

---

(١) مُضطغن: المشتمل، **الوسيط**، مادة (ضغن)

(٢) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦ هـ/٨٨٩ م)، **عيون الأخبار**، الجمهوريـــة العربيـــة المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د. ت، ص٢٥٣. وانظر أيضاً: الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بـــن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **التمثيل والمحاضرة، تحقيق:** عبد الفتاح محمد الحلـــو، ط٢، الـــدار العربية للكتاب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٦٨.

عَفَـــا ذُو حَمَامٍ[١] بَعْدَنَـــا وَحَفِيـــرُ،[٢] وَبالسرّ مَبْدَىً مِنْهُـــمُ ومَـــصِيـــرُ
تَكَلَّـــفْتها لا دايِنـــاً مِنْكَ وَصْلُهـــــا ولا صُرمُها شَيْءٌ عَلَيْكَ يَسِيـــرُ
ترى قَزَمَ[٣] المِعْزَى مُهُـــورَ نسائِهِمْ وفي قَزَمِ المِعْزَى لهُنّ مُهُـــــورُ
وَجَدْنَا بني نَبْـــهانَ أذنـــابَ طَـــيِّءٍ وَللنَّاسِ أذنابٌ تُـــرَى وَصُـــدُورُ
رَفَعْتُ له مَشْبُـــوبَةً يُهْتدى بهـــــا يكاد سَنَاها في السمـــاءِ يَطِيـــرُ
فما رَاعنـــــا إلا يُضاحك نارَنــــــا عَرِيضُ أفاعي الحالِبَيْنِ ضَرِيرُ،[٤]

هذه الأبيات هجاء للأعور وقبيلته وتعريض بالأعور؛ لعدم استحسانه الهديـــة وتحقيـــره لها؛ ويظهر واضحاً جانب الذم.

وههنا يظهر لون آخر من الهدايا، ويتضح ذلك عندما أهدى معاوية ملك الروم قـــارورة مملوءة ماء، فقد قيل: "إن ملك الروم وَجَّه إلى معاوية بقارورة، فقال: ابعث إليَّ فيها مـــن كـــلِّ شيء، فبعث إلى ابن عباس، قال تملأ له ماء، فلما ورد بها على ملك الروم قـــال: لله أبـــوه مـــا أدهاه: فقيل لابن عباس: كيف اخترت ذلك؟ فقال: لقول الله عزّ وجلّ: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَـــاءِ كُـــلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**[٥] ".

أهدى معاوية الماء؛ لأن الماء أساس الحياة، ولأن الماء موجود في كل مكان، فاختيـــاره أمر سهل، فليس فيه تكليف ومبالغة للحصول عليه، فهذه إشارة إلى أن الهدية يجـــب أن تكـــون ميسورة، وبسيطة؛ لأنها كلما كانت بسيطة وميسرة فهي تحمل أعمق معاني المحبة والمودة[٦].

---

(١) ذو حمام: ماء لبني يربوع. **الوسيط**، مادة (حمّ).

(٢) حفير: موضع. **الوسيط**، مادة (حفر).

(٣) قزم: الصغار العليلة، **الوسيط**، مادة (قزم).

(٤) جرير بن عطية الخطفي (ت ١١٤هـ/٧٣٣م)، **الديوان**، شرح: محمد بن حبيب، تحقيق: نعمـــان طـــه، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مجلد ٢، ص٨٧٦.

(٥) **سورة الأنبياء**، الآية ٣٠.

(٦) المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م)، **الكامل في اللغة والأدب**، حققه وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ج٢، ص١١٥.

الفصل الأول

دواعي ازدهار الهدايا في العصر العباسي

وارتباطها بالواقع الاجتماعي

من المعروف أن شعر الهدايا كثيراً ما كان يرتبط بالمناسبات الشخصية، والاجتماعية، كالأعياد والمواسم، وحفلات الزواج، والقدوم من السفر أو الحج، وشرب الدواء، والشفاء من المرض، وسُكنى المنازل الجديدة وغيرها، ومن هنا ازدهر شعر الهدايا في العصر العباسي نتيجة ارتباط هذا النوع من الأدب بالحياة الاجتماعية، فضلا عن التقدم الحضاري الذي أحرزه المجتمع العربي في مختلف المجالات.

تنوع الشعر المتصل بالهدية في العصر العباسي، فشمل الإهداء، والاستهداء، والشكر، والمداعبة، والعتاب، والاعتذار، والمطارحة، وجاءت معانيه مشتركة في هذه المقطوعات، إذ نجد الشعراء يقدمون هداياهم بأساليب منوعة، ويصفون هداياهم بصفات مختلفة، وقد يتعرضون في شعرهم المرفق بهداياهم إلى تصغير شأن الهدية، وذلك بالقياس إلى الشخص المهدى إليه، وقد علل الكثير من الشعراء سبب اختيارهم لهداياهم، وأخذوا يتحدثون عنها، كما شكر الشعراء أصدقاءهم على هداياهم، وفاء منهم لهم، وقد عبر الشعراء في معانيهم عن معنى التقصير في الهدية، كما تعرضوا إلى العتاب، فقد فتحت الأشعار المتعلقة بالهدايا باباً رحباً للمعاتبات الإخوانية بأشكالها، كما اتخذ الشعراء من الهدية وسيلة إلى الاعتذار، وجاءت موضوعات شعر الهدايا من ثم مترابطة متصلة مع بعضها، حتى إنه لصعب الفصل بينها؛ لأنها تعبر عن قضايا اجتماعية متعانقة، وعن معانٍ مشتركة، فالمعاني جميعاً مكملة لبعضها، وهي تدور في سبيل واحدة، ولهذا رأى الباحث في هذا الفصل الوقوف على محورين أساسيين.

أولا: دواعي ازدهار الهدايا في العصر العباسي.

تعددت دواعي الهدايا كما صورها الشعر العباسي، ويعود هذا النوع إلى تعدد مناسبات الإهداء، وإلى اختلاف الأشخاص الذين كانت تقدم الهدايا إليهم، وإلى الظروف الاجتماعية، وإلى الأثر النفسي الذي تتركه الهدية، فهناك أسباب ودواع دينية، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ* فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ* ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (١).

وعندما ننعم النظر في هذا السياق، نعرف الإيحاءات والظلال التي يلقيها لفظ الهدية، والدلالة التي يرمي إليها، وهي التأثير النفسي في نفس المرسل إليه، وإغراؤه بالتودد إليه،

---

(١) سورة النمل، الآيات ٣٥-٣٧

واستمالته، وفضلاً عن ذلك، كانت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي نفسه داعية من دواعي تبادل الهدايا، ونمو الأدب المعبر عنها، فقد توسعت مظاهر حياتهم، حتى ساد عندهم الترف واللهو والمجون، وشملت مظاهر الحياة زراعة حدائقهم، وتزيين منازلهم بالورد، وأظهروا حبهم له، مما جعلهم يقدمونه إلى الملوك والرؤساء، وإلى من يحبونهم، وأصبح سبباً من الأسباب التي أدت بالشعراء إلى استهدائه وكتابة الأشعار التي تطلبه أو تصفه، فمنهم من كتب أبياتاً تعبر عن حبه للشخص الذي أهداه باقة ورد.

أما الشعراء الذين ذمّوا الورد، فلأنه قد يوثر في الصحة، وقد لا يدوم طويلاً، يقول ابن الرومي:

وقائلٍ لِم هجوتَ الوردَ مُعمّداً فقلت من بُغضِه عندي ومن سَخطِهْ

كأنه سُرمُ بغلٍ حين يُخرجُه عند الرياث وباقي الرَّوث في وَسَطِهْ[1]

وفي ذلك مغايرة للمألوف في التعبير عن جمال الورد ومعانيه الحسنة، فكيف يكون الورد قبيحاً؟ وكيف يكون كريهاً كالروث؟!

ومن دواعي الهدايا إطالة مدة الصداقة، والحصول على نتائج حسنة للصلات الاجتماعية بما يفضي إلى إدامة العلاقات الطيبة في مختلف المناسبات السائدة في المجتمع العباسي. ولا يمكن أن نصرف النظر عن ظاهرة مجالس الغناء التي كانت شائعة في العصر العباسي، ولا غرو في ذلك، فإن مجالس الشراب والغناء كانت تعقد في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء، وكان يتخللها شرب النبيذ، وكانت من العوامل التي ساعدت في انتشار الهدايا بأنواعها، وازدهار الشعر الذي يعبر عنها، لاسيما في القرنين الثالث والرابع، فقد كثُر الشعر الذي يتعلق بهدايا الجواري والقيان والمغنيات، فمن ذلك أن مَتيَّم[2] جارية علي بن هشام أهدت مولاها كأساً مخروطة، وكتبت في خرطها:

قالتِ الكأسُ خُذُوني كم إلى كم تَحْبِسُوني

إنَّ جسمي من زجاجٍ فاحذروا لا تكسروني

---

(١) ابن الرومي: أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ت٢٨٣هـ/٨٩٦م) **الديوان**، تحقيق: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ت، ج٤، ص١٤٥٢.

(٢) متيّم: ولدت في البصرة وتأدّبت وغنت، أخذت الغناء عن إسحاق الموصلي وأبيه قبله وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً وكانت تقول الشعر وتوفيت في خلافة المعتصم. **الأغاني**، ج٧، ص ٢٨٠.

واجعلُوا السَّاقي غلاماً ذا دَلالٍ وفُنونِ
فإذا أنتم سكرتم فخذُوهُ في سُكُونِ[١]

وفي هذا إشارة إلى انتشار الجواري والغناء بشكل كبير في العصر العباسي، وقد كان ذلك دافعاً قوياً إلى انتشار شعر الهدايا، وفي هذه الأبيات يستشف القارئ قدرة الجارية على التعبير، إذ نجدها تشخص كأس الشراب لتضفي قيما جمالية على الهدية نفسها، كما يستشف ثقافة الجواري اللواتي كن يجدن فن الكتابة من جهة، وإلقاء الشعر أو نظمه من جهة أُخرى، كما أدى بهم الإغراق في شرب النبيذ، إلى أن يكتبوا مع هداياهم رقاعاً شعريّة، فقد كثرت هداياهم في النبيذ، وكثرت معها رقاع الهدايا التي تطلب الهدية أو تصفها، أو نحو ذلك مما كان الشعراء يفتنون فيه، ومن ذلك قول السري الرّفاء يستهدي من أحدهم نبيذاً:

يا مَنْ أنامِلُهُ كالعَارِضِ السّارِي وفِعْلُهُ أبداً عَارٍ مِنَ العَارِ
أما ترى الثَّلْجَ قَدْ خَاطَتْ أنامِلُهُ ثَوْباً يُزَرُّ على الدُّنيا بأزْرَارِ
نَارٌ ولكنَّها لَيْسَتْ بِمُبْدِيةٍ نُوْراً وَمَاءٌ ولكنْ ليْسَ بالجَارِي
والرَّاحُ قدْ أعوزَتْنا في صَبِيحَتِنا بَيْعاً ولوْ وَزْن دينارٍ بدِينارِ
فامْنُنْ بما شِئْتَ مِنْ راحٍ تَكونُ لنا ناراً فإنّا بِلا رَاحٍ ولا نَارِ[٢]

يصف السري الرفاء ههنا النبيذ بأنها كالنار، لكنها من غير نور، وهي نار في حقيقتها، ثم يبين وقتها في الصباح، وهو يطلبها حتى وإن بلغت ثمناً باهظاً، ومن اللافت للنظر أن الشاعر ذكر لفظة المن بمعنى يدعو من معاني الاستهداء، فقد أصبحت الخمرة تبدد الهموم وتكشف الغموم؛ لأن الحياة أضحت صراعاً دائماً، وميدان شقاء لا فرار منه عند بعض الشعراء إلاّ بالخمرة.

---

(١) التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد (ت ٤٤١هـ/١٠٢٣م)، **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي، ط١، دار صادر بيروت، ج١، ص٦١.

(٢) السري الرفاء، أبو الحسن، السري بن أحمد الكندي (ت ٣٦٢هـ/٩٧٢م)، **الديوان**، تحقيق ودراسة: حبيب حسين الحسني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، د. ت، ج٢، ص١٨٣.

ولو تأملنا هذه الأبيات لوجدنا وصفاً أدبياً جميلاً للنبيذ، فهي محفوظة في ثوب، وعليه أزرار، وهي نار غير حارقة، ونور، وماء ليس جارياً، تستحق الثمن الباهظ. وهكذا نرى أن الأدب العباسي حفل بذكر الخمرة وصفاتها؛ لانتشار الشراب فيما بين العامة والخاصة، وكان ذلك استجابة لدعوة الحياة الاجتماعية وانقلاب مواضعاتها، كما كان امتداداً لطقوس دينية فارسية تجعل الخمر مقدسة، وتجعل شربها بين أيدي آلهتهم نوعا من العبادة، ووسيلة من وسائل التقرب إليها(١).

ومن دواعي الهدايا العادات المستحبة التي صاحبت الأعياد التي تقدم فيها الهدايا رمزاً لتأليف القلوب بين الناس، وقد أصبح العيد وسيلة مهمة لزيادة الروابط المعنوية وتقوية رباطها، ولاغرو فالهدية تجلب المودة، وتزرع المحبة، وتنفي الضغينة، وتركها يورث الوحشة، ويدعو إلى القطيعة، والهدية تصيِّر البعيد قريباً، والعدو صديقاً، والبغيض ولياً والثقيل خفيفاً(٢).

ومن هدايا العيد الهدايا التي تبودلت في الأعياد الفارسية وأهمها عيد النيروز هدية أحمد بن يوسف الكاتب، فإنه أهدى فيه إلى المأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندي، وكتب معه: هذا يوم جرت فيه العادة، بأتحاف العبيد السادة، وقد قلت:

على العَبْدِ حقٌ وهو لاشَكَّ فاعِلُهْ ... وإن عَظُم المَوْلى وجَلّتْ فَواضِلُهْ

ألم ترنا نُهْدِي إلى الله مالَهُ ... وإنْ كانَ عَنْهُ ذا غِنًى فهو قابِلُهْ

فَلو كانَ يُهْدى للجليل بقَدْرِه ... لقصَّر عَنْهُ البَحْرُ يَوْماً وساحِلُهْ

ولكنَّنَا نُهْدِي إلى مَنْ نُجِلُّه ... وإنْ لم يكُنْ في وُسْعِنا ما يُشَاكِلُهْ(٣)

وفي هذه الأبيات دليل على اهتمام الشعراء بالأعياد الفارسية وفي مقدمتها النيروز، وحثهم على تبادل الهدايا في هذا اليوم، ولعل الجديد في هذه الأبيات أن الشاعر يصور الهدية بالحق الواجب تنفيذه، وكأنَّ الهدية شيء مفروض عليه، ولكنه أظهر الهدية بهذه الصورة غير

---

(١) حنا فاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم**، دار الجيل، لبنان، ١٩٨٥م، ص ٦٧٤.

(٢) فؤاد عبد المعطي الصياد، **النوروز وأثره في الأدب العربي**، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص٣١.

(٣) القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، نشره: محمد حسين شمس الدين ويوسف علي الطويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٢، ص٤٤٧ - ٤٤٨.

المألوفة لبيان مدى الخير الذي يعود عليه، وعلى غيره، فأصبحت الهدية على هذا شيئاً بسيطاً من باب رد الجميل لهذا الخليفة. ونستدل من الأبيات السابقة على تواضع الخليفة الذي يقبل الهدية، وفي هذا دلالة على أن الهدايا كانت عادة مستحبة، وغير مرتبطة بالفروقات الاجتماعية بين الناس. ويبين الشاعر أن هذه الهدية ليست عرفاناً منه، بل هي حق واجب عليه؛ لعظمة الخليفة وتواضعه في قبول الهدية، كما بين أن هذه الهدية لا تليق بعظمة الخليفة وجاهه حتى لو كانت بحراً مع ساحله ففيها تقصير شديد بحق المُهدى إليه، وفي ذلك مبالغة إذ وظف الشاعر خياله بهدف إبراز قدر الخليفة ومنزلته التي يعجز المرءُ معها عن التعبير عن ولائه وحبه لهذا الخليفة المهيب. وهكذا فان الهدية مهما عظمت تظل بسيطة ومقصرة بحق الخليفة، ويكشف الشاعر في البيت الأخير عن عدم امتلاكه هدية تليق بمقام الخليفة وتوفر عليه حقه.

كذلك، فإن ترف الخلفاء والوزراء والقادة والعمال دفع بالشعراء ليقدموا شعراً محملاً بطلب الهدية، وذلك طمعاً بالكسب المادي الذي يلقاه هؤلاء الشعراء من الخلفاء والمسؤولين في الدولة، كذلك وجد أن كثيراً من الوزراء والعمال كانوا يقبلون الرشوة، وكانت الهدية تلبس أحياناً ثوب الرشوة التي تقدم لهؤلاء بهدف تيسير أحوالهم وتصريف شؤونهم الخاصة وتحقيق مطامعهم أحياناً، ودليل ذلك المظهر الاقتصادي الفاسد أن نفراً من الوزراء، والعمال كانوا يحتجزون الأموال أو يُعطون الرشوة. ونظراً لتطور المجتمع العباسي واختلاف الأجناس وتوسع الدولة وكثرة الوزراء والولاة والقادة الذين يختلفون في طبائعهم ونفوسهم ظهر من يميل إلى تحقيق مكاسب غير مشروعة من خلال الهدايا التي كان يقدمها بعض الناس لتسهيل أمورهم ومعاملاتهم، فأصبح كثير من هؤلاء الوزراء والمتنفذين يستغلون هذه المناصب في تحصيل بعض الهدايا من المستضعفين وأصحاب الحاجات، مما أدّى إلى أن يشجع هؤلاء المتنفذون الشعراء على الإكثار من شعر الهدايا الذي كان يُلبس (الرشوة) ثوباً آخر مُستساغاً أمام العامة، وفي ذلك دلالة على الفساد الذي تسرب إلى كيان الدولة العباسية وهدّ كثيراً في نظام العدل فيها.

ثانياً: ارتباطها بالواقع الاجتماعي.

جرت عادة الناس في العصر العباسي أن يهدي بعضهم بعضاً هدايا مختلفة، كالأطعمة والأشربة والفواكه والأسلحة والأدوات الحضارية والحيوانات التي يُنتفع بها، فضلاً عن بعض الهدايا الرمزية، كالزهور والورود والرياحين والطيب والعطر والتحف الفنية وغيرها، وذلك في المناسبات الخاصة كالقدوم من السفر، أو إنجاب الأبناء، أو ختانهم، أو الزواج، وفي المناسبات العامة كالأعياد والمواسم، وكان بعضهم يرسل مع الهدية رسالة، يصف فيها الشيء الذي يهديه،

ويبين دلالته الرمزية. فمن ذلك ما كتبه أحمد بن يوسف في رسالة أرسلها إلى إبراهيم بن المهدي مع هدية ملح مُطيب، وكذلك لما تزوج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل[١]، أهدى الناس إلى الحسن هدايا كثيرة، فأهدى له رجل فقير مزودينْ، مِزْوَد في أحداهما ملح وفي الأخرى أشنان، وكتب إليه رسالته التي يصف فيها استحسانه للهدية[٢].

وقد كانت الهدايا تقدم في مناسبات أخرى مثل ختان الأولاد، من ذلك ما يروى من أن يحيى البرمكي عزم على ختان أحد أولاده، فأهدى إليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حالته وقدرته، وهكذا نلاحظ أنهم أكثروا من الهدايا والتهاني مع كل مناسبة، فهم يهنئون الخلفاء حين جلوسهم على الخلافة، ويهنئون الوزراء حين توليهم مقاليد الحكم، وهم يهنئون بالزواج وعقد القِران، وهم يهنئون بإنجاب الأولاد، وهم يهنئون بحكم الولايات، كما يهنئون بالحج ومناسكه[٣].

وإذا كانت رسائل التهاني والتعازي تلزمها مناسبة معينة، فإنَّ رسائل التهادي لم ترتبط دائماً بنوع من المناسبات، وإن كنا نجد نشاطاً ملموساً لرسائل الهدايا في كثير من المناسبات الدينية والاجتماعية. ومهما يكن من أمر، فإنّ المناسبة تبدو مهمة كثيراً في هذا المظهر الاجتماعي؛ لأن الهدية المقرونة بالمناسبة تظل أبقى أثراً وأبعد صدًى عند كثير من الأفراد، ومن أبرز المناسبات التي شاع فيها التهادي المشفوع بالتراسل، عيد النيروز، إذا يبدو أن العادة كانت جارية بتبادل الألطاف والتحف في هذا العيد، ومن رسائل الهدايا المتبادلة في يوم النيروز رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون وقد تقدَّمت، وبالمثل نُبودل هذا اللون من الرسائل بمناسبة الفصد، ومن ذلك رسالة اليزيدي[٤] إلى الرشيد يوم فصده، وأما الهدايا نفسها فقد تنوعت تنوعاً بيِّناً، وقد وفسّر لهذا التنوع اتساع العلاقات العاطفية، وتباين مجالاتها[٥].

---

(١) بوران بنت الحسن بن سهل، اسمها خديجة كان المأمون قد تزوجها لمكان ابنها منه. **الفهرست**، ص ١٢٠.

(٢) **العقد الفريد**، ج٦، ص٢٨٤. وانظر أيضا: صالح، محمود عبد الرحيم، **فنون النثر في الأدب العباسي**، ط١، وزارة الثقافة، عمان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٠٤.

(٣) الوطواط، أبو إسحاق، برهان الدين الكتبيّ (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، **غرر الخصائص الواضحة**، دار صعب، بيروت، د.ت. ص٤٤٨. وانظر أيضا: ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٦١م، ص٤٩٩ -٥٠٠.

(٤) اليزيدي: يحيى بن المبارك العدويّ، أبو محمد، مولده بالبصرة سنة ١٣٨هـ، كان عالماً بالعربية وآدابها، نزل بغداد، واتصل بالرشيد فعهد إليه تأديب المأمون، له تآليف في العربية، توفي سنة ٢٠٢هـ، **وفيات الأعيان**، ج٦، ص٣٨١.

(٥) الحُصري، **زهر الآداب**، ج١، ص٤٧٣. وانظر أيضا: الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث**، ص٢٥٧-٢٥٨.

ـ ارتباطها بالأعياد الإسلامية:

تضم الأعياد الإسلامية عيدين رئيسين هما: عيد الفطر وعيد الأضحى، فقد شاع في هاتين المناسبتين تقديم الهدايا، وقد شاع عند بعض الشعراء تقديم نفسه هدية للمُهدى؛ لأنه يرى أنها أثمن ما يملك، إذ يرى أنّ الهدايا العينية لا تفي المُهدى حقه، وأنه لم يجد هدية أثمن من أن يقدم نفسه الخالصة المُحبة الوفية هدية للمهدى إليه، ويدل على ذلك قول أبي فراس الحمداني حينما أهدى الناس إلى سيف الدولة في بعض الأعياد، وأكثروا فاستشار أبو فراس الناس فيما يهدي إليه فكل أشار، فخالفهم وكتب إليه:

نَفْسِي فِدَاؤكَ، قَدْ بَعَثْـ ـتُ بُعهْدتي[١] بيَدِ الرّسُولِ

أهْدَيْتُ نَفْسِي، إنَّما يُهْدَى الجليلُ[٢] إلى الجَلِيلِ

وَجَعلتُ ما ملَكَتْ يَدِي، بُشرَى المُبشِّرِ بالقَبُولِ[٣]

لقد فاقت هديَّة أبي فراس كل الهدايا، فلم يهدِ مالاً أو ورداً أو ثوباً، أو حتى شعراً، بل أهدى ما هو أغلى من ذلك، إذ أهدى نفسه، وهنا نقف عند نوع من الهدايا، وهي الهدايا المعنوية التي تخالف كل أنماط الهدايا وأشكالها، وربما انمازت هذه الهدية عن غيرها من الهدايا، ولعل هذه الهدية كانت عند سيف الدولة أقرب الهدايا إلى نفسه فقد لاقت استقبالاً حسناً عنده.

ومما يجرى هذا المجرى من الهدايا العينية أن أحمد بن يوسف أهدى هدية إلى المأمون في عيد، وكتب إليه: هذا يوم جرت فيه العادة، بإهداء العبيد للسادة، وقد أهديت لأمير المؤمنين قليلاً من كثير عندي، وقلت:

أهدى إلى سيِّدِهِ العبدُ ما ناله الإمكانُ والجهدُ

وإنما أهدى لـه ماله يبدأ هـذا ولـذا ردُّ[٤]

---

(١) العهدة: الهدية.

(٢) الجليل: العظيم.

(٣) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٥٦٨.

(٤) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٥٦٨، وانظر أيضاً: سامي عابدين، **في الأدب العباسي (قصر المأمون وأثره على العصر)**، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٧٣.

إنَّ الغاية في الطاعة والانقياد للخليفة جعلته يعد نفسه عبداً مملوكاً للخليفة، فأهداه ما يملك من المال، والعبد ملك لسيّده، وهي قمة الإطراء للخليفة حيث إن الخليفة رد رداً جميلاً، وبعض الخلفاء كان يرد على الهدية بأجزل منها، ليثبت أنّ الهدية على قدر مهديها، ولعل الإهداء في ذلك العصر كان من العادات المستحبة، فهي تعبير عن مدى الولاء، كما ترسل البرقيات في عصرنا الحاضر إلى الملوك والوزراء.

وقد كانت بعض الهدايا تُقدَّم إلى الخلفاء والملوك لأغراض سياسية، فلمّا غزا الرشيد نقفور ملك الروم، وانقاد له صاغراً حمّله الأموال والهدايا والخراج، فقال أبو العتاهية يهنيء الرشيد:

وَوَشَّيتَ وَجْهَ الأرْضِ بالجودِ والنَّدى فأصبَحَ وَجْهُ الأرضِ بالجُودِ مَغشِيًّا

وأنْتَ أميرَ المُؤمنينَ فتَى التّقى، نَشَرْتَ ، من الإحسانِ، ماكان مَطْوِيّاً

قضَى اللهُ أن يبقى لهارونَ مُلكُهُ وكانَ قضاءُ الله في الخَلقِ مَقضيًّا

تَجلّبتِ الدُّنيا لهارونَ بالرّضا وأصبَحَ نِقفُورٌ، لهارونَ، ذِميًّا[١]

تشير هذه الأبيات إلى أن الهدايا كانت تقدم للملوك لأغراض سياسية، إذ استطاع الخليفة أن يخضع الروم لسلطته، ودلالة على أن الروم جاءوا خاضعين مستسلمين لهارون الرشيد يقدمون إليه الهدايا، والهدية من الروم في هذه الحالة تعبير عن الانقياد والطاعة للخلافة الإسلامية.

ومن الهدايا التي قُدّمت في الأعياد العطور والروائح الزكية، ومما يدل على ذلك قول أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني: انصرفت يوماً من دار الصاحب، وذلك قبل العيد، فجاءني رسوله بعطر الفطر ورقعة مكتوب فيها:

يا أيها القاضي الذي نَفْسي له مَعَ قُرب عهدِ لقائه مُشْتَاقهْ

أهْدَيْتُ عِطراً مثلَ طيبِ ثنائه فكأنما أهدي له أخلاقهْ[٢]

يخاطب الشاعر القاضي مبيّناً مدى اشتياقه له ومحبته له، فهو مشتاق إلى لقائه، ولأنه مهدى إليه فقد قدم إليه العطر الطيّب الذي يناسب أخلاقه الطيّبة، فلم يجد الشاعر ما يناسب طيب أخلاقه إلا هذا العطر، فالهدية على قدر مهديها، فقدّم العطر هديّة لأن العطر رمز الشوق،

---

(١) أبو العتاهية، **الديوان**، ص٣٦٨.

(٢) العباسي، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، ج ٣، ص١٢٢.

والهوى والعشق والمحبة، فهو يعبر عن علاقة الحب والعشق، وهـذا تشـبيه للعطـر بالثنـاء، والأخلاق المحمودة، وهو تشبيه المحسوس بالمعقول، وهو نوع لا يقرّه عـدد مـن البلاغيـين القدماء، فهم يقولون إنّ التشبيه يُقصد به الإيضاح والمعرفة مستمدة أساساً من الحواس، ولـذلك يرون أن المعنوي أو العقلي يتضح ليتشبّه بالمحسوس، لأن فيه رداً للمعقول إلى المحسوس الذي هو الأصل في المعرفة، أما رد المحسوس إلى المعقول فهو خلاف ما يقتضيه المنطق.

ومن المعروف أنّ العادة كانت جارية في العصر العباسي أن يقدم الناس العطور هديّـة للأحبة والأصدقاء في الأعياد، فقد كان الشعراء مثلاً يقدمون العطور في عيد الأضحى فيطلبون من المُهدى إليه أن يقبلها؛ لأن الظرف والمناسبة توجب ذلك وتستدعيه، فالعطر هو رمز الشوق والمحبة والعشق.

كذلك قُدِمت هدايا أخرى في الأعياد منها هدية الأضاحي، ويُظهر ذلك في قول الحلاج:

إنّ الحَبِيبَ الذي يُرضيه سَفكُ دَمي ... دَمـي حَلاَلٌ لـهُ في الحِـلِّ والحَـرَمِ

إنْ كَانَ سَفْكُ دَمي أقْصى مُرادَكُمُ ... فَلاَ عَدَتْ نَظْـرَةٌ مِنـكمُ بِسَفْـكِ دَمـي

واللهِ لَو عَلِمَتُ رُوحي بمن عَلِقتْ ... قَامَتْ عَلَى رَأسِها – فَضلاً عـن القـدمِ

يَا لاَئِمي، لاَ تَلُمْني في هَوَاهُ ؛ فَلَو ... عَايَنْتَ مِنْـهُ الـذِّي عَاينَـتُ لـم تَلُـمِ

يَطُوفُ بالبيتِ قَـوْمٌ لاَ بِجَارِحَـةٍ ... باللهِ طَافُـوا فأغْنَـاهُمْ عَـنِ الحَـرَمِ

ضَحَّى الحبِيبُ بِنَفسٍ يَوْمَ عِيدَهـمُ ... وَالنَّاسُ ضَـحُّوا بِمِثْـلِ الشَّاءِ والنَعَـمِ

للنَّاسِ حجٌ ولي حجٌ إلى سكنِـي! ... تُهْدَى الأضاحي وأهدي مُهْجَتي وَدَمي[1]

إهداء الأضحية من الأمور الدينية حيث أمرنا الرسول الأكرم أن نهدي ثلث الأضحية و أن يعطى المساكين والفقراء ثلثاً، وأن ندخر ثلثاً لأهل المضحي، ويشير الشاعر هنا إلـى عـادة إهداء الأضحية المعروفة عند المسلمين، ولكن نلاحظ أنّ الشاعر يُهدي مُهجته ودمه، وهو نـوع من التصوّف حيث أنه يهدي نفسه وروحه لله عز وجل، فالضحية تُسمى هدياً.

---

(١) الحلاج، أبو المغيث، الحسين بن منصور البيضاوي (ت ٣٠٩هـ/٩٢٢م)، **الديوان**، صنعه وأصلحه: كامـل الشيبي، ط٢، بغداد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١١٩-١٢٠.

ـ ارتباطها بالأعياد الفارسية:

أ ـ النيروز:

(نوروز) كلمة فارسية مركبة من لفظين: أولهما (نو)، وثانيها (رُوز) أي (اليوم) وإذن فكلمة (نوروز) في اللغة تأتي بمعنى (اليوم الجديد). وأما في الاصطلاح فتطلق على عيد رأس السنة الفارسية الذي يقع في اليوم الأول من فصل الربيع من كل عام[١].

وقد استعملت كلمة (نوروز) في اللغة بصيغتها الفارسية، كما عرَّبت (نيروز)، وقد وردت الكلمة بهاتين الصيغتين في النصوص العربية، وان كانت كلمة (النيروز) أكثر استعمالاً[٢].

وكان أهل بغداد وكثير من مدن العراق يحتفلون بهذا العيد الفارسي احتفالات بهجة، ويتبادلون الهدايا، وكان الخليفة في بغداد يفرق على الناس أشياء منها تماثيل مصنوعة من عنبر، كما كانوا يتهادون الورد الأحمر، وكان الخليفة المتوكل يحب الورد، ويكثر منه في هذا اليوم[٣].

ويحكى أن الخليفة المتوكل كان يجمع المهرجين وأهل السماجات، فيلبسون الأقنعة، ويظهرون بين يديه فينثر عليهم الدراهم، فيقربون منه ويتزاحمون للقطها. حتى إنه يحكي أن إسحاقاً الموصلي دخل عليه في يوم نوروز، وأصحاب السماجات بين يديه، وقد قربوا منه حتى جذبوا رداءه، فغضب إسحاق وخرج، فأمر المتوكل برده، فقال له: أتجلسُ في مجلس يبتذلك فيه هؤلاء الكلاب حتى يجذبوا ذيلك، وكل واحد منهم متنكر بصورة، فما يؤمن من أن يكون فيهم عدو فيثيب عليك[٤].

وكانت عادة العوام في هذا العيد أن يرشوا بعضهم بالماء الملون، وقد يعمدون في بعض الأقاليم إلى أن ينتخبوا رجلاً يسمونه أمير النيروز، يطلي وجهه بالدقيق أو الجير، ويركب في الشوارع على حمار، وعلية ثوب أحمر أو أصفر، ويسير معه جمع كبير، فيتسلط على الناس في طلب رسم رتبه، وفي يده دفتر المحتسب، فمن لم يدفع الرسم يُرش بالماء ممزوجاً بالأقذار[٥].

---

(١) فؤاد عبد المعطي الصياد، **النوروز أثره في الأدب العربي**، ص١٣.

(٢) **المرجع نفسه**، ص١٤.

(٣) محمد زغلول سلام، **الأدب في العصر العباسي منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث**، دار المعارف، القاهرة، ص٨٧.

(٤) **المرجع نفسه**، ص٨٧.

(٥) **المرجع نفسه**، ص٨٧.

كذلك من بين العادات المستحبة التي صاحبت عيد النيروز، تقديم الهدايا رمزاً لتأليف القلوب بين الناس، بوصفها وسيلة لتجديد الروابط المعنوية بينهم وبين حكامهم. ولا غرو فالهدية على حد تعبير الجاحظ تجلب المودة، وتزرع المحبة، وتنفي الضغينة، وتركها يورث الوحشة، ويدعو إلى القطيعة، والهدية تصيِّر البعيد قريباً، والعدو صديقاً، والبغيض ولياً، والثقيل خفيفاً[١].

ويوضح الجاحظ أيضا السُّنة في الهدايا التي تقدم إلى الملوك في النوروز، فيقول: "السُّنة في ذلك عندهم، أن يهدي الرجل ما يحب من ملكه إذا كان في الطبقة العالية؛ فإن كان يحب مسكاً، أهدى مسكاً لغيره، وإن كان يحب العنبر، أهدى عنبراً، وإن كان صاحب بزة ولبسة، أهدى كسوة وثياباً، وإن كان الرجل من الشجعان والفرسان، فالسنة أن يهدي نشّاباً، وإن كان من أصحاب الأموال، فالسنة أن يهدي ذهباً أو فضة، وكان يهدي الشاعر الشعر، والخطيب الخطبة، والنديم التحفه[٢]".

وللفرس في هذا العيد رسوم وتقاليد انتشرت في العالم الإسلامي آنذاك، وقد انتقد كثير من الفقهاء الاحتفال بالنيروز وسواه من أعياد الفرس.

وقد كان صادف في يوم النيروز مناسبات أخرى مثل الفصد، يقول البحتري في يوم نيروز حينما افتصد فيه محمد بن حميد:

يا ابنَ حُمَيْدٍ عِشْ لنا سالِماً ما اخْتَلَفَ النَّيْروزُ و الْمِهْرَجانْ[٣]

فهذه دعوة بالسلامة في يومي النيروز و المهرجان.

كذلك كانت تقدم في هذا اليوم الهدايا للخليفة والأمراء، وذلك لنيل رضا الخليفة والحصول على العطايا والهبات، ومن ذلك أن منتدى المأمون كان يستقبل الهدايا المطعمة بأبيات الشكر والثناء، فها هو أحمد بن يوسف الكاتب يهدي للمأمون سفط ذهب فيه قطعه عود هندي، بمناسبه عيد النيروز، وكتب معه: هذا يوم جرت فيه العادة بإتحاف العبيد السادة، وقد قلت:

على العَبْد حقٌ وهو لاشَكّ فاعِلُهُ وإن عَظُم المولى وجَلّت فواضِلُهُ

ألم ترنا نُهدي إلى الله مالَهُ وإنْ كان عَنْهُ ذا غنى فهو قابِلُهْ

---

(١) الجاحظ، **المحاسن والأضداد**، ص٣١٩.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٣١٩.

(٣) الصولي، أبو بكر، محمد بن يحيى (ت٣٣٦هـ/١٩٤٧م)، **أخبار البحتري**، تحقيق: صالح الأشتر، ط٣، دار الأوزاعي، ص ١٤٢.

فَلو كانَ يُهْـــدي للجليل بقَدْرِه لقصَّر عَنْــهُ البحرُ يوماً وساحِلُهْ

ولكننـــا نُهدي إلى مَــنْ نُجلُّــه وإنْ لم يكُنْ في وُسْعنا ما يشاكلُهْ[١]

وقد تقدمت هذه الأبيات سابقاً في الحديث عن أسباب تطور الهدايا في العصر العباســي، والمتأمل في هذه الأبيات يجد أن الهدايا أصبحت واجباً وحقاً للخليفة، حتى إنّ بعض الناس يعــدّ ذلك حقاً بأن يقدموا الهدايا للخليفة تقرباً لله عز وجل، فهو يصف كرمه، وما يقدمه مــن هــدايا، فيشبه ذلك بالبحر دلالة على كثرة ما يقدم من هدايا للخليفة وتعظيمها واحترامــاً وتقــديراً لــه، ونستشف من هذه الأبيات أن بعض الهدايا كانت بالغة الثمن معبرة عن ذلك الغنى الفاحش الــذي ظهر في فئة أو طبقة معينة في مجتمع بني العباس، وكذلك كانت تقدم فــي هــذا اليــوم هــدايا متواضعة ويطلب من المهدى إليه أن يقبلها، وربما اقتصرت على أبيات من الشعر، يقول دعبــل الخزاعي:

الجودُ يغرق في المهل من ديمك والمجــد مفتخــر بالغــرِّ من شيمــك

هذي هَدِيَّــة عَبْدٍ أنْتَ مُلْبسُــــهُ ثَوْبَ الغِنى، فاقْبِلِ المَيْسُورَ مِنْ خَدمِك[٢]

وقد قدمت الهدايا بنمط جديد في هذا اليوم، فكانت تبدأ بمقدمات طللية، ومن ذلــك مــا حدث به ميمون بن هارون قال: دخل سَلْمُ الخاسر على الفضل بن يحيى[٣] فــي يــوم نــوروز، والهدايا بين يديه، فأنشده:

أمِــنْ رَبْــعٍ تسائلــهُ وقد أقْوَتْ منــازلُهُ[٤]

بقلبي منْ هَوىَ الأطلا لِ حُبٌّ ما يُــزايلهُ[١]

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص٤٤٧. وانظر أيضاً: سامي عابدين، **الاتجاهــات الأدبيــة فــي قصــر المأمون، دار العلوم العربية**، بيروت، ط. ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص١٧٥.

(٢) دعبل بن على الخزاعي، دعبل بن علي بن رزين بن سليمان، (ت ٢٤٦هـ/٨٦٠م)، **شعر دعبل بــن علــي الخزاعي**، صنعه: عبد الكريم الأشتر، ط٢، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ص٤٥٩.

(٣) الفضل بن يحيى (١٤٨هـ/ ٧٦٥م- ١٩٣هـ/ ٨٠٨م)، وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاعة، كان أجود الناس، استوزره الرشيد مدة قصيرة، وولاه خراسان ١٧٨هـ، وحسنت سيرته فيها، إلى أن فتك الرشيد بالبرامكــة ١٨٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص ٣٥٨.

(٤) **أقوت منازله**: أقفرت من الإنس.

رويدكمُ عن المشغـــو   فِ إنّ الحُــب قـــاتلـــهُ

بلابلُ صدره تَسْــرى   وقـــد نامـــت عَواذِلُـــهُ

أحقُ النّاسِ بالتفضيـــ   ل منْ تُرجى فواضلَهُ[٢]

بدا الشاعر شعره متسائلاً عن هذه الديار التي وقف عليها، وأصبحت خالية من سكانها، متسائلاً ما الذي جعل هذه المنازل تفتقر من أهلها؟ كذلك يبين الشاعر مدى تعلقه بـأطلال ديـار المحبوبة، فهو مشغوف بها، لأن حبها يسري في أوصاله، فهـو أحـق النـاس بهـذه الهـدايا وبالفضائل التي تقدم له لما يتصف به من الأخلاق الحميدة.

فهذا نوع من الهدايا يظهر فيه جانب الغزل الذي استخدم فيه نمط الوقوف على أطـلال المحبوبة، فقد عرضه بأسلوب يثير التعجب، واستخدم الاستفهام بغرض تقرر الحقيقه التي يريـد أن يتوصل إليها.

وقد قدمت في هذا اليوم أيضا هدايا مختلفة الشكل والنوع، لأن لكل هدية مدلولها، ومـن الهدايا التي قدمت في هذا اليوم هدية أبي العتاهية حينما استأذن أن يهدي إلى الخليفة المهدي إليه في النيروز والمهرجان فأذن له، فأهدى برينة[٣] ضخمة فيها ثوب ناعم ومطيـب وكتـب فـي حواشيه:

نفسي بشيء من الدنيا معلّقة   الله والقائمُ المهديُّ يكفيـــها

إنّي لأيأسُ منها ثمّ يُطمِعني   فيها احتقارُك بالدنيا وما فيها [٤]

ولا يترك الإنسان وراءه إلا الذكر الحسن الذي يكمن معناه في الطيب الذي أشار إليـه

---

(١) **يزايله**: يفارقه ويغادره.

(٢) سلم الخاسر، سلم بن عمر مولى بن تميم بن مرة (ت ١٨٦هـ/٨٠٢م)، **الـديوان**، تحقيـق: نـايف محمـود معروف، ط.١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٤٣. وانظر أيضا: العباسي، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، ج١، ص٤٣.

(٣) البَرْنيّة: واحدة البَرْنيّ: إناءٌ واسعُ الفم من خزف أو زجاج ثخين، مادة (براني)، **الوسيط**.

(٤) أبو العتاهية، **الديوان**، ص٣٦٨. وانظر أيضاً: الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: هلموت رُيتر ورفاقه، ط١، فرانز شتايز بفسبادن، شتوتكارت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٩، ص١٨٦.

الشاعر، لكن ثمة أشياء تجعل الإنسان يتعلق بالدنيا، ثم يظهر للإنسان ما يدخل اليأس إلى قلبه، وهذه إشارة إلى الطبيعة الإنسانية والنفس البشرية التي تغلب تعلقها بالدنيا، فإن أعطته ما يتمنى تعلق بها وازداد شغفاً بالحياة، حتى إن تعارضت مع أهوائه ورغباته.

ومن الهدايا التي قدمت في هذا اليوم أيضا هدايا الورود، فقد أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه في يوم النيروز وردة وسهماً ودينارا ودرهماً وكتب إليه:

لا زلت كالوَرْدِ نَضيرَ المِيسَمِ ونافِذاً مِثْلَ نُفُوذِ الأَسْهمُ [١]

في عز دينارٍ ونجم درهـــمِ

لكل نوع مما ذكره الشاعر معنى، فالورد دلالة على النضارة والشباب، و السهم دليل على القوه والنفاذ، والدينار دليل على العز والجاه، والدرهم دليل على النجاح، وهنا فسر الشاعر المراد من كل هدية، ولم يترك للمهدى إليه الفرصة في النظر والبحث عن المعاني أو المغزى من الهدية.

كذلك أشار الشعراء إلى أن الهدايا التي قدمت في يوم النيروز بأنها نعم عظيمة ولم يكونوا ينظرون إلى الهدايا القليلة على أنها نوع من التقصير، ويتضح ذلك في قول جحظة: دخلت على أبي الصقر بن بلبل وهو وزير في يوم نوروز فقال: أين هدية النوروز يا جحظة؟ فقلت في صدري أيد الله الوزير قال أحب الهدايا هاتها فأنشدته:

بأبي الصقر علينا نعم الله جليله

مَلَكٌ في عينه الدَّنْ يا لراجيه قليلهْ [٢]

أشار الشاعر إلى أن الهدايا التي قدمت في يوم النيروز في ظل الوزير أبي الصقر بن بلبل[٣] بأنها نعم عظيمه من الله، كما أشار إلى أن هذا الوزير لا ينظر إلى الهدايا القليلة دلالة على كرمه.

---

(١) القرطبي، أبو عمر، يوسف بن عبدالله محمد بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ/١٧٠م)، **بهجة المجالس وأنس المجالس**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، ط٢، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٨٧.

(٢) جحظة البرمكي، أبو الحسن، أحمد بن جعفر بن موسى (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)، **الديوان**، تحقيق: مزهر السوداني، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٣١٩.

(٣) الوزير أبي الصقر بن بلبل، جمع السيف والقلم واستوزره المعتمد، ومات سنة ٢٧٨هـ، **الفهرست**.

ومن مظاهر الأثر الفارسي في الحياة الاجتماعية شيوع عادة الاحتفالات بالنوروز والمهرجان وإشعال النيران في ليلة (السذق)[١]، وكان كبار رجال الدولة يقدمون الهدايا في هذه المناسبات للخليفة ويتفننون فيها ويبالغون، حتى أصبحت الهدايا نوعاً من أنواع النفاق الاجتماعي، وعاملاً من عوامل استنزاف الثروة وتبديدها، وكان من الوزراء من يطالب بالهدايا في هذه المناسبات إذا خيل إليه أن صديقه أو نديمه قد نسى أو تناسى.

وكان من لا يستطيع تقديم هدية مناسبة في النوروز أو المهرجان يعتذر ويذكر السبب، قال جحظة:

واقف المهرجان حاشاك من رقة الحال وهي داء الكرام

فاقتصرنا على الدعاء وفيه عون صدق على قضاء الذمام[٢]

وقد اعتاد النَّاس الاحتفال في النوروز والمهرجان، وإظهار شعائر البهجة والفرح، وصار ذلك من مستلزمات حياتهم، حتى إن المُعتضد عندما أراد منعهم من ذلك لقي معارضة وإصراراً، فلم يستمر المنع أكثر من يومين عاد الناس بعدها إلى سابق احتفالاتهم، بل بالغوا فيها تعويضاً عن يومي المنع حتى صُبَّ الماء على رؤوس الشرطة[٣].

يشير الشاعر إلى أن الناس قد قدموا الهدايا للممدوح، ولكنه يرى أن هدايا الممدوح وكرمه فاقت كل الهدايا، فرأى أن يبعث بالثناء و الشكر ولا ينكر ذلك على الوالي أو الخليفة، ويتضح هذا المعنى في قول ابن الرومي يهنئ عبيد الله بن عبد الله[٤] بالنيروز ويقدم الهدايا:

قد كان عبداً مجوسياً فشرّفهُ ملّهاكَ فيه، وما تلهو بفحشاء

لكن بأشياءَ يهتزُّ الكريمُ لها جُوداً فيُسنى العطايا أيَّ إسناء

جادت يمينُك في النيروز فائضةً بالمالِ إذ جاد فيه الناسُ بالماء

لا زلت تنسخ نيروزاً مُعوّلُهُ على الذي فيك صَفح وإغضاء

---

(١) السذق: ليلة الوقود فارسي (معرب) والسوذق كجوهر (السوار)، مادة (سذق)، **تاج العروس**.

(٢) جحظة البرمكي، **الديوان**، ص٢٩.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ٢٨.

(٤) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسينن راوية للشعر والأخبار، وكان شاعراً لطيفاً، له كتاب الإشارة في أخبار الشعراء، توفي في بغداد سنة ٣٠٠هـ. **الأغاني**، ج٨، ص ٤٤-٤٥.

لم نُهد شيئاً لأن الناس مذ أرِبوا | عابوا الهديةَ إلا بين أكفاء
إنَّ العبيدَ إذا أهدتْ لسادتها | فقد تعدّت وأربَتْ كلٍّ إرباء
إلاَّ الثناءَ فإنّي لست أنكِرهُ | أو الدعاءَ لدى نُعمى وآلاء[١]

هذه رؤية للشاعر يفلسف فيها الهدية، إذ العبيد أهدوا سادتهم، فإن هذا تعدٍّ منهم وتجاوز الحدَّ، ولا يقبل منهم الهدايا فقط الثناء، فهو شيء غير منكر، أو الدعاء لمن لهم فضل عليهم، هذا فهم خاص بالشاعر إذ إنه ينكر الهدية أو تقديمها وهو شيء معيب بين الناس، وهنا يجعلها مقصورة على فئة من الناس، وهم سادة المجتمع وفي ذلك نلمح نظرة فوقية وطبقية، وقد نعت الهدايا أيضاً بنعوت حسنة، وهو ما يفسر لنا أن الهدية أصبحت وسيلة من وسائل التقرب للخليفة.

أما بالنسبة لهدايا النيروز قبل الإسلام، فقد كانت محمولة إلى ملوك فارس في كل سنة من دهاقين العراق، وكانت تقدّر بعشرة آلاف ألف، وكانت هدايا المهرجان تُقدَّر بمئة ألف ألف، ثم حملت إلى الخلفاء في الإسلام[٢].

هذه إشارة إلى بعض الهدايا التي تقدم في النيروز من الدهاقين، فهذا نوع من المبالغة في هدايا هذه الأعياد، كذلك قُدّم نوع آخر من الهدايا في يوم النيروز، يقول الصولي: كتبت إلى ابن الأشعث في يوم سبت وكان نوروز سنة ستين ومائتين:

تبوق في الهدايا كلٍّ قوم | من الآلات والحلل والغوالي
فأهدوا كل ما يفنى ويبلى | على الأيام تتبعها الليالي
وآثرت الثناء وقد تراه | على الأيام غضاً غير بالي
رأيتك عند خلق الله طرا | إذا ذِكر الندى ترب المعالي
تُفَضّلُ في خِلال الخير جمعاً | كتفضيل اليمين على الشمال
ولستُ بأوحد في قول هذا | ولكن حذوت على مثال

---

(١) ابن الرومي، **الديوان**، ج١، ص٧٧.

(٢) القاضي الرشيد بن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص٥.

فأبقاكَ الإلــهُ لنا عزيــــزاً   بأنعم عيشــة وأغض حــال [١]

تبدو الهدايا في نظر الشاعر جميعها فانية، لذا فقد بحث عن هدية لا تفنى مــع الــزمن، ولم يجد سوى الثناء، فأكثر منه، وقد أشار إلى أن هذا النوع من الهدايا ليس بالشــيء الجديــد، وإنما جاءت الهدية عنده سيراً على نهج الكثيرين ممن قدّموا الهدايا المعنوية.

إن الشعر خالد باقٍ مع الأيام والليالي، ولكن الهدية المادية إن كانت نقوداً فقد تنتهــي أو لباساً فقد يخلق، أما الشعر الذي فيه الحمد والثناء للممدوح فهو باقٍ على مر الأيــام، فالشــاعر يفتدي الممدوح بنفسه، وهو أعظم البذل، وهو يحتذي حذو الآخرين في الثناء والمدح، ويدعو الله أن يبقيه عزيزاً مكرماً رافلاً في الثواب النعيم.

ويبدو أن الهدايا التي قدمت في يوم النيروز كانت تحمل قصائد أو مقطوعات تقليدية في مضمونها، ويظهر ذلك عندما أراد علي بن جبلة مدح حميد الطوسي[٢] في عيد النيــروز، فقــد أهدى إليه قصيدة تقليدية في مضمونها، لكنه كساها بثوب جديد، يتناسب مع الــذوق الحضــري الذي يؤثر الرشاقة والخفة والسهولة، فبنى قصيدته على مجزوء الرمل الــراقص، ومنهــا هــذه الأبيات:

دِمَــنَ الدار دُثُــور[٣]   ليــس فيهــنَّ مُجِيــرُ

بُليــت فيها المغــاني   مثــل ما تبلى السـطورُ

قَسَــم البيَّــنُ عليهن   رواح و بكــــــورُ

وليــال ساجيــــات   نام عنهــنَّ السمــيــرُ[٤]

فطوت أخبية الحســ   ي كما يطــوي الجبيــرُ

كــذرا النَّخْل أشاعت   رهوها الريح الدَّبــــورُ

(١) الصولي، **أخبار الشعراء المسمى كتاب الأوراق**، ص٢٤٨.

(٢) حميد بن عبد الحميد الأمير أبو غانم الطوسي، ممدوح العكوك، توفي بفم الصلح ومات يوم عيد الفطر سنة عشرين ومائتين. **الوافي بالوفيات**، ج٣، ص ١٩٧.

(٣) دثور: اثار، مادة (دثر)، **الوسيط**.

(٤) السمير : الناس يسمرون الليل، مادة (سحر)، **الوسيط**.

حُلّفــت بالدَّار حُــور وغدت في الظَّعن حورُ[١]

كذلك قدمت الهدايا يوم النيروز قصائد وخطباً ومدائح نالت إعجاب المُهدى إليه، كما في قول العباس الهمذاني حينما كتب إلى الخليفة المأمون في يوم النيروز[٢]:

أهدى لك الناس، المَرا كب والوصائفَ[٣] والذهبْ

وهديّتي حلوُ القصـــا ئد والمدائــح والخــطــبْ

فاسلمْ سلمتَ على الزما ن من الحوادث والعَطَبْ[٤]

فقد أعجب المأمون بالشعر الذي يحكى فيه الشاعر عن هدايا الناس له، وهديتــه هــو، ودعاؤه للمأمون أن يسلم على الزمان، لذا كان تشجيع المأمون الشاعر بهذه الهدايا، وقد ســوى الشاعر بين شعره والهدايا الثمينة، وربما كان يرى أن هديته أفضل، وأعلى مرتبه مــن الهــدايا التي تزول بزوال المناسبة.

ومكافأة على ذلك فقد أهدى المأمون الشاعر بشعره كل ما أهدي إليه في هذا اليوم، فكان شعر الشاعر في نظر الخليفة يفوق في قدره وقيمته كل هذه الهدايا التي أهديت إليــه فــي يــوم النيروز.

وهذه إشاره إلى كثرة الهدايا التي قدمت للخليفة في يوم النيروز، فأفضل هدية قدمت هي القصائد والمدائح والخطب التي تدعو له بالسلامة.

كذلك ظهرت في هدايا يوم النيروز الهدايا المعنوية، ويتضح ذلك في قــول ســعيد بــن حميد في أعقاب رسالة كتب بها إلى بعض أهل السلطان في يوم النيروز.

أنْ أُهدِ نفسي فهو مالكهــا وله أصونُ كرائمَ الذُّخــرِ

أو أهدِ مالاً فهــو واهبُــهُ وأنا الحقيقُ عليه بالشكــرِ

أو أُهدِ شكري فهو مُرتَهَنْ بجميل فَعلك آخرَ الدَّهــر

---

(١) أنور عليان أبو سويلم، **الطبيعة في الشعر العباسي الأول**، دار العلوم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٥٤.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٣٠٤. وانظر أيضاً: عبد الهادي عبد الله عطيــة، **ملامــح الأدب فــي العصر العباسي الأول**، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، مكتبة بستان المعرفة، ص٢٨٦.

(٣) الوصائف: الخادم. **الوسيط**، مادة (وصف).

(٤) العطب: الهلاك. **الوسيط**، مادة (عطب).

والشمسُ تستغني إذا طلعتْ أن تستضيء بسُنَّة البَدْر[١]

هذا إلى نوع من الاعتذار الذي يلبس ثوب الهدية، فقد قدَّم سعيد بن حميد نفسه هدية للممدوح، فهو مالكها يدخرها له، فلم يقد ماله هدية له؛ لأن المال مصدره منه، فلابد من أن يقدم الشكر له، فبعد ذلك فلم يبق إلا الثناء والحمد، وإن اعترف بالتقصير والعجز، فالممدوح ليس بحاجة لماله ولا لهديته، مشبهاً إياه بالشمس التي إذا طلعت استغنت عن البدر.

ب- المهرجان:

هو أحد الأعياد الفارسية التي راج الاحتفال بها في العصر العباسي وفيه قدمت الهدايا، ومن ذلك فقد أهدى أبو إسحاق بن هلال الصابي[٢] إلى عضد الدولة في يوم مهرجان اصطرلاباً[٣] على قدر الدرهم محكم الصنعة وكتب إليه:

أَهْدَى إِلَيْكَ بَنُو الحاجاتِ وَاحتَفلوا في مِهْرَجَانٍ عَظيمٍ أَنْتَ تُعْلِيهِ

لَكِنَّ عَبْدَكَ إِبْرَاهِيمُ حِينَ رَأَى عُلُوَّ قَدْرِكَ عَنْ شَيْءٍ يُدانِيهِ

لَمْ يَرْضَ بِالأرضِ مُهْداةً إِلَيْكَ فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الفَلَكَ الأَعْلَى بِمَا فِيهِ[٤]

لقد قدم الناس الهدايا في يوم المهرجان إلى عضد الدولة، ولم يجد الشاعر شيئاً يليق بعضد الدولة حتى الأرض لم يرض أن تكون هدية له في هذا اليوم، بل رأى أنه يستحق الفلك الأعلى لسمو صاحب الهدية ورفعته وعظم شأنه.

فقد وصف الشاعر الهدايا التي قدمت له يوم المهرجان ووصف الحشود فيه ومنزلته بأنه عظيم الشأن، إذ نظر إلى هديته بأنها تفوق شأنه ومكانته في الحشود، فهو قدم هدايا الفلك الأعلى لمنزلته ومكانته، فإن الهدية هذه لا تليق بمكانته، فلم يرض بالهدايا تلك فأهدى الفلك الأعلى بما فيه، لأنه يدرس الأجرام السماوية، ولعله يريد بذلك أن المهدى إليه في منزلة عالية كالفلك.

---

(١) سعيد بن حميد، أبو عثمان، سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م)، **رسائل سعيد بن حميد وأشعاره**، جمع وتحقيق: يونس احمد السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١م، ص٢٨.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرور، مترسل بليغ شاعر عالم بالهندسة، ومولده سنة نيف وعشرين وثلثمائة، وتوفي قبلي الثمانين وثلثمائة، وله ديوان شعر، **الفهرست**، ص١٦٧.

(٣) **اصطرلاباً**: أداة قديمة فلكية يقاس بها الزمن أو في تعيين الأجرام السماوية ومعرفة الوقت والجهات. **الوسيط**.

(٤) الثعالبي، **أدب الملوك**، ص٢٤٤-٢٤٥.

ومن المعروف أيضاً أن يوم المهرجان كانت تقام فيه احتفالات متنوعة، وكان يتخللها هدايا مختلفة، فلم تكن الهدية مقتصرة على الهدايا المادية، فقد قدم كثير من الشعراء في الاحتفال بهذا اليوم الشكر والثناء هدية، وقد قبلها المهدى إليه بفرح وسرور، ويتضح ذلك في قول سعيد بن حميد في أعقاب رسالة بعثها إلى أحد الأمراء تهنئة بعيد المهرجان، يقول فيها:

لم أَجِدْ لي هدية حين حصَّـ ... لتُ كثيراً ملكتُهُ وقليلا

يعدِلُ الشكر والثناءَ وإنْ لم ... يكُ شكري لما أتيت عديلا

فجعلتُ الذي أُطيقُ من الشـ ... كر على ما عجزتُ عنه بديلا

يا لها من هديَّة تُقنع المهـ ... دي إليه ولا تُعنِّي[1] الرسولا[2]

فقد كتب هذه الرسالة لأحد الأمراء بعيد المهرجان، فقدم الشكر والثناء هدية على الهدية وهو قانع وفرح بها.

وقد اتخذ كذلك الشعراء تقديم الهدايا في هذا اليوم لتكون زينة يتزينون بها، ويدل على ذلك قول الشاعر:

لِيَوْمِ المَهْرَجَانِ بِكَ اخْتِيَالٌ ... وَإِشْرَاقٌ وَنُورٌ يُسْتَبَانُ

جَعَلْتَ هَدِيَّتِي لَكَ فِيهِ وَشْياً ... وخَيْرُ الوَشْيِ مَا نَسَجَ اللِّسَانُ[3]

أشار ههنا إلى يوم المهرجان، وما تقام فيه من احتفالات، وما تقدم فيه من هدايا بأنه أصبح إشراقاً ونوراً يستبان، وقد جعل هديته زينة يتزين فيها يوم المهرجان، وشبهها بالوشي لما له من أثر.

---

(١) **تعنّي**: تنصب.

(٢) سعيد بن حميد، **رسائل سعيد بن حميد وأشعاره**، ص ٥٤.

(٣) الزوزني، أبو محمد بن عبد الله بن محمد، **حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء**، تحقيق: محمد بهي الدين بن محمد سالم، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مجلد٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٦٧.

ـ ارتباطها بالمناسبات الاجتماعية

أ ـ الزواج:

من المناسبات الاجتماعية التي كان الناس يتبادلون فيها الهدايا (الزواج)، وهي مناسبة سعيدة، إذ تبعث في النفوس الفرحة والسعادة، لا سيما الزوج والزوجة والأم والأب والأقارب والجيران، وليعبِّر كل عن مدى فرحته بهذه المناسبة، فإن الناس كانوا يقدمون الهدايا للعروسين ولأهليهما، وفي هذا الباب قال سفيان الثوري: إذا أردت أن تتزوج فأهد للأم. وكان سفيان يروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: من أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها، فأهدى إليه صديق له ثياباً من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب، أما في ثياب مصر، فلا[1].

كان للهدية طقوسها الخاصة، فلها مستحقوها، ولها أولويات، فالأم مثلا أجدر بها من غيرها، لا سيما أن الابن إن تزوج فمن حسن المعاملة وصلة الرحم أن يهدي أمه تعبيراً منه عن تقديره لها وحبه لها.

وهنا يمكن أن نلمح بعداً نفسياً، فالابن الذي ربته الأم وتعبت عليه سنين طويلة، لا بد أن يحسن إليها، وأن يراعي شعورها، كأن تخاف أن ينشغل عنها بالزوجة وينساها، فهذه الهدية مبادرة من الابن لأمه يعدها أن لا ينساها قبل الزواج وبعده، كذلك فالهدية لا تقتصر على شخص واحد، بل يشارك فيها الحضور جميعا من باب التأدب وتوثيق أواصر المحبة والإخاء، وكذلك قد تكون الهدية من الأكل أو الشراب وكذلك قد تكون الهدية ثياباً أو قماشاً وغير ذلك.

ولم تقتصر هدايا الزواج على العامة فيما بينهم، بل نجد أحياناً أنهم كانوا يتبادلون الهدايا مع الخلفاء والأمراء والولاة، وهذا تعبير عن مدى العلاقة الطيبة بينهم، ومشاركة العامة الخلفاء

والأمراء والولاة أفراحهم ومناسباتهم على اختلافها، فقد ذكر أنه لما تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل، أهدى الناس إلى الحسن، فأهدى له رجل فقير مزودين، في أحدهما ملح، وفي الآخر أشنان، وكتب إليه: جعلت فداك، خفة البضاعة قصرت ببعد الهمة، وكرهت أن تُطوى صحيفة أهل البر ولا ذكر لي فيها، فوجهت إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته، وبالمختوم به لطيبه

---

(١) الأبشيهي، شهاب الدين محمد أحمد أبي الفتح (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ط١، دار الأضواء، بيروت، ج٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١١٩.

ونظافته، فأخذ الحسن المزودين ودخل بها على المأمون، فاستحسن ذلك، وأمر بهما ففرغا وملئا دنانير[١]

فالمهدي فقير الحال ولذا قدم ما عنده، وبيّن سبب اختياره لهذه الهدية، وذلك ليستعطف المأمون الذي فرغ ما بهما من ملح وأشنان ملئا دنانير، وقد لجأ بعض العامة إلى تقديم الهدايا للأمراء والخلفاء من أجل الكسب المادي والنيل من العطايا الكثيرة.

ولا بد من أن يكون للزوجة الحظ الأكبر والنصيب الوفير من الهدايا، فالزوج يقدم أجزل الهدايا وأطيبها لزوجته ساعياً في كسب ودها ورضاها وسعادتها التي تعكس سعادته.

ب ـ الختان:

كانت العادة عندما يتم الختان أن تقام احتفالات بهذا المناسبة السعيدة تقدم فيها الهدايا، كانت العادة عند السلطان عندما يقام الختان أن يتخلل ذلك الاحتفالات مثل ركوب الخيل وإجادة الرماية بالسهام[٢].

كانت تقدم الهدايا بمناسبة الختان تقدم من مختلف طبقات المجتمع فالعامة والخاصة على اختلاف منازلهم، كانوا يتنافسون بتقديم الأفضل للشخص المهدى إليه، حتى وصل بهم الحد إلى المبالغات، والتسارع في تقديم الأفضل، وهنا اضطرَّت بعض طبقات المجتمع إلى تقديم ما تستطيع، حتى لو أنه لا تليق بمكانة الشخص المهدى إليه وفي نظر الآخرين حتى كان المهدى إليه أحياناً يعجب بها على الرغم من نوعيتها، وأحياناً يقدم المهدي اعتذاره للمهدى إليه عن عدم مقدرته لتقديم الأفضل لما يتناسب مع مكانة المهدى إليه الاجتماعية، مما يدفع المهدى إليه بالرد على هديته ومكافأته عليها.

ومما يدل على ذلك ما حصل مع يحيى بن خالد بن برمك[٣]، الذي كان له كاتب يختص بخدمته، ويقرب من حضرته، فعزم على ختان ولده، فاحتفل له الناس على طبقاتهم، وأهداه أعيان الدولة ووجوه الكتاب بالرؤساء على اختلاف منازلهم.

---

(١) واضح الصمد، **ديوان الأمين والمأمون**، دار صادر بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص١٨٦.

(٢) النويري، شهاب الدين، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تحقيق، الباز العريني وعبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٣١، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٣) يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل البرمكي الوزير السّري الجواد: كان سيد بني برمك وأفضلهم جوداً وحلماً ورأياً، وكان من أكمل زمانه أدباً وفصاحة وبلاغة، مات يحيى في سجن الرشيد في الرافقة في أوائل المحرم سنة تسعين ومائة. **معجم الأدباء**، ج٦، ص ٢٨٠٩.

وكان له صديق قد اختلت حاله وضاقت يده عما يريده لذلك مما دخل فيه غيره، فعمد إلى كيسين كبيرين نظيفين، فجعل في أحدهما ملحاً وفي الآخر أشناناً مكفراً، وكتب معها رقعه نسختها: لو تمت الإرادة لأسعفت بالعادة حتى أنه يخبره بأنه يتألم من التقصير فلم يجد طريقاً إلى قضاء حقك حتى إنه اشتهر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾[١].

ثم حضر يحيى بن خالد الوليمة، وعرض عليه وكيله جميع ما حمل إليه من الجهات أراه الملح والأشنان والرقعة، فاستظرف الهدية، وأعجب بالرقعة، وأمر الغلام أن يملأ الكيسين عيناً فكان أربعة آلاف دينار، وأعادها إليه[٢].

هذه إشارة إلى أن المجتمع العباسي كانت تتوزعه طبقتان مميزتان: طبقة الأغنياء، وطبقة الفقراء، فالخلفاء والوزراء والعمال والقواد كانوا يمثلون الطبقة الميسورة، أما سائر أبناء الشعب فكانوا يمثلون الطبقة البائسة المحرومة التي عاشت في ضيق، فالطبقة الغنية كانت تعيش فيها من يسر ورفاهية، وهذا يظهر ما كانت تقوم به من هبات وهدايا، وأما الطبقة الفقيرة فقد كانت تظهر بجلاء ما كانت تعانيه من الكفاف والعوز، ومن الضيق والشدة والعسر، مما يضطرهم إلى الاعتذار عن تقديم الهدية بما يناسب المهدى إليه.

كذلك، فان الختان تتخلله احتفالات لا تخلو من اللهو والطرفة والدعاية، ومن ذلك أنّ ابن بسام[٣] هجا بمقطوعات عدة، فنال منه وتمنى له المكروه واتهمه باللهو والبخل، فقال فيه – وقد ختن ابنه، مصوراً تصويراً لا يخلو من الطرافة والدعابة حفلة ذلك الختان التي أقامها الخليفة بهذه المناسبة:

انصرف الناس من ختان يرعون من جوعهم خزامى
فقلت: لا تعجبوا لهذا فهكذا تختن اليتامى[٤]

---

(١) **سورة التوبة**، الآية ٩١.

(٢) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن على (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م)، **التذكرة الحمدونية**، تحقيق: إحسان عباس، بكر عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، مجلد٥، ص١٦.

(٣) ابن بسام، علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام، أبو الحسن البغدادي العبرتاني الأخباري، أحد الشعراء البلغاء، وهو ابن أخت أحمد بن حمدون بن إسماعيل النديم، توفي سنة ٣٠٢هـ. **الوافي بالوفيات**، ج٢٢، ص١٤٩.

(٤) يونس أحمد السامرائي، **شعراء عباسيون**، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ج٢، ص٣٦٦.

ج- الشفاء:

اعتاد الناس تبادل الهدايا في مختلف المناسبات والمواسم، ومن ذلك مناسبة الشفاء وعيادة المرضى، إذ قدموا للمرضى هدايا تخفف آلامهم، وتُوثق أواصر المحبة بينهم.

وبين المهدين في هذا الباب، نقف عند هدية الخيزران للرشيد، قد تتناول دواءً لألم ألم به، فبعثت له أمه جارية بكراً هدية ومعها جام كتب عليه:

إذا خرج الإمامُ مِنَ الدّواءِ وأعقب بالسلامةِ والشفاءِ

فليس له دواءٌ غير شربٍ بهذا الجام ينزعُ بالطلاءِ

وفضَّ الخاتم المهدَى إليه فهذا العيشُ من بعدِ الدواءِ[1]

قدمت الخيزران هدية جارية بكراً ومعها جام، وقد كانت الخيزران ترمى من وراء ذلك إلى تحقيق غاية يدركها الرشيد إن أمعن فكره في فحوى الهدية، ولعلها أرادت بالجارية البكر أن تروح عن نفس الرشيد، وتخفف عنه همه وألمه، أما الجام ففيه الشراب الذي يطرد الهمّ عنه ويزيده حيوية ونشاطاً مما يساعد على شفائه.

ومن المناسبات التي تبوأت مكانة في الشعر مناسبة الفصد، التي تشبه أن تكون عملية جراحية، يستخرج بها كمية الدم الفاسد من جسم الإنسان فيعود له نشاطه، فقد وصف الشعراء هذه العملية التي كانت تجري لبعض الخلفاء أو الولاة أو الأمراء، وصفاً دقيقاً. وقد ذكر الشعراء أيضاً المواد المستخدمة فيها مثل العصائب، والطست، والسكين الحادة، ووصفوا أيضاً الدم حين خروجه.

وتعد عملية الفصد من العمليات الطبية المنتشرة في العصر العباسي، فمن يقوم بالفصد لا بد أن يكون حاذقاً ماهراً، ينتقي الوقت المناسب لعملية الفصد، فضلا عن اختيار العضو المناسب في الجسم أيضاً، فقد كانت عملية الفصد شائعة آنذاك، ونستطيع تشبيهها بالزيارات للمرضى في هذه الأيام حين تصطحب معك هدية، وقد تكون هذه الهدايا من المأكولات، أو الحلوى أو الفواكه أو الزهور، ونجد أن هذه الهدايا تتنوع وتختلف وفق حالة المريض ودرجة القربى منه، فالأقارب يحضرون المأكولات، أما الأصدقاء فيحضرون الورود، كما أن الهدية تمثل نوعاً من رد الجميل، فالهدية لها ارتباط بالوضع المادي للمهدي والوضع الاجتماعي أيضا،

---

(١) الراغب الأصبهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج٢، ص٤٢٤.

ومن الغريب أن بعض الجواري والقيان كن يقبلن على الفصد من غير سبب، وذلك للحصول على الهدايا الثمينة من عشاقهن من حلي وملابس وعطور.

ومن المعروف أن الناس يقدمون في المناسبات أفضل ما عندهم من هدايا تليق بالمهدى إليه، وقد قدمت الهدايا بمناسبات مختلفة، ومنها مناسبة الفصد، ويظهر ذلك عندما كتب العباس ابن رشيد إلى صديق كان مشغوفاً به:

الناسُ يهدون إلى المفتصد أَحْسَنَ مَا يلقونَه في البلد

فأهدِ لي وجهَك يا سيدي فإنه أحسن شيء يَرِد![1]

فالناس في هذه المناسبة يقدمون أفضل ما عندهم من هدايا تليق بالمهدي إليه، وإذا كان الناس يقدمون هدايا مادية، فهو يقدم نفسه هدية، لأنه أفضل شيء عنده، وهذه دلالة على شغفة وحبه له، فهو يرد الجميل بأحسن منه.

اعتاد الناس قديما كما هو في عصرنا الحاضر تقديم الهدايا لمن تجرى له عملية الفصد، فضلاً عن تقديم التهاني بالشفاء، ويشير الشاعر في شعره الآنف إلى أن الناس يقدمون لمن يفتصد أحسن ما في الأسواق والمحال، لكنه يطلب من صديقه أن يهديه رؤية وجهه الحسن، لعله يرى صديقه الذي انقطع عنه منذ زمن، وهو بذلك يعبر عن شوقه وحبه لصديقه، وهذا نوع من الحض على زيارته ورؤيته، لأن ذلك أجمل هدية يقدمها، حيث إن الشاعر يشير إلى أن هذه الهدية لا ترد.

وفي مناسبة الفصد نفسها، يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[2]:

حبيبي فصدتُ العِرق من أجلِ علةٍ فلم تهدِ لي فيه وصالاً مجدَّدا

فأهديتُ نفسي يوم فصدي بوصلِها إليكَ فخذها كي تكون لك الفِدا[3]

نرى في هذه الأبيات أن الشاعر يشير إلى أنه أجرى عملية الفصد شاكياً حبيبته التي لم تهد له وصالاً وحباً، فيهدي نفسه لها يوم فصده لتكون له فداء وشفاء.

---

(١) الأصبهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج٢، ص٤٢٣.

(٢) عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر بن الحسين، راوية للشعر والأخبار، وكان شاعراً لطيفاً، له كتاب الإشارة في أخبار الشعراء، توفي في بغداد سنة ٣٠٠هـ. **الأغاني**، ج٨، ص ٤٤-٤٥.

(٣) الأصبهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج٢، ص٤٢٤.

وهكذا اشتهرت الهدايا التي تُقدم في الفصد؛ لأنها عملية ليست سهلة يواجه فيها المريض آلاماً وعناءً، فيتهافت عليه الناس بالتهاني والهدايا تعبيراً عن تعاطفهم معه.

وقد يلجأ الشعراء إلى وصف عملية الفصد نفسها، كما يظهر ذلك في قول عبد الله بن المعتز بالله:

لَيْسَ ما حَلَّ بالحديدِ من الكسـ ـرِ وتثليم حَدِّه بعجيب

عَجَبي إذْ مَدَدْتَ لِلفَصْدِ كَفًّا كيفَ لم يَنْصَدِعْ فؤادُ الطبيبِ[١]

لم يتعجب الشاعر من الحديد وتثليمه، لكن يتعجب من فصد الكف الذي لم ينصدع قلب الطبيب منه، فإن عملية تثليم الحديد ليس بالأمر السهل، ومع ذلك لا يرى الشاعر فيها العجب، ولكنه يتعجب كيف لا يحزن ولا يجزع قلب الطبيب من رؤيته لعملية الفصد، ولا يتأثر بها، ونحن نلاحظ أن الطبيب يقوم بشرطه بإجراء العمليات الجراحية بكل قوة وقلب وجرأة، فهو يجرح من أجل أن يداوي، لذا على الطبيب أن يتصف بالجرأة وقوة القلب، ليستطيع أن يداوي المرضى، ولو لم يتصف بهذه الصفات لما استطاع مداواة العليل.

ولقد أسهب الوشاء في كتابه الموشى في ذكر أنواع كثيرة من الحلي التي كانت تهدى للنساء، وأوردها في ذم القيان باصطناعهن العلة أو الفصد للحصول على الهدايا المختلفة من عشاقهن من حلي وملابس وعطور فقال:

فتفصد لا من حاجة لفصادها ولكن لتكليف الهدية في الفصد

فمن بين خلخال يصاغ وخاتم ومن دملج[٢] يهدى على أثر العقد[٣]

إن العجيب في الأمر أن بعض الجواري القيان كن يقبلن على الفصد من غير سبب، وذلك للحصول على الهدايا الثمينة من عشاقهن من حلي وملابس وعطور، ويشير الشاعر هنا إلى أنه لا حاجة للفصد، ولكن السبب الرئيس هو الحصول على الهدايا الثمينة من العشاق

---

(١) ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن المعتز بن المتوكل على الله ابن المعتز بالله بن هارون الرشيد، (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م)، **الديوان**، تحقيق: يونس أحمد السامرائي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ص٤٦٣.

(٢) دملج: المعضد من الحلي، جيد الصنع.

(٣) الوشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ج٤، ص ١٢٠. وانظر أيضاً: الأطرقجي، واجدة مجيد عبد الله، **المرأة في أدب العصر العباسي**، دار الرشيد، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص٢٦١.

والأصحاب، ثم يذكر بعض هذه الهدايا مثل: الخلاخيل والخواتم والحلي المختلفة، فضلاً عن الملابس.

وقد يظهر أيضاً أن الهدايا قد تنوعت في هذا المناسبة حتى إن الشاعر أحياناً لا يملك المال ليهدى به كما فعل الناس، لكنه لا يملك سوى المدح وربما كان ذلك سبيلاً للوصول إلى العطاء وحسن الجزاء، بدليل قول الصولي حينما كتب إلى ابن الأشعث، وقد افتصد:

سبقتَ إلى فَصدةٍ شافيةْ فأعقَب في سبقكَ العافيةْ

وبادر بركَ أهلُ الثراء فجاءَتْ هداياهُم غاديةْ

وراحت لنا مدحة لم تزل بمثلك أمثالها عاليةْ

جرى الدم من راحة لم تزل بأنعمها سحة جاريةْ

وهذى هدية من لم تكن دراهمه جمةً وافيةْ[1]

يشير الشاعر إلى أن ابن الأشعث اضطر لإجراء عملية الفصد من أجل الاستشفاء، وأعقب عملية الفصد الشعور بالراحة والعافية، ثم يشير الشاعر إلى الأثرياء الذين بادروا إلى إرسال الهدايا الثمينة والقيمة التي تليق به، ثم يقول الشاعر إنه بعث بهدية مثل هؤلاء، ولكنها هدية من نوع خاص فهي المدح، والمدح يليق بأمثال الممدوح.

ثم يمدح الشاعر في البيت الرابع ابن الاشعث، فيقول إن اليد التي جرى دمها هي يد دائمة العطايا، فهي كالغيمة التي تسح المطر على الدوام، ويؤكد أنها هدية ويعذر عنها، لأنه لا يملك الدراهم الكافية لكي يشتري هديه ثمينة قيمة للممدوح.

وقد نلاحظ أنَّ الشعراء في هذه المناسبة (الفصد) قد أكثروا من استهداء النبيذ، وربما كان سبب ذلك أنَّ العملية مؤلمة، فلذلك فهم يطلبون النبيذ ليفقد المريض الشعور بالألم، وقد استخدم القهوة من أسماء الخمرة، فلم يكتفوا بذلك فقد مدح أصحاب هذه المهنة لمهاداتهم بها، ومما يدل على ذلك قول السّريّ الرَّفاء، يستهدي نبيذا وقد فصد:

أرقْتُ دَماً أَرجُو الشِّفَاء وإنَّما بكأسِ مُدَامٍ مَنْ أراق دَماً يُشْفَى

فَجُدْ لِي بها صِرْفاً إذا مامَزَجْتُها أتاحَتْ لِصَرْفِ الدَّهْرِ مِنْ رَاحِتِي صَرِفاً

---

(١) الصولي، **أخبار الشعراء المسمى كتاب الأوراق**، ص٢٤٧.

فما الجُودُ إلاَّ أنْ تَجُودَ بقَهْـــوةٍ وما الظَّرْفُ[١] إلاَّ أنْ تُكبِّر لي الظَّرفَـا[٢]

يرى الشاعر أنّ عملية الفصد أراقت من دمه كي يشفى، ولكنه يرى أن الشـفاء يتجلـى في كأس من الخمر، وهو شفاء لمن فصد، ثم يطلب منه أن يجود بالنبيذ عليه حتى إذا ما شربها شعر بالارتياح من عناء الدهر، ثم يضيف في البيت الثالث فيقول إنَّ غاية الكرم هـو أن يجـود عليه الممدوح بقهوة ويقصد بها (الخمرة)، ومن اللطيف أن يكون الوعاء كبيراً يروي عطشه من النبيذ.

ولم يكتف الشعراء في تقديم الهدايا في الفصد، فقد لجأ بعض الشعراء إلى مدح الفصـاد وقدرته ووقت الفصد، وقد اتضح ذلك في قول كشاجم في مدح فصَّاد:

كأنَّه من نَصيـحةٍ وَتَـقـى لِنَفْسهِ دُونَ غَيْرِهِ فَأَصِـدْ

انْ جَمَدَ الطَّبْعُ حَلَّ منه وانْ ذابَ انحِلالاً أعادَهُ جَامِدْ[٣]

يريد أنّ هذا الفصّاد لا مثيل له، إذ إنه حاذق في مهنته، حتى إنه قادر علـى أن يحـل الطبع الجامد، أو على العكس، فهو قادر على أن يجعل الطبع الذائب جامداً. كذلك تعرض بعض الشعراء إلى تحديد وقت الفصاد يقول الصنوبري[٤]:

فُصِدْتَ والأيامُ مُبْيَضَّةٌ يَبْيَضُ من مُبْيَضِّها الحِنْدسُ[٥]

فقد أشار الشاعر أنَّ الفصد تم في الأيام البيض، فلا بد من التساؤل لماذا ذكر الفصد في الأيام البيض؟ وما دلالة ذلك ؟ يدل تحديد الفصد في هذه الأيام على أنها أيام مباركـة عنـد الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى يقبل الدعاء فيها، أما بالنسبة لعملية الفصـاد كمـا ذكرهـا كشاجم في مدحه للفصَّاد، فهي من العمليات الطبية المنتشرة في العصر العباسـي، فمـن يقـوم بالفصد لابد أن يكون حاذقاً ماهراً ينتقي الوقت المناسب لعملية الفصد، فضلاً عن اختيار المكان

---

(١) الظرف: الوعاء، **الوسيط**، مادة (ظرف).

(٢) السري الرفاء، **الديوان**، ج٢، ص٤٣٩.

(٣) كشاجم، **الديوان**، ص١٧٤-١٧٥.

(٤) الصنوبري، احمد محمد بن الحسن الضبي (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م)، **الديوان**، تحقيـق: إحسـان عبـاس، ط١، ١٩٩٨، بيروت، ص١٥١.

(٥) الحندس: الظلام الشديد، **الوسيط**، مادة (حندس).

المناسب في الجسم أيضاً، ثم يتأتى دور الفاصد هنا هو رجل متمكن كأنه هو مخصص لهذه العملية. وهو فصَّاد حاذق حتى إنه يتفنن في عمليه الفصد لتكون ناجحة غير مؤلمة، وهنا نلاحظ وصفاً للفصَّاد ومهارته وحذاقته في مهنته وفهمه أيضاً لما يقوم به من مخاطرة في إجراء الفصد للمريض، وقد اشتهر بعض الفصادين بخفة أيديهم ومهاراتهم وحذقهم. يقول الشاعر علي بن الجهم في هدية بمناسبة الفصد:

طَلَبْتُ هَدِيَّةً لك باحْتِيَالي عَلَى مَا كانَ مِنْ حِسِّي وَبَسِّي

فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ شَيْئاً نَفِيساً يَكُونُ هَدِيَّةً أَهْدَيْتُ نَفْسِي[1]

يشير هذا البيتان أنه عندما افتصد الخليفة المتوكل في إحدى المرات كانت هذه مناسبة أن تقدم له الهدايا فيها، حيث قام كل من في خدمته من البطانة والخدم والحشم والجواري بتقديم هدية له، فاحتال شاعرنا هنا وبحث عن هدية يهديها للخليفة تكون على قدره العالي في المستوى وبعد بحث وتقصٍ فلم يجد إلا أن يهديه نفسه هدية مناسبة لهذا القدر الجليل.

د – الحج:

الحج مؤتمر التماسك والوحدة الاجتماعية، يتضح فيه التقاء القلوب وتقارب الأهواء واتحاد الأفئدة، لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون الحج مجمعاً لتأليف كلمة المسلمين في جميع بقاع الأرض مهما اختلفت الأوطان واللغات والأجناس في مكان واحد. يمارسون شعائر واحدة تدل على وحدة أصلهم البشري.

وبعد الانتهاء من مناسك الحج يفرح المسلمون وتغمرهم البهجة والسرور، متضرعين لله عز وجل أن يقبل حجهم، فرحين بعودتهم إلى أوطانهم، وهم يحملون الهدايا لتقديمها إلى أقاربهم وأصدقائهم، تعبيراً عن مودتهم واحترامهم، وتقديراً للعلاقة التي تربطهم، ومازالت الهدايا منذ القدم إلى يومنا تجلب مع الحجاج والزوار.

كانت العادة جارية عند المسلمين أنه عندما يحج الحاج يحضر معه الهدايا، كالأراك، والنعال، والبرد، وغيرها من الهدايا، فهذه لها دلالة دينية ومعنوية ونفسية في نفس المهدى إليه، وقد كان أبو العتاهية يحج كل سنة، فإذا قدم أهدى إلى المأمون برداً ومُطرفاً[2] ونعلاً سوداء

---

(١) علي بن الجهم، أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشي (ت ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م)، **الديوان**، تحقيق: خليل مردم بك، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ١٥٠.

(٢) المُطرفُ: رداء أو ثوب من خزٍّ مربع ذو أعلام (مادة طرف)، **الوسيط**.

ومساويك أراك، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم، فأهدى مرة له كما كان يهدي كل سنة إذا قدم، فلم يثبه ولا بعث إليه بالمكافأة، فكتب إليه أبو العتاهية:

خَبِّرونِي أنَّ مَن ضَرْبِ السَّنة جُدُداً بيضاً، وحُمراً حَسَنَهْ

لَمْ أكنْ أعهَدُها فيما مَضَى مثلَ ما كنتُ أرى كلَّ سَنَةْ[1]

فأمر المأمون بحمل العشرين الألف وقال: أغفلنا حتى ذكرنا.

يريد الشاعر من تقديم من هذا الهدايا الوصول إلى المأمون، لكي ينال من عطاياه، وربما كان الخليفة يفضل هذا النوع من الهدايا التي جلبها الشاعر من الحجاز، وقد استعمل الشاعر هذه الهدايا أسلوباً للوصول إلى الخليفة والنيل من عطاياه، فأبو العتاهية عندما أهدى المأمون ولم يُثبه على هديته أنشده حتى يذكره بأن لا ينساه من عطاياه وعدَّها سُنّة، فهذه إشارة إلى أن الهدايا استخدمت وسيلة من أجل الكسب المادي والنيل من عطايا الأمراء والخلفاء.

ويلاحظ أن الخليفة سنّ لهم سنة حسنة، فكلما أهدى له شيئاً أهدى له بأحسن منه، ولما خالف السنة التي سنها فلم يهد له شيئاً أراد أن يذكر المأمون بما سنّه من تقديم العطايا مقابل الهدايا التي تهدى إليه، وبعد ذلك أجزل المأمون له العطايا.

ويتضح أن المأمون كان يحب الهدايا التي يجلبها الحجاج مثل السواك والنعال والبرد، فلذلك خص الشاعر المأمون بهذه الهدايا لينال مكافأة عليها.

وقد اتخذ بعض الشعراء الهدايا إشارة إلى النوادر التي تحصل بين الشعراء والأمراء والخلفاء، ويتضح ذلك في قول خلف الأحمر:

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّرَيّا عَلَى مَا كَانَ مِنْ بُخْلٍ ومَطْلِ

هُمُ جَمَعُوا النِّعالَ وأحْرزُوها وسدُّوا دُونَهَا باباً بقُفْلِ

إِذَا أَهديتُ فاكهةً وشَاةً وعَشْرَ دَجائِجٍ بَعَثُوا بِنَعْلِ

ومِسْوَاكَيْنِ طُولُهُما ذِرَاعٌ وَعَشرٌ من رَديءِ المُقْلِ[2] خَشْلِ[3]

---

(١) أبو العتاهية، **الديوان**، ص٣٤٠. انظر أيضاً: العباسي، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، ج١، ص٢٩٠.

(٢) المُقل: حَمْلُ الدَّوم وهو يشبه النخل. **الوسيط**.

(٣) خشل: الرذل، الرديءُ. **الوسيط**.

فإن أهديتُ ذاك لتَحْمِلُوني على نعل فَدَقَّ اللهُ رِجْلِي

أناسٌ يأنَفُون لهم رُواءٌ تَغِيمُ سماؤُهُمْ من غَيْرِ وَبْلِ

إذا انْتَسبوا ففرعٌ من قريشٍ ولكنَّ الفِعالَ فَعالُ عُكْلِ(١)

هذه إشارة إلى بعض نوادر الهدايا، إذ يشير الشاعر إلى الهدايا عندما تُبعث للمهدى إليه، فإن المهدى ينتظر أن يقدم المهدى إليه هدية تفوق ما بعث إليه من هدايا، لأن كثيراً من الهدايا التي تقدم إن كانت عظيمة الشأن، ربما تأتي وتقدم مقابلها هدايا صغيرة لا تليق بما قدم إليه، ولا تليق بمنزلة صاحب الهدية أو المهدى إليه.

إنّ الأحمر وقد ذكر هديته لا يجد مثل ذلك من هدايا غيره، بل هم يقدمون له أرداً ما عندهم كالنعل، والمساويك رديئة النوع، وهذا يشّف عن صفة الهدية، وما ينبغي أن تكون عليه، فالإنسان ينبغي أن يهدي أفضل ما عنده، ولعل الشاعر أراد أن ينتقد البخل في الهدية، وأنّ هناك هدايا غريبة ونادرة مثل هذا اللون عندما قال عشر دجائج ومسواكين طولهما ذراع وعشر من رديء المُقل، وقال شاعر أخر في المعنى نفسه يذم جاراً له أتى من الحج ولم يهدِ إليه شيئاً.

عَبّاسُ ما وَجْهُك بالهشِّ ولا أُبرئكَ من الغِشِّ

لم تُهدِ لِي نَعْلاً ولا مُقْلَةً كأنَّما جِئْتَ مِن الحُشِّ(٢) (٣)

وهنا لم يظهر هذا الجار عناية بجاره إذ لم يجلب له من الهدايا ومنها النعل، وبذلك كانت هدايا النعل تقدم بشكل كثير، فهو يصف الجار بالبخل لأنه لم يأت له بما يطمع من هدايا.

نلاحظ أن أشنع الهدايا التي تقدم بمناسبة الحج هي (النعال) وربما قد كثر تقديمها في هذه المناسبة، لأنه يحمل تعريضاً أو شتماً، لأن النعل يرمز للشتم في أغلب الأحيان، ويدل على ذلك قول دعبل حينما وعده رجلٌ أن يهدي إليه نعلاً عند قدومه من الحج، فأبطأت عليه، فقال دعبل الخزاعي:

وعَدْتَ النَّعْلَ ثُمَّ صَدَفْتَ عَنْها كأنَّكَ تَشْتَهِي شَتْماً وقَذْفا

---

(١) عُكْل: اللئيم، مادة (عَكَل). **الوسيط**. القرطبي، **بهجة المجالس وأنس المجالس**، مجلد ١، القسم ١، ص٢٨٥.

(٢) الحش: البستان، النخل المجتمع، الحُشة، الغيمة العظيمة، مادة (حش)، **الوسيط**.

(٣) القرطبي، **بهجة المجالس وأنس المجالس**، مجلد ١، القسم ١، ص٢٨٥..

فإنْ لَمْ تُهْدِ لِي نَعْـلاً فكُنْـها إذا أعْجَمْتَ بَعْدَ النّونِ حَرْفَا[١]

يبدو أن هذه الأبيات تحمل تعريضاً أو شتماً، لأن النعل يرمز للشتم في أغلب الأحيـان، فيعاتِب دعبل هذا الرجل لإبطائه في إنجاز الوعد، ومن ثم فكلمة نعل ربما أراد بها شتيمة وفـق ما تحمل هذه الأبيات (بغل)، ومع ذلك فقد لا تخلو مثلُ هذه الأشعار الفكاهية من الظرف كما في لباقة الالتماس، وطرافة السياق، والمعرض، أو روح الفكاهة والسخرية على الرغم من ابتـذال الموقف وتفاهة الموضوع، فالعبرة في الأدب ليست فقط بالموضوع والمناسبة، وإنما بشخصـية الشاعر وطبيعة مزاجه، وما أوتيه من ذكاء وخصب قريحة، وطلاقة خيال، وطاقة إبداع، ولعـل من خصائص الأديب الناجح إضفاء الفن والحياة على أبسط الأشياء والقدرة علـى الخلـق مـن لاشيء أي من أصغر الأمور وأيسرها ولربما أتفهها وأحقرها.

ومن المعروف أيضاً أن النعال كانت تجلب من اليمن، وكانت الخيل تلبس النعال حفاظاً على سنابكها من التورم من شدة المشي، فكان الحجاج يضعون النعل في أعناق الهـدايا دلالـة على أن البعير هدي، ثم يتركون النعال لفقراء مكة بعد النحر، وكانوا ينزعون النعل عند الدخول على العظماء.

ومن الشعراء الذين طلبوا هدية النعل من الحاج بشار بن برد يقول[٢]:

لم تُهْدِنَا نَعْلاً ولا خَاتماً مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ مِن الحُشّ[٣]

فكانوا يمدحون جودة النعال، وأنه يفوح منها العطر والعنبر، بالإضافة للنعل فقـد كـان الحجيج يعودون محملين بالهدايا ومنها المساويك، وذلك لأهميتها وفائدتها، ولأنهم يتخذونها سـنة محببة إليهم، ويدل على ذلك عندما كتب الحمدوني إلى جارية اسمها برهان قد حج مواليها فقال:

حجوا مواليكَ يا برهانُ واعتمروا وقد أتتكَ الهـدايا من مواليـكِ

فأطرفيـني ممـا أطرفـوك بـهِ ولا تكنْ طرفتي غير المساويكِ

ولستُ أقبـلُ إلا ما جلـوتِ بـهِ ثنيتكِ ومـا رددتُ في فيـكِ[١]

---

(١) دعبل بن علي الخزاعي، **الديوان**، ص١٩١-١٩٢.

(٢) بشار بن برد، أبو معاذ، بشار بن برد بن بهمن (ت١٦٦هـ/٧٨٢م)، **الديوان**، شرحه وعلق عليـه: محمـد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج٤، ص٥٤.

(٣) الحش: موضع قضاء الحاجة. **الوسيط**.

تنم هذه الأبيات عن عادة كانت سائدة في المجتمع العباسي وغيره، فمن المناسبات التي يتبادل فيها الناس الهدايا (الحج) إذ كان الحجيج يعودون محملين بالهدايا، وتبين هذه الأبيات الهدايا التي يمكن أن يأتي بها الحجيج مثل السواك، وقد أكد الإسلام قيمة السواك وفائدته، فهو مطهرة للفم ومرضاة للرب ويبطئ الشيب ويذكّر بالشهادتين[٢].

وكذلك تبين الأبيات بأن الهدايا التي قدمت له من الحج المساويك ويقول: لا أقبل المساويك إلا المساويك التي استاكت بها محبوبته دلالة على شوقه وحبه وتعلقه بها، فالأبيات توحي في ظاهرها بالغزل، فهو يصف ما أهدي إليه، يطلب هدية غير المساويك، ولا يقبل من المساويك إلا المساويك التي استاكت فيها محبوبته، مما يدل على التعلق والعشق للمحبوبة.

كذلك يظهر في شعر الهدايا إهداء الحديث، ويتضح ذلك في شعر أبي نواس حينما قال:

أُهْدِي له طُرَفَ الحَدِيـ ـث لأستعيدَ بها كلامَهْ

لا غايتي منه هـوىً تُلْقَى مَغبَّتَهُ نَدَامَـهْ

إن المحبَّ تبينُ نَظْـ ـرته إذا نظر السَّلامَهْ[٣]

فهو يهدي أطراف الحديث، فشبه حديثه بالهدية لقيمة كلامه ونصائحه، فقد تفردت هذه الهدية عن غيرها، إذ لم يكن شيئاً مادياً أو معنوياً، إنما كانت حديثاً، ومن الطريف حقا أن يكون هدف الشاعر من تقديم هذا الهدية مبادلة الحديث ليتشاطرا معا تلك الهدية.

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق: سليم النعيمي، دار الذخائر للمطبوعات، قم، إيران، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٥، ص٣٦٠.

(٢) القاضي الرشيد بن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص ١١-١٢.

(٣) أبو نواس، الحسن بن هاني (ت١٩٨هـ/٨١٣م)، **الديوان**، حققه: أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٥٠٥.

فكانـــوا يمدحون جودة النعال، وأنه يفوح منها العطر والعنبر، بالإضافة للنعل فقد كان الحجيج يعودون محملين بالهدايا ومنها المساويك، وذلك لأهميتها وفائدتها، ولأنهم يتخذونها سنة محببة إليهم، ويدل على ذلك عندما كتب الحمدوني إلى جارية اسمها برهان قد حج مواليها فقال:

حجوا مواليكَ يا برهانُ واعتمروا وقد أتتكَ الهـدايا من مواليـكِ

فأطرفيـــني ممـــا أطرفـــوك بـــهِ ولا تكنْ طرفتي غير المساويكِ

ولستُ أقبـــلُ إلا ما جلـــوتِ بـــهِ ثنيتكِ ومـــا رددتُ في فيـــكِ[١]

تنم هذه الأبيات عن عادة كانت سائدة في المجتمع العباسي وغيره، فمن المناسبات التي يتـــبادل فـــيها الناس الهدايا (الحج) إذ كان الحجيج يعودون محملين بالهدايا، وتبين هذه الأبيات الهـــدايا التي يمكن أن يأتي بها الحجيج مثل السواك، وقد أكد الإسلام قيمة السواك وفائدته، فهو مطهرة للفم ومرضاة للرب ويبطئ الشيب ويذكّر بالشهادتين[٢].

وكـــذلك تبـــين الأبـــيات بأن الهدايا التي قدمت له من الحج المساويك ويقول: لا أقبل المـــساويك إلا المساويك التي استاكت بها محبوبته دلالة على شوقه وحبه وتعلقه بها، فالأبيات توحـــي في ظاهرها بالغزل، فهو يصف ما أهدي إليه، يطلب هدية غير المساويك، ولا يقبل من المساويك إلا المساويك التي استاكت فيها محبوبته، مما يدل على التعلق والعشق للمحبوبة.

كذلك يظهر في شعر الهدايا إهداء الحديث، ويتضح ذلك في شعر أبي نواس حينما قال:

أُهْدِي له طُرَفَ الحَدِيـــ ث لأستعيدَ بها كلامَهْ

لا غايتي منه هـــــوىً تُلْقَى مَغبَّتهُ نَدَامَـــــهْ

---

(١) الزمخـــشري، أبـــو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق: سليم النعيمي، دار الذخائر للمطبوعات، قم، إيران، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٥، ص٣٦٠.

(٢) القاضي الرشيد بن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص ١١-١٢.

الفصل الثاني

المعاني المشتركة في شعر الهدايا

من المعروف أن الاهتمام بالهدايا كان منذ القدم، ولكنه نضج وازدهر في العصر العباسي، فقد بدأ الاهتمام بالهدايا كما تقدم قبل الإسلام من خلال الاهتمام بمظاهر الحضارة من تحف ومظاهر الزينة من جواهر وحلي، ومظاهر الطبيعة وجمالها الخلاب الذي يمثله القصر والعود والكافور ذو الرائحة الجميلة.

ولم تقتصر الهدايا على أدوات الزينة والحلي والجواهر، بل نلاحظ أنها تنوعت لتشمل كثيراً من الأشياء الثمينة والرخيصة التي يمكن أن تكون هدية مقبولة.

فالهدية إذن قديمة جداً لأنها من الناحية الاجتماعية ارتبطت ارتباطاً كبيراً بالمناسبات وخاصة في مناسبة الزواج.

وللهدية أهمية كبيرة في التعبير عمّا في القلب والنفس من حب وتقدير، ويظهر هذا التعبير من خلال قيمة الهدية المادية المتواضعة أو قيمتها المعنوية.

ومن الجدير بالذكر أن الهدايا لم تقتصر على الخلفاء والوزراء والولاة والشعراء، بل امتدت إلى عامة الناس فهي ليست مقصورة على الخواص، ومن العادات المتوارثة عن الهدايا قديماً وحتى حديثاً إرسال الورد مع الهدية(١).

وقد ندب الدين الإسلامي إلى الهدية وحثّ عليها، وعدّها عنصراً لتشيد المحبة والمودة بين القلوب، وقد أجمعت الأمة على جوانب أخذ الهدية ورغّب الإسلام في إعطائها لما في ذلك من تأليف القلوب وتوثيق عرى المحبة والتواصل بين الناس وتنمية العلاقات بينهم وتقريب بعضهم البعض(٢) .

وقد شكّل تبادل الهدايا على اختلافها، مظهراً من المظاهر الحضارية لدى الأمم والشعوب القديمة كالهنود والصينيين والفرس واليونان والفرنج والفراعنة، فضلاً عن العرب الذين تبادلوا الهدايا قبل الإسلام، وقد تعددت موضوعات شعر الهدايا في العصر العباسي وشكلت مظهراً مهماً من مظاهر الأدب الاجتماعي آنذاك، ولذا رأيت أن أقسم هذا الفصل إلى موضوعات ومضامين جاءت مترابطة ومتصلة مع بعضها البعض التي تعود علينا بنتائج ايجابية، وقد وضعتها تحت عنوان المعاني المشتركة في شعر الهدايا.

وقد حاولت أن أعرض من خلال هذا العنوان المضامين التي تقع في دوائره ومنها طلب الهدية، قبول الهدية، والشكر على الهدية، والاعتذار، وذم الهدية، ورد الهدية، ووصف

---

(١) القاضي، الرشيد الزبير، **الذخائر والتحف**، ص ٣.

(٢) الثعالبي، **آداب الملوك**، ص٢٤٣.

الهدية، والهدية والغزل، والهدية والمدح. وقد عرضتها مرتبة وفق التسلسل الذي اقتضته طبيعة الموضوعات ومنهج الدراسة.

أولاً: طلب الهديّة

يُعدّ طلب الهديّة غرضاً من أغراض شعر الهدايا، طرقه الشعراء لينالوا ما يطمحون إليه من الأمراء والخلفاء والقادة والولاة الذين تنوعت هداياهم إلى الرعية تنوعاً كبيراً، كما لجأ كثير من الشعراء إلى وصف الهديّة التي يطلبونها بشكل دقيق مفصلين في إيراد صفاتها الحسنة؛ وهم يحرصون بذلك على انتقاء الهديّة التي تناسبهم وتليق بهم.

وقد كان الشعراء يعمدون إلى طلب الهديّة عن طريق السؤال والتعجب والأمر أحياناً. وفي كل هذا كانت تظهر قيمة الهديّة، وشخصيّة صاحبها، حتى عُدت الهديّة عندهم مما يبذله الجواد المعطاء. ونجد أنّ بعض الشعراء كانوا يصفون الهديّة وصفاً هندسياً دقيقاً، وهذا على غير المألوف، لأنّ الهديّة لا تقاس بقيمتها المادية بقدر قيمتها المعنوية التي تكسبها من المُهدي. فقد تكون الهديّة أحياناً قليلة المقدار، لكنها عظيمة في نفس المُهدى؛ لأنهما من محبّ أو صديق.

ومن الملاحظ أننا نجد الشعراء ينوعون في أساليب طلب الهديّة، فبعضهم يعرض حاجته بأسلوب فكاهيّ لطيف؛ لاستمالة المُستهدى في تقديم الهديّة. وبعضهم يعمد إلى إشباع غريزته، كما فعل البحتري في مغازلة أحد الغلمان. وفي كل هذا كانت الهدايا تُثري الشعر بقصائد جميلة تظهر فيها براعة الشعراء في الوصف وتعظيم الهديّة، بوصفها نوعاً من ردّ الجميل لصاحب الهديّة وشكره.

ارتبط شعر المدح بشعر الهدايا ارتباطاً وثيقاً، وخاصة عند الشعراء الذين كانوا يستهدون الولاة والخلفاء؛ لأنّ المديح يتبعه هديّة من عند الخليفة أو الوالي، لذلك كان شعراء الاستهداء يحرصون على افتتاح قصائدهم بالمديح، مما جعل الولاة والخلفاء يقدمون أفضل الهدايا لهؤلاء الشعراء لكسب مدحهم وتمجيدهم. والجدير ذكره أنّ اهتمام الشعراء لم يقتصر على الهديّة فحسب، بل اشتمل أيضاً حامل تلك الهديّة، فالشاعر يميل إلى أن ينقل له الهديّة شخص يليق بمقامه ومقام الهديّة التي يحملها، وقد بيّن البحتري ذلك حينما كتب إلى محمد بن القاسم القمحي يستهديه نبيذاً؛ فبعث إليه ما طلبه مع غلام أمرد، فخمّشه البحتري؛ فغضب الغلام غضباً شديداً، وظن البحتري أنه سيُخبر مولاه بما جرى فكتب إليه:

أَبَاجَعْفَرٍ كانَ تَجْمِيشُنا غُلامَكَ إِحْدَى الهَنَاتِ الدَّنِيّهْ

بَعَثْتَ إِلَيْنَــا بشَمْــسِ المُــدَام تُضــيءُ لنا مَعَ شَمْسِ البَرِيَّــهْ
فَلَيْتَ الهديّة كانــت هي الــر رسُولَ وليتَ الرَّسُــولَ الهدَّيهْ[1]

فبعث محمد بن القاسم بالغلام إليه هديّة، فانقطع البحتري بعد ذلك عنه مدة خجــلاً ممــا جرى، فكتب إليه محمد بن القاسم:

هَجرْتَ كأن البِرَّ أعقَبَ حَشْمَةً ولم أرَ بَرّاً قَبْلَ ذا أعقب الهجرا[2]

إنّ الاعتداء على الغلام حامل الهديّة يعد إهانة دنيئة له، فهو يطلب النبيذ هديّــة، لكنــه أصبح ينظر إلى الغلام الجميل الذي حمل هذه الهديّة، فقد شُبّهه بالشمس التي أضــاءت البريــة لجماله وحسنه، فهو يتمنى أن يكون هذا الغلام هو الهديّة دلالة على عشقه ومحبته له، وفي هــذا إشارة إلى أن تطلب الغلمان وعشقهم في العصر العباسي كان منتشراً بسبب التــرف والمجــون وانحطاط الأخلاق آنذاك.

شاعت الهدايا واستمرت وتأصلت في النفوس، لانسجامها مع ميول الإنســان ورغباتــه، ولارتباطها بعاطفة الحب؛ ولهذا نجد الشعراء يوظفون الأساليب الفكاهيــة اللطيفــة فــي طلــب حوائجهم من الأصدقاء والمحبين، ويتضح ذلك في قول ابن الرومي حينما قال يمدح وهب بــن جامع الصيدناني، ويستهدية بنفسجاً:

يا بــاذلَ العُــرفِ لأعدائــــهِ مُذ كان فضلاً عن أوِدَّائــهِ
ويــا أخــا الجــودِ وخُلْصانَــهُ لكُــلِّ ما يشفيــه من دائــهِ
جــاءَ البنفسُ الرَّطبُ فامْنُنْ به مــا دام مَطلــولاً بأندائــهِ
قــد جــادتِ الأرضُ بانبــاتــهِ فجُدْ لنــا أنــت بإهْــدائــهِ
ولا تكــن أبخــلَ مــن طينــةٍ تُبديه في إبَّـــانِ إبــدائــهِ
ما الأرضُ أولى من فتى ماجــد بفعــلِ معــروفٍ وإسدائــهِ

---

(١) البحتري، أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحيى (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) ، **الديوان**، حققه وشرحه: حســن كامــل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هــ/١٩٦٣م، مجلد١، ص٤٦٩-٤٧٠.

(٢) العباسي، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، ج١، ص ٢٤٠.

والحُـرُّ لا يقطـعُ فـي حالـة عـاداتِ جـدواهُ وإجدائـهِ

ولا أيـاديـهِ بمقْـفُـوَةٍ بَيْضـاؤُهُ منـه بسـودائـهِ

ولا عطـايـاهُ بمتُـلـوَّةٍ منهـا الهنيئـاتُ بنَكْدائـهِ

ما حَقُّ مـن أسلـف تأميلَـهُ مثلك أن يُجزى بإكْدائـهِ [1]

في هذه الأبيات نوعٌ جديدٌ من الهدايا، فالهدية هنا أبدعها الخالق وأهداها للطبيعة قبل أن يتهاداها الخلق، ومن هنا يدعو الشاعر الممدوح ألاّ يكون أبخل من الطين والتراب الذي يهديه إلى كافة الناس، فالشاعر يستعمل وسيلة أخرى غير المدح لينال هديّته. فبعد أن مدحه بمجموعة من الصفات التي أهمها أنه يقدّم المعروف للأعداء لكثرته وفيضه وكرم صاحبه، راح يطلب هديّته التي هي من صنع الله عزّ وجل حتى لا يكون التراب أكرم منه. وهو معتاد على ذلك وعطاياه لا يتلوها نكدٌ ولا يتبعها ولا مَنٌّ.

ويتراءى من النظر في المادة الشعرية أن الشعراء العباسيين كان لهم آراؤهم الخاصة في الهديّة، كما يتضح من النظر في شعر هدايا الأزهار مثلاً، فمنهم من ينظر إلى البنفسج نظرة أمل بتحقيق السعادة، ومنهم من ينظر إليه نظرة تشاؤم تؤدي إلى الفراق، وهكذا، كان وصف الهدية وقيمتها يختلفان باختلاف رؤية الشاعر.

ويجد الدارس أن هناك معاني مختلفة ظهرت في طلب الهديّة، ومنها معنى السؤال، ويبدو ذلك في قول دعبل الخزاعي:

مـا يَتَقَضَّـى عَجَبي ما عِشْتُ، مِنْ (مُطِلبِ)

سـألتُـهُ دُرَّاعَـةً لباسُها، يَجْمُـلُ بـي

فقال لي : أكـرَهُ أن تُلْبَسَ مِنْ بَعْـدِ أبي!

وقد رأى البُرْدَ ومَنْ يَلْبسَهُ بَعْدَ النَّبـيّ [2]!

يبدو أن المطلب بن عبد الله متمسك بشيء من ذكريات أبيه، فعزَّت عليه دراعة كان يلبسها والده، ولأنها لشخص عزيز عليه رفض إهداءها، وقد ضرب الشاعر مثلاً على ذلك بأنها

---

(١) ابن الرومي، **الديوان**، ج١، ص ١٢٣.

(٢) دعبل الخزاعي، **شعر دعبل بن علي الخزاعي**، ص٣٦٣.

ليست بأحسن من بُردة النبيّ التي أهداها، وفي الرواية أنّ النبيّ ألبسها كعب بن زهير عندما مثل بين يدي الرسول وأنشد قصيدته المشهورة:

بانتْ سُعادُ فَقَلْبي اليومَ مَتْبولُ متيَّمٌ إِثْرَها لم يُجْز مَكْبُولُ[١]

وقد أكثر الشعراء في هذا العصر من طلب هدية النبيذ، لشغفهم به، ويعود ذلك إلى شيوع الترف والمجون، فالشاعر يطلب مشروباً لأن له ذكرى فيها، ويظهر ذلك عندما يطلب الكثير، ولكنه في الحقيقة يريد أقل القليل، ويتراءى ذلك في قول جحظة البرمكي يستهدي نبيذاً:

قد زارني اليوم نور عيني وكان بالأمس صدَّ عني

وليس عندي له نبيذ وليس يرضى بذاك مني

فجُدْ علينا بنصف دنّ بربع دنّ بثلث دنّ

لا تتكرن كدني وشحتيّ فإنني شاعر مُغنِ

حالان لو خالها مليكاً إذا لكدي بكل فنِ[٢]

مهد الشاعر في الأبيات السابقة لطلب هديته بطريقه جديدة، فهو لا يريد هذه الهدية لشخصه، بل لشخص عزيز على قلبه كان قد انقطع عنه مدة، ثم عاد لزيارته، وكأن الشاعر يريد أن يقول إن سبب انقطاع خليله عنه هو عدم توفر النبيذ عنده.

فالشاعر يريد أن يستهدي هذا النبيذ كي يقدمه لضيفه، ومن هنا نستدل على أن النبيذ كان يستخدم لإكرام الضيوف الأعزاء الذين لا يقبلون إلا بهذه الضيافة؛ مما جعل الشاعر يستهدي النبيذ كي يكرم ضيفه.

ونلحظ في معرض هذه الأبيات إصرار الشاعر وإلحاحه على مستهديه من خلال تكراره لمطلبه ورضاه بالقليل، كما نلحظ أيضاً استمالة الشاعر للمستهدي من خلال مدح نفسه وإظهار براعته وشهرته في الشعر ليحث مستهديه على تقديم النبيذ له.

---

(١) كعب بن زهير، (ت ٦٤٥هـ/١٢٤٧م) **الديوان**، شرحه: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ص١٩. وانظر أيضاً: السيد إبراهيم محمد، **قصيدة بانت سعاد، لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي**، ط١، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٧.

(٢) جحظة البرمكي، **الديوان**، ص٣١٣.

وهكذا نلاحظ كثرت طلب النبيذ وشيوع استهدائه، فقد كثرت الهدايا من هذا النوع في العصر العباسي، ولعل شيوعها يعود إلى أسباب اجتماعية مرتبطة بالمجتمع نفسه، إذ كان الترف منتشراً بشكل واسع، فضلاً عن مجالس اللهو، واختلاط المجتمع من عرب وعجم، كل ذلك أدى إلى ظهورها بشكل بارز فكثر استهداؤها الشعراء، لاسيما في القرن الرابع، يقول السّريّ الرّفاء يستهدي نبيذاً:

أبا إسحقَ يا جَبَلي — أَلُوذُ بِهِ ومُعْتَصَمي
ويا سَيفي أصُولُ بِهِ — ويا حِلِّي ويا حَرَمي
أرقْتُ دَمي وأعْوَزَني — سَلِيلُ الكَرْمِ والكَرَمِ
وما عَدَمِي لِفَقْد الما — لِ لكنْ فَقْدُهُ عَدَمي
وبَيْنَ يَديَّ مُخْجَلَةٌ[1] — سَوَادَ القارِ والظُّلَمِ
تَرَى اللَّهَوَاتِ تَحْجُبُها — إذا وَقَفَتْ حِيالَ فَمِي
فلَسْتُ أُسيغُها إلاّ — كَلَونِ الوَرْدِ والعَنَمِ[2]... [3]

يستهدي السَّري الرَّفاء ههنا أبي إسحق خمراً، ويعدُّ الشاعر أبا إسحق جبلاً من القوة والشدة، فهو يلوذ به ويعتصم، وهو عنده السيف الذي يصول به، فهو محل إقامة له واحترام، ويشكو له أنه معدم فقير لا يجد المال ليشتري النبيذ، وأن الكأس فارغة ليس فيها شيء، فهو يميل إلى اللهو والخمرة، ويفضل الخمر التي تميل إلى الحمرة كلون الورد والعنم، فيطلبها ويصفها بالدم، لأن الدم مجرى الحياة، ويطلبها ليشربها ويجعلها مكان دمه تسري في عروقه، وهذا دليل على أنّ بعض الشعراء كان مدمناً الخمر، وأن الشعراء كانوا يترددون على مجالس اللهو ويشربون الخمر.

ويظهر أحياناً أن الشراب قد يُعدُّ ضيافة، وليس إهداء، ولما كان بعض الشعراء يجد به

---

(١) **محجلة:** لعله يريد بها الكأس.

(٢) **العنم:** نوع من النبات. أملس دائم الخضرة فروعه اسطوانية تحمل أوراقاً متقابلة تشبه ورق الزيتون إلا أنها أصفر وأشد خضرة، وأزهاره قرمزية يتخذ منها خضاب وأثماره مخاطية من الداخل، مادة (عنم). **الوسيط**.

(٣) السري الرفاء، **الديوان**، ج٢، ص ٦٨٥.

من طيب الشراب وشفائه للظمأ كان يستهديه، ويعده جديراً بالإهداء، ويظهر ذلك في قول الشاعر السلامي يستهدي الشراب:

أرسلت أشكو إليكم غداة ظمئ ... وما شككت بأني سوف أغتبقُ

فقد كتبت إلى أن خانني قلمي ... وقد ترددت حتى ملني الطرقُ

أنت امروء جوده غمر ونائله ... همر ووبل نداه مسبل غدقُ

فابعث إليَّ بصفو الراح يشبهه ... مني قريض ومنك العرف والخلقُ(١)

يشكو الشاعر الظمأ من قلة الشراب، ولا يشك بأنه سوف يشربها من المُهدي، ويقول إني كتبت إليك وترددتُ قبل الطلب، ولكن كرم الممدوح وجوده جعله يطلب الخمر ويغريه بطلبها؛ لأنه سيطوف عليه بكرمه كما تغرق السحاب بالندى، فيطلب إليه أن يبعث له الراح الصافية كالشعر الصافي الذي يقوله في الممدوح، وكما مرَّ آنفاً، فقد نوَّع الشعراء في طلب هداياهم، فكان بعضهم يطلب أشياء نادرة أو غريبة أو غير متوقعة، كما في طلب الشعراء العباسيين الشمع، إذ يبدو هذا المعنى شائعاً في الشعر العباسي، وكما نجده في أشعار كشاجم وغيره من شعراء القرن الرابع خاصة، ومن ذلك قوله:

سجاياكَ من طيبِ أعْرَاقِها ... تباري النجومَ بإشراقِها

وما للعفاة غياثٌ سواكَ ... كأنكَ ضامنُ أرزاقِها

وليلة ميلادِ عيسى المسيـ ... ـحِ قد طالبتني بميثاقِها

فتلك قُدوُري على نارِها ... وفاكهتي فوقَ أطباقِها

وبنتُ الدنانِ فقد أبرزَت ... من الجدرِ تُجْلى لعشاقِها

وقد قامت السَوقُ بالمسمعات ... وبالمسمعين على ساقِها(٢)

---

(١) السلامي، أبو الحسن، محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) **شعر السلامي**، جمع وتحقيق: صبيح رديف، مطبعة الإيمان، بغداد، د.ت، ص٨٣-٨٤.

(٢) كشاجم، **الديوان**، ص٣٧٣. وانظر أيضاً: أنور أبو سويلم، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد (ت٢٨٢ه/٨٩٥م) ، **دراسة في حياته ونثره وشعره ونوادره وأخباره ومروياته**، ط١ ، دار عمار، ١٤١٠ه/١٩٩٠م، ص٤١٦.

يستهدي كشاجم شمعاً، لما له من دور مهم في الإضاءة، ويشبهه بالأفلاك والشمس، فهو يستهدي شموعاً كيف تضاء بها ليلة الميلاد، ويصورها كأنها فتاة الخدر في حمرتهـا وضـيائها وجمالها.

ولا شك أن الشمع له قيمته، حتى إن كثيراً من أفراد المجتمع ما زال إلـى يومنـا هـذا يحتفلون مستعملين الشموع في احتفالاتهم، ولهذا يصف كشاجم نار الشموع في أعياد النصارى، وما يتخلل هذه الاحتفالات من الفاكهة الطيبة وهي الخمرة، ويشبه اشتعالها وألوانها بالأفـاعي إذا ألهبت، فيقول:

فكُنْ مُهْدياً لي فدتكَ النفـوسُ بجودك مُسكةَ أرماقِـها

نظائر صفـراً غدَتْ فتـنةً بلُطفِ أنامـل خلاّقِـها

(فللهند) صفْـرةُ ألوانـها (وللروم) زُرقَةُ أحداقها

ومثل الأفـاعي إذا ألهَبَـتْ حريقاً مخافةَ دياقِهـا [١]

جاء طلب الهديّة بصيغة الأمر "كن مهدياً"، فهو يطلب شمعاً لونه أصـفر نسـبة لأهـل السند، والسؤال هنا ما دلالة اللون الأصفر عندهم؟ وكذلك ما دلالة اللون الأزرق؟ لعـل اللـون الأزرق هو لون عيونهم التي يشتهرون بها وحدتها، أما اللون الأصفر فربما كان نسبة إلى ألوان بشرة أهل السند التي يمتازون بها، كذلك نلمح أن طلب الشمع لا يقتصر على مناسبة معينة، فقد يظهر في مناسبات متعددة أهمها الأعياد.

وهكذا نرى أن الهدايا المطلوبة تنوعت تنوعاً كبيراً، ولم تقف عند هـذا الحـدّ، فهـذا كشاجم يستهدي بركاراً قائلاً:

جُدْ لي ببِرْكارِكَ[٢] الذي صنعتْ فيه يَدا قَينـةٍ[٣] الأعاجيبـا

مُلتئِـمُ الشَّفْـرتيـنِ مُعـتـدِلٌ ماشِيْنَ من جانبٍ ولا عِيْبـا

شخصـانِ في شكلٍ واحدٍ قـدرا ورُكِّبـا بالعقـولِ تركيبـا

---

(١) كشاجم، **الديوان**، ص٣٧٣.

(٢) **البركار**: آلة ذات ساقين لرسم الدوائر. **الوسيط**.

(٣) **القين**: الحداد. **الوسيط**.

لولاهُ ما صـــحَّ شكـــلُ دائـــــرةٍ ولا وَجَدْنا الحسابَ محسوبا

الحقُ فيـــــــه فإنْ عَدلـــتَ إلى سِواه كان الحسابُ تقريـــبا

لو عينُ (اقليدس) به بَصُـــرت خرَّ له بالسُّجودِ مكبوبـــا[١]

تنفرد هذه الهديّة عن سواها، فهي آلة هندسية، وهذا على غيـــر المـــألوف، والشـــاعر يعرض في مقطوعته وصفاً لهذه الآلة (الفرجار) فهو ذو شفرتين، وذلك لحدتهما، وشـــبه شـــكل الفرجار بالصاحبين المتحابّين اللذان لا يملانّ بعضهما، فقد فضّل الشاعر الفرجار لأنـــه يعطـــي الدائرة شكلها الصحيح، ويستعمل في العمليات الحسابية، والسؤال هنا لِمَ اختار الشاعر هذا النوع من الهدايا دون سواه؟

لعل الهدية جاءت مناسبة لاهتمامات الشاعر الرياضية، فهو صاحب نظر في الحســـاب والهندسة، أو هو من مستجدات العصر التي تناولها الأدباء في موضوعاتهم وكتاباتهم.

ومن أنواع الهدايا التي طلبها الشعراء الجواري والغلمـــان، فهـــذا البحتـــري يســـتهدي مملوكاً:

ما بأرضِ العِراقِ يا قَـــوْم حُـــــرٌّ يَفْتَديني من خِدْمةِ الأحْـــــرارِ؟

هَلْ جَوادٌ بأبيـــضٍ من بَني الأصـــ ـفَرِ ضَخْم الجدودِ مَحْضِ النِّجارِ؟

فَوْقَ ضَعْفِ الصِّغار وإن وكِّل الأمـــ ـرُ إليه ودُونَ كيـــدِ الكبـــارِ

وكـــأنَّ الـــذَّكـــاءَ يَبْعَـــثُ مِنْـــهُ في سَوادِ الأُمـــورِ شُعْلَةَ نَـــارِ

ولَعَمْـــرِي لَلْجُـــودِ للنَّـــاسِ بالـــنَّـــا سِ سِواهُ بالثَّوبِ والدِّينـــار[٢]

يطلب البحتري هنا مملوكاً، إذ كان من عادة المجتمع العباســـي شـــراء العبيـــد لخدمـــة الأحرار، فهو يستهدي مملوكاً يمتاز بصفات حسنة كطيب الأصل والأمانة والذكاء، ونلاحـــظ أن الشاعر لم يستعمل لفظة هدية أو عطية، إنما عَدَّ الهديّة من باب الجود. فيطلب مملوكاً لأنـــه لـــم يجد أحداً في العراق يقوم على خدمة الأحرار، فقد تساءل عن سبب ذلك وبـــين أنـــه لا يمكـــن

---

(١) كشاجم، **الديوان**، ص٣٨-٣٩.

(٢) البحتري، **الديوان**، مجلد٢، ص٩٨٨-٩٨٩

استبدال الإنسان الكريم الجواد من شتى الأمم بشخص آخر حتى لو كان هـذا الشـخص يتميـز بضخامة الجسم.

ويظهر أنَّ بعض الشعراء كانوا يستخدمون طلب الهديّة بغـرض المـدح مـن جانـب ولغرض الاستهداء من جانب آخر، ويظهر ذلك في قول الصنوبري، يستهدي طاق أدم:

آب علـيٌّ أوبـةَ البـدرِ بالـ ... أسعدِ لمّـا آبَ لا الأنْحـسِ

فأقمـرتْ بل أشمسـتْ أوجـهْ ... بوجهِ ذا المقمـرِ والمشمسِ

طـاقُ أديـمٍ طائـفيٌّ مـن الـ ... أنفس في القيـمةِ والأنفـسِ

يغلُظُ في السَّمكِ[1] وينبو على الـ ... عَرْكِ ولا يخشـنُ في الملمسِ

ومُشرقٌ ينصـرفُ الليـلُ عـن ... إشـراقِـهِ منهـزمَ الحِنْـدِسِ

يظهرُ فـي الأرجلِ مِـنْ حُسْنِـهِ ... ما ليس للتيجـانِ في الأرؤسِ

يمشـي بـه المـاشي نبيـلاً ولا ... يُزْري على الجالسِ في المجلسِ

لهُ مـن الفضـلِ على النعـلِ ما ... للوَرْدِ من فضلٍ علَى النَّرجسِ[2]

جاءت هذه القصيدة بغرض المدح إلى جانب الاستهداء، ولعل الحذاء الطائفي الذي ذكر في البيت السادس يتميز عن غيره بالجودة العالية، ويصف هذا الحذاء أنه سميك، وليس بالخشن الملمس، وأنه مشرق لونه بهي (فاتح) كما يظهر في البيتين الرابع والخامس، وأعتقد أنه حـذاء من جلد؛ لأنه يقول إذا ألبسته في رجليَّ يبدو أجمل من التيجان على الرؤوس، ويظهر تأكيد ذلك في البيت الثالث، وشبه فضل النعل وجودته أشبه ما يكون بفضل الورد على النرجس.

يستهل الشاعر أبياته بالمدح، إذ يشبه الممدوح بالبدر في جماله والشمس في الضـياء، فهـو سيِّد في قومه، ثم يطلب أفضل هدية مما عنده، فهو يريد نعلاً، بمواصفات خاصة، ويريد أن يختـار له نعلاً سميكاً وناعم الملمس، ومشرقاً يلبسه ويتباهى به، ومع ذلك فهو غير طامع بأكثر مـن ذلـك،

---

(١) الأديم: الجلد، الطعام المأدم وأديم كل شيء: ظاهره، يقال أديم الأرض وأديم الليل: ظلمته. وأديـم النهـار: بياضه. مادة (أدم)، **الوسيط**.

(٢)الصنوبري، **الديوان**، ص١٥٥-١٥٦.

فهو يريد أن يكون هذا النعل جيد الصناعة وأجمل من التيجان التي توضع على الـرؤوس، ويمتـاز بالخفة، وأن يكون له فضل على بقيت الأحذية مثل ما للورد من فضل على النرجس.

وواضح من ذلك أن الشاعر أسهب في الوصف الدقيق، واستخدام التشبيهات في إضفاء الصفات الطيبة على الممدوح، ثم انتقل لإضفاء الصفات على النعل الذي يرغب في أن يناله من الممدوح.

ويبدو أن بعض الشعراء لجأ من خلال طلب الهديّة للوصول إلى مراده، وهو الانتهـاء إلى الممدوح بأسهل طريقة، وبيان أثر الهديّة في النفوس، ويظهر ذلك فـي قـول الصـنوبري، يستهدي أبا العباس الرشيدي فصاً:

أبا العباس يا شمسَ الـ ـعُلا من آلِ عبَّـاسِ

أليسَ الفَـصُّ للخـاتَـ ـمِ مثـل التّاجِ للراسِ

فأنْعِـمْ أيُّـها الحـالي من الإنْعامِ والكـاسي

بفـصٍّ لسـهامِ اللحـ ـظِ في هيئـةِ بُرْجاسِ[١]

كمـوجِ اللّجـةِ الجاري وَطوْدِ الجبـلِ الراسي

متى أحضرتُ مقباسـاً يكنْ مقباسَ[٢] مقباسِي

أو استحـلاهُ جُـلاَّسي جلا أبصارَ جُـلاَّسي

سأُطْربـكَ بأشعـارٍ تَهيجُ الذكـرَ للنـاسِي

توالى نَظْمُـها فيـكَ تـوالـي وَرقِ الآسِ[٣] [٤]

الفصُّ نوع من الأحجار الكريمة الملونة يزين بها الخاتم، وهو يريد بذلك بـأن الفـص يزين الخاتم كما يزين التاج الرأس، ومن جماله يجذب إبصار الجلاّس ويزيده جمالاً أن النـاس يتناقلون خبر هذا الدواء، ويعده بأن ينظم فيه أشعاراً تشيع على ألسنة الناس ويتناقلونها، وكـذلك فاليوم الذي تقضيه معه يعد عيداً، والوقت الذي يمضيه معه كأوقات العرس الجميلة.

---

(١) الصنوبري، **الديوان**، ص١٥٢-١٥٣.

(٢) مقباس: النار، **لسان العرب**، مادة (قبس).

(٣) الآس: نوع من الشجر ذو الرائحة الطيبة، **لسان العرب**، مادة (آس).

(٤) **البرجاس**: غرض الرمي، **الوسيط**، مادة (برجس).

ويبدو أن الشاعر عرض في بداية القصيدة جانباً من المدح، فقد خاطب أبا العباس مبيناً صفاته المستحسنة الكريمة، فوصفه بأنه شمس العلا، وأنه من أبناء الخلفاء الذين يكشفون البؤس، وأنه يأتي العلا والمجد، ثم ينتقل فيطلب منه أن يجود عليه من الأنعام والخيرات، فقد كان يطلب منه فصاً جميلاً، وأن يكون في شكل برجاس، وأشبه ما يكون كموج اللجة، وأن يكون ثابتاً راسخاً أشبه ما يكون بالجبل، وقد اختار الفص شكل البرجاس تعبيراً عن جماله وحسن ذلك منظره، وحتى يعجب منه الحاضرون.

ويظهر من النظر في طائفة من شعر الهدايا العباسية أمر مهم، هو أن الاستهداء على الأغلب كان يبدأ بالمدح، ثم ينطلق الشاعر لطلب الهديّة ووصفها ووصف أثرها في النفوس، فهذا الشاعر بدأ بمدح أبي العباس، وأنه من سلالة الخلفاء الذين يتصفون بصفات حميدة، مشيراً إلى أن الخاتم بحاجة للفص ليكمله ويزيده جمالاً ثم يطلب منه الإنعام عليه بفصٍّ يجلب له الحظ كالموجة (متموج بسبب تعدد الألوان) وكالجبل الراسي، ثم يختم أبياته مبيناً أن رجاءه في الممدوح لا يخيب، وأن أيام الممدوح أعياد له والأوقات التي يقضيها في كنف الوالي أبي العباس أعراس، ويعد الشاعر بأنه سيقول فيه أجمل أبيات الشعر التي تهيج أحاسيس الناس، وتتوالى هذه القصائد في مدح أبي العباس كما يتوالى ورق الآس دلالة على الاستمرارية في الثناء والمدح.

وقد ينتقل الشعراء في طلب الهديّة إلى هدايا مُحببة لديهم، ولها دلالة عظيمة عندهم، فهذا الصنوبري يستهدي مسكاً، وقد اختار المسك لأنه من أفضل العطور والطيب الذي يعبر عن تقدير ومحبة واحترام، ولما له من أثر في النفس، يقول في ذلك:

اسلم أبا القاسم المقسوم مذهبه ... بين اللهى والنهى أقسام ترتيبِ

يا ابن المآثرِ يا ترب البصائر يا ... بدر المنابر يا شمس المحاريبِ

الطّيبُ يُهْدَى، وتُستَهدى طرائفُهُ ... وَأَشْرَفُ النَّاسِ يُهدي أشرَفَ الطِّيبِ

وَالمِسْكُ أَشْبَهُ شيءٍ بالشَّباب فَهَبْ ... بعضَ الشَّبابِ لبَعْضِ المعشرِ الشّيبِ

ما زلتَ ذا أدب في الجو منتسب ... أكرم بذي أدب من غَير تأديبِ[1]

صوّر الشاعر المسك بالشّباب، ربما لأن الشباب أكثر اهتماماً بالمسك؟ أو ربما لأنه أفضل أنواع الطيب ولأن لونه أسود يدل على لون شعر الشباب الذي يوحي بالحيوية والنشاط،

---

(١) الصنوبري، الديوان، ص٣٩٨.

لكنه يطلب المسك وإن كان كبيراً في السن، لأن روحه ما زالت شباباً، وتلك مداعبات تؤكد خفة ظله وظرفه، فهي صورة حسنة تجعل من يراه يعشقه في البداية، ونلاحظ أنَّ الشاعر يمدح أبا القاسم ويضفي عليه بعض الصفات الجميلة، ويشبهه بالبدر للمنابر والمحاريب، كناية عن الإيمان والتقوى، ثم يستهدي الطيب والمسك، وهي أفضل الروائح الزكية، وقد بدأ الشاعر مستعملاً فعل الأمر للدعاء "أسلم أبا القاسم" الذي يقسم مذهبه بين أمور اللهو والعقل بشكل لا يطغى أمر على آخر، وهو من أصحاب المآثر والأخلاق الحسنة، وابن لها، وهي دلالة على أن أبا القاسم من أصول لها باع طويل في المآثر الحسنة، وصاحب بصيرة نافذة، وهو بدرٌ على المنابر دلالة على تمكنه من الخطابة على المنابر، ودائم الصلاة والتبتل في المحاريب وهو جانب ديني، فهو متدين وتقي، ثم ينتقل الشاعر إلى وصف نوع الطيب الذي يطلبه هديَّة، ويقول إن من عادة الكرام أن يهدوا الطيب، وما اتصل به، وأطيب الناس وأكرمهم، وأكثرهم شرفاً ومكانة يهدون أطيب الطيب، ثم يحدد نوع الطيب وهو المسك، والمسك من أفضل أنواع الطيب رائحة وجمالاً، فيشبهه الشاعر بالشباب الذي يتصف بالحيوية والنشاط، وعلى الرغم من تقدمه في السن إلاّ أنه يحن إلى الشباب، وما زال يشعر بالشباب، ثم يعود لمدح أبي القاسم، فيقول ستبقى صاحب أدب وهمة وأخلاق عالية وجدت فيك منذ الصغر. وقد استهدى الشاعر المسك لأنه من أفضل العطور والطيب، كما أن إهداء المسك يعبر عن تقدير ومحبة واحترام لما له من أثر في النفس، كما أنَّ من السنة أن تضع الطيب عند الذهاب إلى الصلاة، أو في أيام العيد والمناسبات الاجتماعية.

وقد تظهر في أشعار طلب الهديّة أحياناً ردود لطيفة في غاية الحسن والجمال، وبكلمات لطيفة رقيقة، من المُهدي، ويُلمح ذلك في قول أبي علي البصير[١] حينما استهدى بخوراً، وأهدى منه لبعض إخوانه، يقول:

يا شقيقي ويا خليلي إياءً ... المرجَّي لكلِّ خيرٍ وميرِ

أنتَ من أطيبِ الأنام بخوراً ... غيرَ أني شممتهُ عندَ غيري

وهو جمٌّ لديك فابعثْ بدرجٍ ... منه إن لم أكنْ تعدَّيتُ طوري[٢]

---

(١) أبو علي البصير، شاعر وكاتب مترسل (ت ٢٥١هـ) جمع شعره يونس السامرائي في مجلة المورد، ١٦٦ العددان الثالث والرابع ١٩٧٢م.

(٢) العسكري، **ديوان المعاني**، ج١، ص٢٥٢.

فكتب إليه ابن أبي طاهر:

قد بعثنا إليك منـــهُ بـــــدرجٍ وأزرنـــــاك منه أطيـــبُ زورِ

بيـــن ندٍ وبين عـــــودٍ مطرّاً ما لهُ مشبـــــهٌ بنجدٍ وغـــــورِ

أنتَ مِنه أزكى وأطيب عرفاً وهو أزكى من كل طيبٍ ونورِ

ما تعدَّيتَ فيه طَوْرَك عندي فتبخـــر منـــهُ بأيمـــنِ طيـــرِ(١)

يظهر في هذه الأبيات ردٌ لطيف على طلب الهديّة؛ فابن أبي طاهر جعل أبا علي أطيب من رائحة البخور الذي تعلو رائحته على جميع أنواع العطور، ومن هنا، فإنه يطلـــب إليـــه أن يتبخر منه، وكأن ابن أبي طاهر قدَّم له هديتين بدل الهديّة الواحدة، فالبخور الذي طلبــه هديّـــة، ومعها هديّة أخرى، هي تلك الأبيات اللطيفة التي ردَّ بها عليه.

ومن المعلوم أن البخور من الروائح المحببة لدى فئة كبيرة من الناس، ولطيب رائحتـــه كان يتهادونه. وفي هذا إشارة إلى بعض الطقوس والعادات الاجتماعية الدارجة بيـــنهم آنـــذاك، وهي استعمال البخور والند وإهداؤه. بدأ الشاعر أبياتـــه بمـــدح المُســـتهدى، ووصـــفه بـــالأخ، والصاحب، وأنه أطيب من البخور نفسه الذي استنشق رائحته عند غيره، ثم يصرِّح المُســـتهدي بعد ذلك بطلبه بأسلوب في غاية اللّطف والأدب؛ لأنه يحرص في أسلوبه على عدم تعدّي الحدود في طلب الهديّة، والمحافظة على المكانة التي وضعها للمُستهدى عنده، فهـــو الأخ، والصـــديق، وهذه العلاقة كفيلة أن يقوم الشاعر بطلب ما يريده من أخيه، أو صديقه، لاسيما أن المُستهدى قام بإهدائه إلى بعض الأصدقاء أو الأقرباء قبله.

أقام الشاعر علاقة بين رائحة البخور الزكية والمُستهدى (الممدوح) الذي يبعث الســـعادة والراحة في كلّ من يشمّ رائحته. وقد يكون هذا الربط بين البخور برائحته الزكيـــة، والممـــدوح بسمعته الطيبة ترك أثراً في نفس المُستهدى (الممدوح) وجعله يضاعف الهديّة التي أرفقها بأبيات جميلة، يقول فيها إنه بعث له مطلبه، ويمدحه بأنه من أفضل الناس طيباً، والبخور مـــن أفضـــل أنواع الطيب والعطور، فضلاً عن أن البخور يعطي الرائحة الزكية، ويُستفاد منه في الاستشفاء، ويبعث على التفاؤل.

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص٢٥٣.

إن أغلب القصائد التي ورد فيها الاستهداء يكون غرضها المدح، ولعلّ الاستهداء يكون لتعلق الشاعر بالممدوح وحبه له. فالشاعر يستهدي ممدوحه بخوراً؛ لطيب رائحته، ولعله يعني بالبخور الممدوح نفسه، إذ إنه طيب النشر والذكر.

ومن الهدايا التي طلبها شعراء هذا العصر، فضلاً عن البخور، الثلج، وهو من الهدايا التي أولع بها الخلفاء، لأنهم استعملوا الثلج بإسراف لا لتبريد المياه فحسب، وإنما لتثليج الفواكه، فقد كانوا يعدونه غاية الأماني، يقول السري الرفاء في استهداء ثلج من صديق:

رأيتُ النَّاسَ ذا جُودٍ ومَنْـعٍ ... فذا يُثْـني عليه وذَاكَ يُهَجـى

فَقَدْتُ الثَّلجَ في إبَّانِ[1] قَيْـظٍ ... تَذُوبُ لهُ الصُّخُورُ الصُّمُ وَهْجَا

فَجُدْ[2] بالقُوتِ منْهُ تَحزْ ثَناءً ... أراكَ بِفَضْـلِهِ أولى وأحْجى[3]

ولا تَتَعجَبَنْ مِنْ بَرْدِ شِعْرِي ... فإنِّي طَالِـبٌ بالثّلجِ ثَلْجَـاً[4]

يرى الشاعر أن الناس على أصناف متباينة بين صاحب جود وكرم، وصاحب منع، فمنهم من يُشكر على أفعاله الحسنة، ومنهم من يُهجى ويُؤنب على أفعاله السيئة، ثم يذكر إنه لا يجد الثلج في بداية الصيف.

لقد عرض الشعراء في إهدائهم قمة البذل والعطاء والتقدير، فالشاعر يقدم كل ما عنده من إهداء فيقدم نفسه فداءً، ويظهر ذلك في قول البحتري للقمي[5] يستهديه أضحية:

جُعِلْتُ فِدَاكَ لي خَبرٌ طـريفٌ ... وأنت بكـلِّ مَكْرُمةٍ خَبيـرُ

غَداةَ النَّحْرِ يَنحَـرُ كلُّ قَـوْمٍ ... ولا شـاةٌ لَـدَيَّ وَلا بعيـرٌ

بَلَى: عندي حِمارٌ لي، فقُلْ لى ... أتُقْبَلُ مِنْ مُضَحِّيها الحَميرُ ؟

---

(١) **أبان**: وقته، زمنه، **الوسيط**، مادة (أبا).

(٢) **فجد**: محرفا، **الوسيط**، مادة (جد).

(٣) **احجى**: اجدر، **الوسيط**، مادة (حجا).

(٤) السري الرفاء، **الديوان**، ج٢، ص ٢٣.

(٥) القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن عيسى القمي، [الكاتب] ابن القائد المشهور الرفقي علي بن عيسى بن موسى بن طلحة بن محمد بن السائب بن مالك الأشعري، وولده بقم لهم بها رياسة. **ديوان البحتري**، ج١، ص٢٠.

لَئِنْ لم تَفْـدِهِ، تَفْديك نَفْـسِي! بِذِبْحٍ فهو في غـدِهِ نَحِيرُ![١]

وفي الحقيقة، فإنَّ الغرابة آتيةٌ من طلب الأضحية هديَّة، لأن العادة لم تجر بذلك، ويشكو الشاعر عدم مقدرته على تقديم الأضحية؛ لأن الناس حوله في العيد ينحرون ويذبحون الأضاحي وهو لا يجد ما يضحي به إلاّ الحمار، والحمار لا يُقبل كالأضحية، لذلك يطلب منه الفداء وأن يهديه ما يقوم بتضحيته في عيد الأضحى.

ويقدم الشاعر نفسه فداء للممدوح، وهنا يستعمل الشاعر عبارة النحر، وهو الذبح المستخدم في الأضحية، وهي مناسبة دينية، حيث ينحر الناس في عيد الأضحى تقرباً لله وغفراناً لذنوبهم.

ثانياً: قبول الهديّة

جرت العادة أن يقبل المرء هديّة أخيه أو صديقه أو حبيبه، حتى بات من المخجل ردُّ الهديّة، إذ إن قبولها يعني المحبة والرضا والألفة والعلاقة الوطيدة مهما كان نوعها اجتماعية أو سياسية أو غيرها.

يرتبط قبول الهديّة بمعنى الرضا في أغلب الأحيان، وربما قدّم المرء هديّة يطلبُ مودة، أو يقدم اعتذاراً، أو يبغي مصلحة، فإن قبلها الطرف الآخر يكون بذلك قد حصل على المودة أو قبل اعتذاره أو لبّى طلبه، وإن قبول الهديّة، يقوم بوظيفة اجتماعية تعمل على تماسك الأفراد وتعاونهم، ونلحظ أن المُهدي يُلح دائماً على قبول الهدية، وأنَّ كثيراً من الشعراء استعملوا أسلوب المدح في قبول الهدايا، ونلاحظ هنا حول قبول الهدية أن الألفاظ التي استعملها الشعراء جاءت رقيقة مناسبة للغرض، وقد اتخذ قبول الهديّة جانباً آخر أحياناً وهو طلب الكف عنها، وقد يظهر ذلك في قول دعبل حين أجرى المأمون على أحمد بن أبي خالد ألف درهم في اليوم، ليكف عن قبول الأطعمة والهدايا من الآخرين:

شَكَرْنا الخَلِيفَةَ إجْـراءَهُ عَلى (ابنِ أبي خالدٍ) نُزْلَهُ[٢]

فكفَّ أذاهُ عَنِ المُسْلمينَ وَصَيَّـرَ في بَيْتِـهِ أكْلَـهُ

وَقَدْ كانَ يَقْسِمُ أشغـالَهُ فَصَيَّـرَ في نَفْسِـه شُغْلَـهُ[٣]

---

(١) البحتري، **الديوان**، مجلد٢، ص ١٠٩٦.

(٢) **نزله**: الطعام الوافر

(٣) دعبل الخزاعي، **شعر دعبل بن علي الخزاعي**، ص٢٣١.

تكشف هذه الحادثة عن الثراء الذي كان سائداً آنذاك، إذ إن المأمون أجرى يومياً ألف درهم على أحمد بن أبي خالد، ليكف عن قبول الهدايا والأطعمة من الناس، وفي ذلك ما يبدو مشقة على الناس وعبء أدركه المأمون، وتخفيفاً على النّاس فعل مثل هذا الفعل، وهذه إشارة إلى أن الهديّة كانت تقدم تزلفاً إلى الولاة أو الأمراء، وكانت مكلفة لبعض النّاس من غير رغبة منهم.

ويظهر أن كثيراً من الشعراء استعمل أسلوب المدح في الدعوة إلى قبول الهديّة، حتى أننا نلحظ أن ألفاظ الشاعر التي استعملها حول قبول الهديّة جاءت رقيقة، ويتضح ذلك في قول بشار بن برد:

ألاَ حَبَّذَا واللَّـ ـهِ مَنْ أهْدَى لِيَ العِطْرَا
ومَنْ أهْدَى لي الريْحَا نَ قَدْ شَابَ بِهِ سِحْرا
ومَنْ لَيْسَ يُوَاتِيني وإنْ كلَّفْتُهُ يُسْرا
يُعَاصِي قَسَمي عَمْداً ولا أعْصِي لَهُ أمْرَا
وَأبْلى حُبُّهُ جِسْمِي فَقَدْ ضِقْتُ بِهِ صَدْرا
ومِكْسَالُ[١] الضُّحَى كالرِّيمِ[٢] لاَ بَلْ تُشْبِهُ البَدْرَا
إذَا واجَهْتَها يَوْماً تَجُرُّ القَرْقَرَ[٣] الحَبْرَا[٤]
سَقَتْكَ الخَمْرَ عَيْنَاهَا وإنْ لَمْ تَشْرَبِ الخَمْرَا[٥]

يستعمل بشار بن برد أسلوب المدح، عندما تلقى هدية من العطر، وقد ورد موضوع النسيب، واتصاله بالعطر والريحان، وعلى الرغم من قبول الشاعر الهديّة، إلاّ أنه يعاتب محبوبته التي أضعف حبها جسمه. فإهداء العطر والريحان ، لبشار كان مناسباً كونه أعمى،

---

(١) مكسال: كثيرة الكسل.

(٢) الريم: الضبي الخالص البياض.

(٣) **القرقر**: ثوب.

(٤) **الحبرا**: الوشي في الثوب.

(٥) بشار بن برد، **الديوان**، ج٣، ص٢١٥.

فحاسة الشم عنده أقوى، وهي الأكثر استعمالاً، فهو لا يميز جمال الألـوان، بقـدر مـا يميـز الرائحة، ومن الناحية العاطفية، فإن العطر والريحان يعطيان حاضراً للحب والغرام ممـا يشـبع الغريزة عند الشاعر.

ومن الشعراء من قدم هدية بسيطة ومتواضعة، وقد تُقدم أيضاً الهدية من مختلف طبقات المجتمع، فيقدم هديته المتواضعة فتقبل منه، ومما يدل على ذلك قول الشاعر أبي الفتح البستي:

هديَّةُ العَبـــدِ على قَـدْرِهِ والقَصْدُ أن يقبَلَها السّيـدُ

أما تَرى العَيْنَ عَلى فَضلِها تَقبلُ ما يُهدي لها المِرْوَدُ[1]... [2]

إذ يقول الشاعر إن الهدية تكون على قدره في القيمة فبما أنه عبد مملوك فستكون قيمتها متواضعة، ولكن السيد يقبلها رغم ذلك إذا كانت معبرة وصارت من قلب محب ونية سليمة، ثـم يشبه الشاعر هذا الحال بحال العين التي تفضل غيرها من الحواس وأجزاء الجسم. ورغم ذلـك فهي تقبل الهدية المتواضعة التي قد تكون مروداً تكتحل به.

ثالثاً: الشكر على الهدية

شكر الشعراء أصدقاءهم على هداياهم وفاءً منهم لهم، واعترافـاً بجمـيلهم، وقـد رأى الشاعر أنَّ من الواجب أن يشكر صديقه على الهدية التي قدمها إليه، لاسيما أنها هديـة تتـوافر فيها الصفات الجيدة، فأفضل هدية تستحق الشكر هي التي تتوافر فيها الشروط المحمودة الحسـنة التي لا عيوب فيها، فتقديم الشكر على الهدية تعبير عن قبولها، وتقدير واحترام للمهدي، والشكر على الهدية إنما هو تعبير عما يشعر به المُهدي تجاه المُهدى إليه. ربما كان الشكر على الهديـة، لأنها مهمة جداً، وذلك لفائدتها الغذائية أو العلاجية، أو كونها تعبر عن المحبة، أو ربمـا كانـت رمزاً لشيء معين، فهذا السري الرفاء، كتب إلى صديق له، أهداه نعلاً، يذكر عجزه عن القيـام بحق الشكر على هديته الجيدة التي يصفها بقوله:

اقْرَرْتُ في شُكْرِكَ بالتَّقْصيرِ إذْ زِدْتَ في البرِّ على التَّكْثِيرِ

وَجاءني منْ سَيْبِكَ[3] الغَزِيرِ مَرَاكِبٌ مُخْطَفَةُ الخُصُـــورِ

---

(١) المرود: أداة من المعدن أو العاج يكتحل بها، **الوسيط**.

(٢) أبو الفتح البستي، علي بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيـز، (ت٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، **الـديوان**، تحقيق: دريّة الخطيب ولطفي السقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٢٣٧.

(٣) **سيبك**: عطاؤك. **الوسيط**.

مُسْوَدَّةُ الأَعْجَازِ والصُّـــدُورِ سُودٌ عَلَيْها رَوْنَقُ الذُّكُـــورِ

كَأَنَّما قُدَّتْ مِنَ الدَّيجُـــورِ ومِنْ نَفِيسِ الأدَمِ[١] المَبْثُورِ[٢].. [٣]

يقر الشاعر بعجزه عن تقديم الشكر على هذه الهدية التي لاقت في نفسه قبولاً حسناً، ثم يصف النعل، فهو أسود من الأمام والخلف، وذو ترتيب رائع صنع من الجلد الغالي الثمن.

وكذلك يظهر الشكر ممزوجاً بالمدح، فقد أهدى أبو نواس الشكر والثناء والمدح للخليفة الأمين، يقول:

أُهْدِي الثَّناءَ إلى الأميـنِ مُحَمَّـدٍ ما بَعْدَهُ لِتجارةٍ مُتَرَبَّـــصُ[٤]

صَدَقَ الثَّناءُ على الأمين مُحَمَّـدٍ ومن الثَّناءِ تكذُّبُ وتَخَرُّصُ[٥]

قد يَنْقُصُ القمرُ المنيرُ إذا استَوى وبهاءُ وجْهِ محمّدٍ لا يَنْقُصُ

وإذا بنو العبَّاسِ عُدَّ حصـــاهُمُ[٦] فمُحَمَّدٌ ياقُوتُها المُستَخْلَصُ[٧]

يظهر أنَّ الشكر على الهدية لم يقتصر على هدية معينة أو مناسبة معينـــة، ولكنهـــا قـــد تنوعت حسب طبيعة الهدية ونوعيتها وإلى المُهدى إليه، وربما قد تأتي لإظهار الصفات الحميـــدة أو الحسنة في الهدية، ويظهر ذلك في قول أبي الفرج الوأواء من قصيدة يشـــكر فيهـــا بعـــض أصحابه، وقد أهدى له بغلة:

قَدْ جَاءَتِ البَغْلَـــــةُ السَّفُوءُ[٨] يَجْنِبُها لِلْبَرْقِ غَيْثٌ بَدَا يَنْهَلُّ مَاطِـــرُهُ

عَرِيقَةٌ نَاسَبَـــــتْ أَخْوَالَـــها فَلَـــــها بالعِتْقِ مِنْ أَكْرَمِ الجِنْسَيْنِ فَاخِرُهُ

---

(١) **الأدم**: الجلد. **الوسيط**، مادة (أدم).

(٢) **المبثور**: الذي أخذت بشرته، **الوسيط**، مادة (بثر).

(٣) السري الرفاء، **الديوان**، ص٢٧٦.

(٤) المتربص: المنتظر. **الوسيط**، مادة (ربص).

(٥) تخرص: الافتراء والتجني، **الوسيط، مادة (خرص)**.

(٦) الحصى: كثرة العدد. **الوسيط**، مادة (حصى).

(٧) أبو نواس، **الديوان**، ص٤٢٣

(٨) **سفواء**: سريعة الحركه كالريح ، مادة (سفو).

مِــلْءُ الْحِــزَامِ وَمِلْءُ العَيْنِ مُسْفِرَةٌ ... يُرِيكَ غَائِبَهَا فِي الحُسْنِ حَاضِرُهُ

أَهْدَى لها الرَّوْضُ مِنْ أَوْصَافِهِ شِيَةً ... خَضْرَاءَ نَاضِرَةً إِنْ زَالَ نَاضِرُهُ

لَيْسَتْ بِأَوَّلِ حُمْــــلانٍ[١] شَرَبْتَ بِهِ ... حَمْدِي وَلا هِيَ يَاذَا الْجُودِ آخِرُهُ

كَمْ قَدْ تَقَدَّمَهَا مِنْ سَابِــحٍ بِيـــــدِي ... عِنانُهُ وَعَلَى الجوزَا حَوافِرُهُ.. [٢]

تندرج هذه الأبيات في باب الشكر على الهدية، إذ إن الشاعر وجد من الواجب عليــه أن يشكر صديقه على الهدية التي قدمها إليه، ولاسيما أنها هدية تتوافر فيهــا الصــفات المحمــودة، ويبدو أن صديق الشاعر قدم إليه أفضل هدية عنده لا عيب فيها، يريد أن هــذه الهديــة ليســت الأولى من نوعها، وهي كذلك ليست آخر هديه، وهو هنا يتوسم الخير في صديقه، فقــد شــكره عليها، لأنها بالنسبة له تستحق الشكر عليها، لما تمتاز به من صفات حسنة، فالهدية جاءت علــى قدر مهديها، وقد وصف البغلة بأنها سريعة الحركة كالريح، فالتعبير عن قبول الهديــة والتقــدير والاحترام للمهدي يوجب تقديم آيات الشكر والتقدير على الهدية، والتعبير عن باب آخر أن هــذه الهدية تستحق الشكر لسببين، أولهما: لأنها من شخص مميز لابد من شكره وتقديره، وثانيهمــا: أنها مميزة ولابد من مقابلتها بالشكر الجزيل.

إن إهداء النعال على نطاق واسع، فيه نوع من التندر والاستظراف والشكر على الهدية، وهو تعبير عما يشعر به المهدي تجاه المُهدى إليه، ويظهر ذلك في قول الصنوبري لرجل أهدى له نعلاً:

بخيرِ الهدايا جُدْتَ يا خَيْرَ مُنْتَــمٍ ... إلى خيرِ بادٍ أو إلى خيــرِ حاضرِ

بمحذوَّةٍ حَذْوَ اللســانِ شبيهــــةٍ ... أوائِلُــها مِنْ حُسْنِها بالآواخـــــرِ

مُخَالَفَةِ الوجهين قام خلافُـــــها ... مقامَ اتفاقٍ عند أهـــــل البصائــرِ

فأمَّا الذي من فوقها وَجْهُ عَاشقٍ ... وأما الذي من تحتها وَجْهُ شَاعرِ[٣]

---

(١) **الحملان:** ما يحمل عليه من الدواب

(٢) الوأواء الدمشقي، أبو الفرج، محمد بن أحمد الغساني، (ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م) ، تحقيق: ســامي الــدهان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٣٢٢.

(٣) الصنوبري، **الديوان**، ص١٧- ١٨

يبدو أن تقديم النعل هدية كان منتشراً في العصر العباسي، ربما لأنها قد ترمي إلى السخرية بالمُهدى إليه، أو ربما قد تكون محببة فعلاً لدى المُهدى، فهذه الأبيات فيها رمز (الحذاء)، فهو يطلب من أهل البصائر التأمل في الحذاء، لأن له وجهين مختلفين، لعله يريد بذلك حسن الصورة، ثم هو منافق (له وجهان)، فقد ركز على الهدايا والاستجداء، وقد رسم صوره أشبه بنوادر التهادي، فيها تفكة واستغراق، وهذا الشاعر يشكر رجلاً، أهدى له نعلاً، كان الصنوبري صديقاً لأبيه.

ويبدو أن الشكر على الهدايا والثناء على الممدوح ليس بالشيء الجديد، وإنما جاءت الهدايا سيراً على نهج مألوف اقتفاه الكثيرون، ويتضح ذلك في قول عون محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف لأبيه وقد أهدى له دهن الحماحم:

قد أتانا دُهُن الحماحم[١] صِرفا مرحباً بالحمول ألفاً وألفا[٢]

هنا الشكر على الهدية، وربما كانت هذه الهدية مهمة جداً، وذلك لفائدة دهن الحماحم الغذائية والعلاجية، وهو الشكر والترحيب الجزيل حيث يقول (ألفاً، ألفاً).

نلاحظ أن الشاعر يَكنْ التقدير العميق لهذه الهدية، وقد يكون دهن الحماحم للاستشفاء، وهو يرى في هذه الهدية الأهمية الكبيرة، وذلك لفائدتها، لذلك يجزل الشكر لصاحبها اعتقاداً منه أن هذه الهدية إنّما تعبر عن حرص المهدي على صحته، وهي أغلى ما يملك الإنسان، فالشاعر يرحب بالهدية بآلاف الترحيب والامتنان لصاحبها، ونستشف من الأبيات اهتمام المهدى إليهم بقيمة الهدية ونوعها وفائدتها، فضلاً عن حرصهم الشديد على تقديم الشكر للمهدي.

نجد أن بعض الشعراء لا يتورعون من طلب الخمر واستهدائها، وذلك لإشباع رغباتهم وإحياء ليالي السمر واللهو مع أصحابهم، فالشاعر يرى هدية الخمر من أعظم الهدايا، لأنها تسعده وتبعد الهم عنه، فيقدم الشكر الجزيل والمدح على هذه الهدية، ويبدو ذلك في قول السري الرفاء، يمدح أبا الفوارس سلامه بن فهد ويستهدي منه نبيذاً وشبوطا[٣]:

عِنْدِي ضَيْفٌ لَمْ يَزَلْ مُضِيفاً مُقَدَّماً في مَجْدِهِ شَرِيفاً

---

(١) **الحماحم:** لون من الصبغ أسود. وانظر أيضاً في: **لسان العر، مادة (حمحم).**

(٢) الصولي، **أخبار الشعراء المسمى كتاب الأوراق**، ص ٢٢٣.

(٣) شبوطا: نوع من أنواع السمك صغير الرأس. **لسان العرب**، مادة (شبط).

زارَ ليُحي[١] نِعْمَةً وَرِيــفَا والصُّبْحُ قَدْ قَابَلَنَا مُنِيفـــــاً[٢]

وَرَفَعَتْ ظَلماؤه السُّجُــــوفَا والكأسُ قَدْ سَارتْ بِنَا الوَجِيفَا

حَتَّى تَوارتْ شَمْسُهَا كُسُــوفا فاهْدِ لِي خَلوقَــها المَذُوفَــا[٣]

مُدَّرِعاً بَلُّــورَةَ المَشُوفَــا[٤] مِثْلَ العروسِ ادَّرَعَتْ شفُوفا

تَحو من الشُّكْرِ بِــهِ الصُّنُوفَا وَكَبِّر الظَّرفَ تَكُنْ ظَرِيفـــا

والْطُفْ فَما زِلْتَ بِنَا لَطِيــفا في سَابِحٍ تُحْببـــهُ مَعلُوفــا

كان لِقِعْــرِ لُجَّـــةٍ حَلِيفــا لاقى وَقَدْ فَارَقَــه الحُتُوفـــا

خَطْفَة صَيّادٍ غَدَا مَخْطُــوفَا وَمَنْ يَكُــنْ بِعُرْفِهِ مَعْرُوفـــا

صَبَا إلى الشُّكْرِ بِهِ مَشْــغُوفا يَرَ الــذي حَاولَتَــهُ خَفِيفــا[٥]

لقد أثنى الشاعر على هذه الهدية، وربما كان هذا الشكر معنوياً، إذ إن الشاعر أســرف في وصف النبيذ وحلة السمر، فالشكر منبعث من ذلك الأثر الذي يتركه النبيذ في نفس الشــاعر، وربما كان يستهدي نبيذاً ليفوز بجلسةٍ أو مسامرةٍ معه ليستقيا معاً النبيذ، وهو لا يملك إلا أن يرد على هديته بالشكر والمدح.

رابعاً: الاعتذار عن الهدية

يُعد الاعتذار لوناً مهماً من شعر الهدايا، إذ كان الشاعر يظهر مودته وحبه وقوة صداقته للمهْدي، مقدماً اعتذاره عن عدم تقديم الهدية التي تليق بمكانته، وكذلك كان الشاعر يقر للمهــدي إليه بتقصيره عن الهدية، ولذا فهو يقدم اعتذاره؛ لأن هذا الاعتذار مــرتبط بالفضــائل الحســنة للمهدي.

---

(١) **يحى**: يعطي ويكرم.

(٢) **منيفا**: مرتفعا.

(٣) **المذروف**: المخلوط.

(٤) **المشوف**: المجلو

(٥) السري الرفاء، **الديوان**، ص٤٠٩.

ويلاحظ أن الاعتذار عن قبول الهدية سلك سبيلين: أحدهما الاعتذار عن تواضع الهدية، ويبدو إذاً أن الاعتذار سنة اجتماعية محمودة، ويتضح من خلال استخدام الشعراء الهدية وسيلة إلى الاعتذار، لكنها في الحقيقة مؤدية للغرض أداء الكلمة البليغة، فاتخذ الشعراء من الاعتذار جانب رد الهدية إلى صاحبها مهما كانت بسيطة، مما يضطر الشاعر إلى الاعتذار إليه بأبيات من الشعر تؤكد تقديره لصاحبه، وحبه له، وأن الهدية تبلى وتندثر، أما ودهما فثابت لا يزول.

فالاعتذار عن الهدية، قد يكون بهدية يسيرة، فالهدية هنا في معناها لا في قيمتها أو ثمنها، والاعتذار عن بساطة الهدية واردٌ في كثير من المواقف والمناسبات، ويظهر واضحاً في قول الصنوبري حينما أهدى إليه أحدهم نبيذاً واعتذر إليه.

زادني حُسْنُ ذلكَ الاعتـــذارِ ... طَرَباً عنْدَ شُرْبِ تلك العُقَارِ

فشربنا تذكـــارَ وجهكَ إذْ كا ... نَ تَمامُ السُّرورِ في التّذكارِ

ورأينـــاكَ بالقلوبِ أبا بكـ ... رٍ كما قد نرَاكَ بالأبصـــارِ

وكأنَّا من حُسْنِ ذكرك في رو ... ضِ شَقِيقٍ ونرجسٍ وبهارِ[1]

يبدو أنه قدم الهدية طلباً للرضا والمعذرة لخصومة، أو سوء فهم وقع بينهما، لذا قدم الهدية، لينال الود، ويكسب الصفح، وإذا كان الاعتذار في بادئ الأمر مقروناً بهدية، فإنه يكون أحسن وألطف بعذر.

وثانيهما: الاعتذار عن قبولها إن لاقى قبولاً ردّ الطرف الآخر بقبول الاعتذار والهدية أقل بكثير من قدر المهدى إليه، فنلاحظ الاعتذار المتكرر ببساطة، لاسيما إذا كانت مقدمة إلى العظماء كالخليفة أو الملك، وكذلك يستبان في الاعتذار عن الهدية عند بعض الشعراء نوع من حسن الاعتذار ولطافته، ويبدو ذلك في قول السري الرفاء لأبي الفوارس سلامة بن فهدٍ الأزدي، وقد أهدى إليه قدحا فانكسر.

يا مَنْ لَدَيْهِ العَفَافُ والوَرَعُ ... وَشيمتاهُ العُلاءُ والرِّفَـــعُ

كأُسُكَ قَدْ فُرِّقتْ مَفَاصِلُـــهُ ... بَيْنَ النَّدامى فَلَيْسَ تجتَمِعُ

كأنما الشَّمْسُ بينُهمْ سَقَطَتْ ... فَجِسْمُها فَي اكفِّهِمْ قِطَـــعُ

---

(١) الصنوبري، الديوان، ص ٧٥

لَوْ لَمْ أكُنْ وَاثِقاً بِمُشْبِهِــــهِ لَكادَ مِنِّي الفُؤَادُ يَنْصَـــدِعُ

فَجُدْ بِهِ بِدْعَةً فَعِنْدِيَ مِـــنْ جُودِكَ أَشْيَاءُ كُلُّهَا بِـــدَعُ[(١)]

وقد يكون طلب منه قدحاً آخر، ليعتذر له عن الإهمال الذي بدر منه في عدم المحافظة على هذه الهدية، ولأنها ذات قيمة في نفسه، ولعل حُسن الاعتذار ولطافته باديان في البيت الرابع؛ لأنه يخبره بأن فؤاده كاد ينصدع ليبدي له تأثره على انكسار القدح.

وهناك أيضا نوع من الاعتذار يتعلق بنوعٍ من الهدايا المعنوية، فقد قدم سعيد بن حميد نفسه هدية إلى ممدوحه، فهو مالكها، فقدم الشاعر ماله هدية له، لأن المال مصدره منه، فلا بد من أن يقدم الشاعر الشكر له، وبعد ذلك فلم يبق إلا الثناء والحمد، فقد اعترف الشاعر بتقصيره وعجزه، فهو ليس في حاجة لماله ولا هديته، ويشبه ذلك بالشمس التي إذا طلعت تستغني عن البدر، ويبدو ذلك في قوله:

إنْ أُهْدِ نفسي فَهْوَ مَالكهـــا ولها أصونُ كرائم الذُّخرِ

إنْ أُهْدِ مالاً فَهْـــوَ وَاهبـــه وهوَ الحقيقُ عليه بالشُّكرِ

أو أُهْدِ حَمدِي فهو مُـرتَهنٌ بجميل فِعْلكَ آخرَ الدَّهـــرِ

والشمسُ تستغني إذا طلعتْ أن تستضيءَ بسنةِ البَدْرِ[(٢)]

نلاحظ أن الشاعر جعل الإهداء درجات هي: النفس، فالمال، فالثناء، وقد رسم صورة فنية في البيت الأخير، فغناه عن الهديَّة كغنى الشمس عن ضوء البدر حين طلوعها. وقد وقف الشعراء من الاعتذار موقفين: أحدهما فكاهي، والآخر عتابي، فيقول الشاعر في الأبيات أقدم نفسي هدية لك فهو مالكها، أو مالاً، فهو واهبه، فمنها قدمت من هدايا لك، فإنني لا أوفيه حقه، فلذلك لا يسعني إلا أن أقدم شكري له، فهو لا حاجة له بالهدايا، فهو صاحب النعم والفضائل الكثيرة، إذ هو كالشمس التي تستغني عن ضوء البدر.

---

(١) السري الرفاء، **الديوان**، ج٢، ص٣٧٠.

(٢) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٥، ص١١٢. انظر أيضاً: الهاشمي، أحمد، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٦٤. وانظر أيضاً: عزيزة فوال بابتي، **الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي**، ط١، ١٩٨٦م، دار الشمال، طرابلس، ص١٧٠-١٧١.

ونلاحظ أن الكتابة على الهدية كانت منتشرة بشكل واسع، وغالباً ما كانت تدور هذه الكتابة حول معنى أن الهدية ليس بكثرتها أو بقلتها وإنّما بمعناها، وقال سعيد بن حميد في ذلك:

قد بَعَثْنا إليكَ أكرمكَ اللـ ـهُ ببرٍ فَكُنْ لَه ذا قبولِ

لا تقسهُ إلى ندى كفِّك الجز لِ، ولا نَيْلِك الكثير الجليلِ

واغتفرْ قَلةَ الهديةِ منهُ انَّ جهدَ المقلِّ غيرُ قليلِ[١]

ونلاحظ أن ظاهرة الكتابة على الهدية جاءت بارزة بشكل واضح، فهو يطلب منه قبول الهدية، ويعتذر عن قلة شأن هديته مقابل جود الحسن بن وهب وكرمه لكنها كانت من محب صادق. فالهدية قليله لكنه لا يملك المال ليهدي ما هو أكثر قيمة من ذلك، فهي أقصى ما يملك.

إن تقديم الاعتذار عن الهدية لقلة ثمنها أو رخصها يؤكد إدراك المهدي لقيمة الهدية المعنوية أولاً، وقلة حيلة المهدي لتقديم ما هو أفضل وأثمن، وقد تكون الهدية ذات قيمة بالغة في الثمن أو المعنى، لكن المُهدي أراد أن يزداد لطفاً في عين من يُهدي إليه، فيطلب منه إذ ذاك المعذرة؛ لأن قدره أرفع، ومكانته أسمى من قيمة الهدية.

ولا شك أن رد الهدية إلى صاحبها مهما كانت بسيطة أمر لا يقره الذوق المتحضر، ولا الخلق الكريم، ومن العجيب حقاً أن يقع الشّريف الرضي في مثل ذلك الخطأ، فيرفض رداء أهداه إليه أحد الأصدقاء فيغضب عليه ذلك الصديق، مما يضطر الشاعر إلى الاعتذار إليه بأبيات يؤكد فيها تقديره لصاحبه وحبه له وأن الهدية تبلى وتندثر، أما ودهما فثابت لا يزول، ويدعوه إلى تفويت الفرصة على الحاسدين الشامتين، يقول:

عقيدُ العلا لا زلت تستعبدُ العلا وتعتقُ منها رق كلِّ أسيرِ

لئن خف من ضافي ردائك عاتقي فودك يخطو في رداء قنبري

ستعلم أن الثوب يدثر رسمه ورسم الهوى في القلب غير دثورِ

فلا تشمتن الحاسدين فسرهم يشف لظى من وراء أُمورِ[٢]

---

(١) سعيد بن حميد، **رسائل سعيد بن حميد أشعاره**، ص١٨١.

(٢) محمد بن عثمان الملا، **الهدية في الشعر العباسي**، **مجلة المنهل**، العدد ٤٤٧، مجلد ٥، السنة ٥٣ محرم ١٤٠٧هـ/ سبتمبر ١٩٨٦م، ص٦٦.

خامساً: ذم الهدية

كان يتخلل الهدايا الثناء والشكر للمُهدي، ولا يقتصر فقط الثناء والشكر على الهدايا، بل نلاحظ أنّ هناك بعض الهدايا التي لم تلق قبولاً فردت، وكان سبب ردها أسباب تتعلق بالمُهدى إليه، وربما لوجود عيوب فيها، وهناك أيضاً هدايا قدمت للمهدى إليه وقد ذمت لعيوب فيها، وقد ذمت بعض الهدايا بسبب العيوب التي ظهرت فيها، كما في قول أبي تمام حينما ذمّ نبيذاً أهدي إليه:

قد عَرَفْنَا دَلائِلَ المَنْعِ أو ما ... يُشْبِهُ المنعَ باحتباسِ الرَّسُولِ
فأتتنا كدراءُ لَم يَكُ مِنَ تسـ ... ـنَم جَريا لَها ولا سَلسبيلِ
لا تهَدِي سُبُلَ العُرُوقِ ولا تنـ ... ـسَلُّ فِي مِفصَلٍ بغيرِ دليلِ
وهي نزرٌ لو أنها مِنْ دُمُوعِ الصَّـ ... ـصَبِّ لم تَشْفِ منه حَرَّ الغليلِ
وكأنَّ الأناملَ اعتَصَرَتْها ... بعد كدّ من ماءِ وجهِ البخيلِ
احتِسابا بعثتها أم تصدَّقـ ... ـتَ بها رحمةً على ابن السبيل[١]

وقد تذم الهدية لسخافتها وسخافة صاحبها، فالمرء كما تقدم يعرف بفضل هديته وكما تعرف سخافته بسخافة هديته أيضاً، ويظهر ذلك في قول كشاجم:

إنَّ هدايا الرجالِ مُخْبِرةٌ ... عن قدرِهم قلّوا أو احتلفوا [٢]

وأهدى أبو علي البصير[٣] إلى أبي العيناء كرينجان قد كتب على واحدة منها: ادخلوها بسلام آمنين ! فردها أبو العيناء وقد كتب عليها! فرددناها إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن. وكتب رجل قد شغف بصبي فأهدى إليه كلباً فقال أبو شبل:

---

(١) أبو تمام، **الديوان**، ج٢، ص ٤٠١. وانظر أيضاً: ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، مجلد ٥، ص٢١. انظر أيضاً: أنور أبو سويلم، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان(ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)، **دراسة وتوثيق في حياته ونثره وشعره ونوادره وأخباره ومروياته**، ص٢٢.

(٢) كشاجم، **الديوان**، ص٤٠٣. وانظر أيضاً: الراغب الأصفهاني، **مجمع البلاغة**، ص٤٢٤ .

(٣) أبو علي البصير، شاعر وكاتب مترسل(ت ٢٥١هـ) جمع شعره يونس السامرائي في مجلة المورد ١٦٦، العددان الثالث والرابع ١٩٧٢م.

ومارأت عيني ولا قيل لي أن فتىً مستهترا[١] صبّاً
لما دنا من وصْل أحبابِهِ أهدى إلى أحبابِهِ كلبا[٢]!

يشير هنا إلى أن الكلب يهدي إلى الأحباء لزيادة الوصال بينهما، لكنني أرى أن لفظ "الكلب" استخدم سخرية وتحقيراً للمهدى إليه، ومن عادة العرب أن تستعمل الكلب للحراسة والصيد، وربما أهدى إليه الكلب لقيمته كونه مهماً في حياته اليومية. ومن ذم الهدية ما يظهر من قول الحمدوني، حينما أهدى إليه سعيد بن حميد أضحية مهزولة، فقال فيها:

لسعيد شُويهة نالها الضُّر والعَجَفْ
فتغنَّت وأبصرت رجلاً حاملاً علفْ
"يأبي من بكفِّه بُرء دائي من الدنَفْ"
فأتاها مطمِّعا وأتته لتعتلف
ثم ولَّى فأقبلت تتغنَّى من الأسف
" ليته لم يكن وقف عذَّب القلب وانصرف"[٣]

تندرج هذه الأبيات في باب ذم الهدية، إذ إنه من العادة أن تكون الهدية من أفضل الأشياء وأثمنها، ولكن سعيداً ههنا أهدى إلى الحمدوني أضحية هزيلة، ودلالة ذلك استعمال أسلوب التصغير (شويهه) بل إنها فضلاً عن ذلك مصابة بالمرض والنحف، وهي تتأمل من يعلفها في حين أن الحمدوني كان يتأمل منها اللحم الشهيّ، وهنا عاب الحمدوني على سعيد هذه الهدية التي لا تتصف بصفات الهدية المتعارف عليها.

وقد يأتي ذم الهدية على شكل سخرية، ويبدو ذلك واضحاً في قول عبد الصمد بن المعذل حين بلغه أن أبا رهم أهدى قينة كان يميل إليها جرة صحناء وزنبيل[٤] بصل! وأن وجه

---

(١) مُستَهتِر: مولع، محبّ.

(٢) الأصفهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج٢، ص٤٢٤-٤٢٥.

(٣) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م): **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين ورفاقه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ج٦، ص٢٨٧. وانظر أيضاً: سعد إسماعيل شلبي، **الشعر العباسي التيار الشعبي**، مكتبة غريب، د.ت، ص ١٤٣.

(٤) الزنبيل: الجراب، وقيل الوعاء يُحمل فيه وقيل: الزّنبيل خطأ وإنما هو زبيل، **لسان العرب**، (زبل).

الاختلاف والمفارقة في هذا المثال الذي نحن بصدده هو أن الشاعر المتحدث يذم هدية أهداها أبو رهم إلى قينة يحبها، ولم يذم هدية أهداها هو أو أهدي إليه، فهو يذم ويسخر من هذه الهدية التي أهداها أبو رهم هذا.

فهو يقول: إن أبا رهم العاشق أهدى لمحبوبته هدية، لأنه خاف صدها ومللها منه فهو لم يهدها لشدة وفرط حبه لها وإنما تمسكٌ منه بها، وخوف من فقدها. فأهداها جرة صحناء في طبق مصفوف حولها بصل. فيسخر الشاعر منه بقوله إن مأكوله ما أهدي وهو البصل:

عاشق أهدى لحبتـه ... حين خاف الصدَّ والمَللا

جرّة الصحناء[1] في طبقٍ ... قد أداروا حولها بصَلا

قلت إذ عيبت هديّتكم ... إنما أهدى الذي أكلا [2]

فروح السخرية إذاً سائرة في هذه الحكاية الشعرية، فالمهدي بعث هذه الهدية خوفاً من ترك المحبوبة له، وكانت الهدية جرة مصفوف حولها البصل مادة طعام المهدي وأكله، وكأن هذه الأبيات لوحة كاريكاتورية ضاحكة.

سادساً: رد الهدية

ظهر معنى آخر في شعر الهدايا، وهو رد الهدايا أحياناً. ولا بد لذلك من أسباب، ومن بين هذه الأسباب أن الهدية لم تكن على أتم وجه، إذ كانت تظهر فيها عيوب ربما تكون قليلة، أو تكون غير مناسبة للمُهدى إليه، أو كانت الهدايا ردَّت لأسباب معنوية أو مادية، وقد ردت أيضاً لعيوب لاسيما في إهدائها بقصد التعريض أو السخرية أو النقد، وقد تحمل بعض الهدايا نكاية بالمُهدى إليه وشتماً، فالهدية يجب إن تكون على قدر مهديها، وقد لا تكون الهدية لائقة في حق مهديها، وقد يكون في رد الهدية جانب من العتاب بصوره ساخرة.

ومما يدل على ذلك قول ابن بسام "كنت أتقلد البريد بقم في أيام عبيد الله بن سليمان، والعامل أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأخي أبي صخرة، فأهدى إليّ في ليلة عيد الأضحى بقرة للأضحية، فاستقللتها ورددتها، وكتبتُ إليه: [3]

---

(١) الصحناء: السمك الصغير المملوح، **الوسيط**.

(٢) شعراء متمردون، **شعر عبد الصمد بن المعذل**، حققه: زهير غازي زاهد، مطبعة النعمان، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص١٥٤.

(٣) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٦، ص١٥٠-١٥١ .

كم من يدٍ لي إليكَ سالفةٍ وأنت بالحقِّ غيرُ معترفِ

نفسُك أهديتها لأذبحَهـا فصنتُها عن مواقعِ التلفِ[١]

وهنا يتبين لنا مظهر جديد في موضوع الهدايا، وهو رد الهدايا في بعض الأحيـان، لأن الهدية لم تكن على أتم وجه، إذ كانت هزيلة، لاسيما أنها أضحية، وينبغي أن تتوافر فيها شـروط الأضحية الشرعية، ومن جانب آخر كان يتوقع ابن بسام أن تكون الهدية أفضل من ذلـك؛ لأنـه كان قد قدم الكثير من الهدايا لصديقه فيما سبق.

ومن المعروف أنه كانت هناك عادة في الأعياد، وخاصة عيد الأضحى وهـي أن تقـدم اللحوم هدية للأصدقاء، والبيتان يشيران إلى الأضحية ببقرة، وقد ردت هذه الهدية إلى صاحبها؛ لأنها لا تليق بمكانة المهدى إليه، ولأن فيها عيوباً كثيرة، فلذلك ردها، وقد أظهرت الأبيات أيضاً جانباً من العتاب بصورة ساخرة.

وبالمقابل ظهر نوع آخر من رد الهدايا يمكن تسميته بردّ الجميل، ويدل على ذلك قـول مسلم بن الوليد الأنصاري في الهدية:

جزى الله من أهدى الترنج[٢] تحية ومَنّ بما لا يهوى عليه وعجَّـلا

أتتنا هدايا منـه أشبهـن ريحَـهُ وأشبهَ في الحسن الغزال المكحَّلا

ولو أنَّه أهـدى إليّ وصـالَـهُ لكان إلى قلبي ألذَّ وأفضـلا[٣]

يدعو الشاعر للمهدي بخير، لأنه أهدى له الترنج، وهو من جنس الليمون، وهنا نوع من ردّ الجميل على هذه الهدية الجميلة في معناها، ثم ينتقل الشاعر إلى وصـف هـذه الهديـة، لأنّ القيمة المعنوية تتمثل في مقدم الهدية وهو المهدي، ثم يطلب الشاعر المزيد من الوصال والحـب من المهدي.

---

(١) **المصدر نفسه**، ج٦، ص١٥٠ -١٥١.

(٢) **الترنج**: من جنس الليمون.

(٣) صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري (ت٢٠٨هـ/٨٢٣م) ، **شرح ديوان صريع الغواني**، حققه: سـامي الدهان، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ص٣٣٥-٣٣٦.

وقد تردّ الهدايا أيضاً إذا كان هدفها التعريض والسخرية أو النقد أو الشتم، ويتضح ذلك في قول دعبل الخزاعي:

وَأَهْدَيْتَهُ زَمَناً فانياً فَلا للرّكُوبِ وَلا لِلثَّمَنْ
حَمَلْتَ عَلى زَمنٍ شاعراً فسَوْفَ تُكافا بشِعْرِ زَمِنْ [(١)]
أبا الفَضْلِ ذماً وَغُرْماً مَعاً ؟ فَما كُنْتَ تَرْجُو بِهذَا الْغَبَنْ؟[(٢)]..[(٣)]

تندرج هذه الأبيات في باب ردّ الهدايا، فإن كان فيها عيب، لاسيما إن كان في إهدائها غرض مقصود كالتعريض أو السخرية أو النقد أو الشتم، وهنا قدم المُهدي برذوناً قديماً بالياً لا يصلح للرّكوب، ولا قيمة له، فماذا عسى أن يكون الرد على مثل هذه الهدية، وفي نفس الشاعر تساؤل عن سبب تقديم مثل هذه الهدية، أهو الشتم أو الغرم أم كلاهما معاً كما هو في نظر الشاعر إذ إن هذه الهديّة لم تكن لائقة بحقه.

إن الإنسان إذا أراد أن يهدي إنساناً آخر، فإنه يهدي إليه أفضل ما عنده، وأظن أن هذه الهدية تحمل نكاية بالمُهدي إليه وشتماً، أو تعريضاً به، وقد تردّ إليه لأنها في نظر المُهدى إليه لا تليق بمكانته، ويدل على ذلك قول دعبل حينما أهدي إليه فرس لم يرضه، فقال:

حَمَلْتَ عَلى أعورٍ أعرجٍ فلا للركوبِ ولا للثَّمَنْ
حَمَلْتَ عَلى زَمِنٍ شَاعِراً فَسَوْفَ تُكافا بِشِعْرِ زَمِنْ[(٤)]

جاء هذا الشعر في باب ردّ الهدية، فقد رد فيها المهدى إليه الهدية، لعيوب فيها، وقد كانت الهدية فرساً، ولا غرابة، بأن ترد هذه، لأنّ الفرس عند العربي له صفات خاصة ينبغي أن تتوافر فيه، لكن هذا الفرس جاء أعور أعرج، ولعل فيها تعريضاً لدعبل وقدحاً في فروسيته، إذ لو كان فارساً لاستحق فرساً أصيلاً، فرد الهدية؛ لأنها نظره لا تليق بمكانته، لأنه أهداه فرس رديء الصفات، فالفرس أعور وأعرج، والمكافأة بقدر مهديها، والهدية بقدر صاحبها.

وقد ترد الهدايا أيضاً لأنها تبعث الشؤم، ويتضح ذلك في قول ابن المعتز:

---

(١) **الزمن:** مرض يصيب الحيوانات وفي القول البغال.

(٢) **الغبن:** الخديعة في البيع.

(٣) دعبل الخزاعي، **شعر دعبل بن علي الخزاعي**، ص٢٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٦، ابن حمدون، **التذكرة الحمدنية**، مجلد٥، ص٢٣.

يا ذا الذي أهدَى لنـــا سَوسَنا ما كنت في إهدائِهِ مُحسنـــاً

أما تطيَّرتَ وقيـــتَ الـــرَّدى من اسمِهِ السُّوءَ فقد أحزَنَـــا

نصفُ اسمِهِ سُوءٌ فقد ساءَني يا ليتَ أنّي لم أرَ السُّوسَنا[١]

لقد أهدى السوسن فلم يرضَ به؛ لأنه ينظر إليه نظرة تشاؤمية. فهو غير مرغوب لـــدى المُهدي إليه، فإن بعض الناس يتشائم من بعض الورود، والسوسن هنا من النوع الرديء الذابل. ويمكن الحديث عن الهدايا التي تبعث الشؤم أو المعاني التي توحي بها الهدية، فالسوسنة تبعـــث على الشؤم، ومن الطريف أن الشؤم كان في لفظها، فأول ما يلفظ من السوسنة مقطع (سو) وهي تحمل معنى السوء والضرر، ثم المقطع الثاني (سنه) وتؤول أنها عام، وقد فُسر المقطعان علـــى إنهما سوء وضرر يدومان.

وقد ظهر أيضاً منحى آخر في رد الهدية تميز هنا بالكتابة شعراً على الإناء أو الوعـــاء الذي فيه الهدية، وربما كانت هذه عادة سائدة عند كثير من الشعراء، ويظهـــر ذلـــك فـــي قـــول المتنبي، حينما أهدى إليه عبيد الله بن خلكان، هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل، فرد إليه الجام، وكتب عليه هذه الأبيات:

أَقصِرْ فَلَسْتَ بِزَائِدي وُدّاً بَلَغ المَدَى وَتَجَاوزَ الحَـــدّا

أرْسَلْتها مَمْلُـــوءةً كَرَمـــاً فَرَدَدْتُـــــــها مَمْلُوءةً حَمْداً

جَاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهِيَ فَارِغَةٌ مَشْيَ بـــهِ وتَظُنُّـــــها فَرْدا

تَأبى خلائِقُكَ التي شُرِفَتْ أنْ لا تحنَّ وتذكُرُ العَهْدا[٢]

يبدو المتنبي هنا كعادته معتزاً بنفسه، فكرمه تجاوز كرم عبيد الله بن خلكـــان حتـــى إن كانت المناسبة الردّ على هدية أرسلت إليه، فتميز الردّ على الهدية هنا بالكتابة شعراً على الإنـــاء الذي فيه الهدية، وربما كان هذا سائداً عند الكثير ومثله الكتابة على القماش والحلـــي وغيرهـــا،

---

(١) ابن المعتز، **الديوان**، ج٢، ص ٥٩١. وانظر أيضا: الوشاء، أبو الطيب محمد بن إســـحاق (ت ٣٢٠هـــ/ ٩٣٦م)، **الموشى أو الظرف والظرفاء**، دار صادر، بيروت، ص١٩٩.

(٢) المتنبي، أبو الطيب، أحمد بن الحسين الجعفي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م)، **الديوان**، وضعه: عبدالرحمن البرقـــوقي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٢، ص٤٩.

فهذه الهدية تمثل نوع الأطعمة المحببة إليهم، فأخذ الشعراء يهتمون بأصناف الطعام التي تبرز المستوى الاجتماعي الذي وصل إليه الناس، فأنواع الطعام، تدل على حضارة متقدمة، فالسمك والسكر واللوز والعسل تعكس مستوى حياة الناس، وطبيعة ذوقهم.

ومن عادة المتنبي أنه يفتخر بنفسه ويعتز بها اعتزاز العربي، فهو شاعر كبير الطموح، ورؤيته للحياة قوامها أنه يجب أن يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة بين العلية، فهو يرد بأبيات شعر على هدية معبراً عن أن هذه الهدية وإن عظمت مكانتها فهي لا تساوي الحب الزائد الذي يكنه لمن بعث الهدية، ويقول إن الهدية مملوءة بالكرم، ولكنه رد له الوعاء مملوءة بالشكر والتقدير.

وقد يظهر جانب آخر في رد الهدية، وهو الشكر والتقدير على الهدية وإن أفضل أنواع الهدايا التي يجب الإنسان أن يحصل عليها هي المال، ويتضح ذلك في قول ابن الرومي يستهدي:

أجدرُ مالٍ أن يكون نائلا
هديَّةُ تكسب شكراً عاجلا
فبادِر الآن الثناء الكاملا
تلاقِ خلف الفكرِ منه حافلا
واقْسِمْ لنا الكامخ قَسْما عادلا
قَسْم يدِ الله لك الفضائلا
ولا ترى فعلَك فِعْلا خاملا
إن أنت أسعفْتَ صديقاً مائلا
بحاجةٍ نَزَّر فيها سائلا[1]

يبدو أن الشاعر لا يستهدي الشكر، إنما يستهدي المال منه ليشكره، هو في ضيق معنى ذلك أنه يطلب المال لا الشكر، يظهر ذلك في البيت الثامن، فهذا نوع من أنواع الهدايا، هو الرد على الهدية، ومن أنواع الرد الشكر على الهدية.

---

(١) ابن الرومي **الديوان**، ج٥، ص١٩٥٥.

فالشاعر يؤكد هنا أن أفضل الهدايا التي يحب الإنسان أن يحصل عليها هي المال، وهذا المال من الهدايا القيمة التي يكسب فيها الإنسان الشكر العاجل، ثم يقول له بادر بهذه الهدية تجد الشكر والتقدير الكامل، وسنجد الفكر يحتفل بها، ويهتم بها كثيراً، لأنها ساعدت على أعباء الحياة، ثم يقول أعطنا مما أعطاك الله، وهذا الفعل من أفعالك ليس خاملاً دائماً يدل على كرم وطيب، ثم يقول في البيت الثامن إن مساعدة صديق مهموم بحاجة للمال تساعده وتحميه من أن يمد يده للناس.

يطلب الشاعر المال؛ لأنه بالمال يستطيع أن يغطي تكاليف الحياة ومطالبها، أما أنه لو طلب هدية أخرى، فلن تسد ما تتطلبه الحياة، ثم ينتقل إلى مدح المهدي مدحا مستفيضاً، ويعده بأن يكتب القصائد ويزينها ويحملها لتعبر عن عظم الهدية.

سابعاً: وصف الهدية

أخذ الشعراء العباسيون يصفون الهدايا، وينسجون الأشعار في الحديث عن شكلها وصفتها، وقد أغرقوا في تفصيل هذه الصفات، حتى إنه ليمكن عدَّ هذا الباب أوسع أبواب في شعر الهدايا في هذا العصر، إذ مضى الشاعر في هذا العصر يصف الهدايا المختلفة بأسلوب مفصل ودقيق لا يخلو من طرافة ورشاقة، وكان أحياناً يعرض الهدية ويصفها بأسلوب ساخر، وكانت الهدايا تعرض بصور مستمدة من الطبيعة على الأغلب، ومن هنا جاء الوصف انعكاساً للصور الواقعية كصورة المجتمع التي تكشف عن حال الثراء والترف الذي انغمس فيها العباسيون، ويتضح ذلك في الأشعار التي قيلت في رسم صورة الهدية، ومن ذلك أن رجلاً بعث إلى دعبل الخزاعي بأضحية، فكتب إليه دعبل:

بَعَثْتَ إِليَّ بِأُضْحِيَّةٍ	وكُنْتَ حَرِيّاً بأَنْ تَفْعَلا
ولكنَّها خَرجَتْ غَثَّةً	كَأنَّكَ أَرْعَيْتَها حَرْمَلاً[1]
فإنْ قَبِلَ اللهُ قُرْبانَها	فَسُبحانَ رَبِّك ما أعْدلا[2]

يصف دعبل ههنا الهدية التي أهديت وصفاً ساخراً، فهي أضحية هزيلة لا تليق بمكانة المهدي إليه، فالهدية تنم عن قدر مهديها، وقد يعرف عقل الرجل في سخف هديته.

(١) **الحرمل**: نبات كالسمسّم، تأكله المعزى.

(٢) دعبل الخزاعي، **شعر دعبل الخزاعي**، ص ٢١٦.

ونجد شعراء الإهداء يقدمون هداياهم بأساليب مختلفة، فحيناً يمزجون أوصاف الهدية بأوصاف المُهدى إليه، وفي أكثر الأحيان يقتصر الشعراء على وصف الهدية من غير التعرض إلى صفة المُهدى إليه، فقد كان وصف الهدية يمتاز بالدقة، ويلجأ المهدي أحياناً فيه إلى السخرية والفكاهة، يقول الصولي في وصف هدية التفاح:

ما أملح التفاح في الهدايا　　عطية من أعظم العطايا

خديعة النسوان والصبايا　　ووصلة الناس إلى البلايا[١]

ويقول من مقطوعة أخرى في وصفه أيضاً:

يا ذا الذي بحسنه　　نفسي لديه عانية

لحظك لى أخدع من　　تفاحة لغانية[٢]

فهو يرى أن التفاح أعظم هدية؛ لفائدته الغذائية الكبيرة، وربما لمظهره الحسن، ورائحته الزكية، وقد كان التفاح من الفاكهة المستحبة لدى فئة كبيرة من الناس، وكان يسمى (ملك الفواكه) ولذلك كثر التهادي به، فهو حسن المنظر، طيب المذاق، زكي الرائحة، وربما كانت التفاحة رمزاً للمحبوبة أو المعشوقة، حتى إننا نجد تقديم التفاح للخلفاء يشكل ملمحاً من ملامح الحياة الاجتماعية، وقد كان رجال الدولة يقدمون هدية التفاح ويعتنون بجماله، حتى أصبح يستعمل وسيلة للغزل والمداعبة، كما يتضح من قول أبي نواس في صبية وضيئة الوجه مازحته ساعة ثم رمت إليه تفاحة معضوضة وانصرفت، فقال:

شجَر التُّفاحِ، لا ذُقْتَ القَحَلْ　　لاَ ولاَ زِلْتَ لِغَاياتِ المَثَلْ

وعدتْني قُبْلةً مِنْ سَيِّدي ،　　فتعاضَتْ سيِّدي حينَ فَعَلْ

ليسَ ذَاك العضُّ مِنْ عيبٍ بِهَا　　إنَّما ذَاك سُؤَالٌ لِلْقُبَلْ[٣]

استعمل الشاعر أسلوباً بسيطاً ينسجم مع هدفه في الغزل، فقد اتخذ التفاح المعضوض هدية لمن يحب من غيره، ولم ير في هذه الهدية مذمة ولا عيباً، لأنه وسيلة للوصول إلى

---

(١) الصولي، **أخبار الشعراء المسمى كتاب الأوراق**، ص٢٥٠.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٢٥٠.

(٣) أبو نواس، **الديوان**، ص٦٩٥

محبوبته التي أصبحت هنا نوعاً من الغزل، ونلاحظ مما تقدم أن استهداء التفاح كان تعبيراً عما يشعر المهدي في قلبه من حب للمهدى إليه، خاصة أن التفاحة تأخذ شكل القلب، فضلاً عن رائحتها الطيبة، وطعمها اللذيذ، وشكلها الجميل، وقد كانت العرب تشبه خدود المحبوبة بالتفاح؛ وذلك لجماله وحسن منظره، ولما فيه من حمرة ساحرة تشبه حمرة الخدود.

ومن الشعراء الذين برعوا في وصف الهدايا الصنوبري، وفي ديوانه مقطوعات كثيرة خصّ بها هذا المعنى من معاني الهدايا، وهاهو يصف هدية ورد، فيقول:

باكورةٌ طريفةُ البكورِ ... خَطيرةٌ من سيِّد خطيرِ

إلى فقيدِ الشكلِ والنظيرِ ... مُفْتَرَّةٌ عن نَبْذِ[١] وردٍ جوري[٢]

في لونِ خَدِّ الشادنِ الغريرِ ... جاءتْ فكانت ضَرَّةَ البَخُورِ

والمسكِ والعنبرِ والكافورِ ... في طَبَقٍ أُبْدِعَ في التصويرِ

قُضْبانُه كأعْظُمِ المهجورِ ... أخفُّ في الكفِّ من القطميرِ[٣]

كأنما منديلُهُ من نورِ ... يهلِكُ فيه بَصَرُ البصيرِ[٤]

في هذه الأبيات وصف لحديقة، ووصف لزهرها الذي وصلت إليه منه هدية، وما تركته هذه الزهور من أثر في النفس، ولعله أراد بذلك غزلاً بفتاة، فقد عدّ الشاعر الورد أجمل الأزهار شكلاً، وأبهاها لوناً، و أطيبها عطراً، إذ شغف به معظم الشعراء، واستهوى به أفئدتهم، فتباروا في وصف محاسنه، وأفرطوا في مدحه، فتجلى معشوقاً أثار صبابتهم، وزائراً أهدى إليهم نفسه، وكثيراً ما هللوا لقدومه، حتى إن الصنوبري آثره على رائحة البخور والأترج والمسك والعنبر والكافور وغيرها من ذوات الروائح الزكية.

استهل الشاعر أبياته الشعرية بوصف دقيق للوردة التي أهديت إليه واصفاً إياها بأنها تكشف عن جمال منقطع النظير، ويرى في جمال هذه الوردة جمال خدود المرأة المحمرة، وهي رائحتها الزكية أضحت كالضرة للبخور والمسك والعنبر والكافور لما لها من رائحة عطرة تفوح

---

(١) **النبذ**: الشيء اليسير، مادة (نبذ)، **الوسيط**.

(٢) **الجوري**: المنسوب إلى مدينة جور بفارس، مادة (جور)، **الوسيط**.

(٣) **القطمير**: شق النواة، مادة (قطم).

(٤) الصنوبري، **الديوان**، ص٢٢-٢٣.

منها، ثم ينتقل إلى وصف الطبق الذي أهديت فيه، فقد اختير بعناية فائقة، فهو يتصف بالخفة وسهولة المحمل، ويصف المنديل الذي أحيط بهذا الطبق وكأنه مصنوع من نور لا يستطيع المبصر أن ينظر إليه؛ لشدة لمعانه وتوهجه. ومن الملاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات يعتمد اعتماداً كبيراً على دقة الوصف، وانتقاء الألفاظ والمعاني المعبرة الرقيقة لتنسجم مع الهدية وتزيدها جمالاً على جمالها.

ونلاحظ إضفاء نفسية الشاعر على الجمال الحسّي للوردة من حيث المنظر والرائحة، فهي جميلة ليس لمنظرها فحسب، إنما في جمال روحها من الداخل، وهذا انعكاس واضح لنفسية الشاعر الفرحة والمبتهجة بهذه الهدية.

وينبغي أن نلاحظ أن حرص الطبقات المترفة على المال هو الذي ولد حرصاً مماثلاً على ما يقدمونه من هدايا بالية أو هزيلة، كانت مبعثاً للشكوى والهزل والسخرية، فالشاعر قد يمقت البخل والبخلاء وهو يصف هذه الهدايا، ويتخذ من الهزل والسخرية مادة له، كما هي حال نموذج بشار بن برد الذي أخذ يعاتب صديقاً له من بني منقر من تميم وأمه من بني عجل كان قد بعث إليه بشاة للأضحية هزيلة، فقال بشار معاتباً وساخراً:

وَهَبْتَ لَنا يا فتى مِنْقَـرٍ(١) ... وَعَجْـلٍ وأكرمهَـم أوَّلاَ

وأبْسطَهم راحةً في النـَّدى ... وأرفَعَهـم ذروةً في العُـلاَ

عَجُوزاً قد أوردها عُمْـرُها ... وأسكنها الدَّهْـرُ دارَ البِـلى

سُلُوحاً توهَّمتْ أن الرِّعـا ... ءَ سقوها ليُسْهِـلَهَا الحَنْظلاَ(٢)

وَاضْـرَطَ من أمّ مُبْتاعِـها ... إن اقْتَحَمَتْ بُكـرةً حَـرْمَـلاَ

فَلَوْ تَأكلُ الزُبد بالنرسيانِ(٣) ... وَتَدَّمِجُ المِسْـكَ والمَنْـدَلاَ(٤)

لـما طيَّـبَ اللهُ أرواحَـها ... ولا بَلَّ مِن عَظمِها الأنْجَـلاَ

وَضَعْتُ يميني على ظَهْرِها ... فَخلْـتُ حَراقِفَـها(١) جَنْـدلا

---

(١) منقر: بطن من تميم، **الوسيط.**

(٢) الحنظل: نبت يسهّل بإفراط، **الوسيط.**

(٣) النرسيان: من أجود أنواع التمر وأراد به الكناية عن أطيب العلف، **الوسيط.**

(٤) المندل: أجود العود، **الوسيط.**

وأهْوَتْ شِمالي لعُــــرقوبها فَخِلْــتُ عَراقيبَها مِغــــزلاَ

وقلَّبْــتُ أليــــتَها بعــد ذا فشبَّهتُ عُصنْعُصَــها مِنْجَــلاَ

فقلــتُ ابيــعُ فلا مَشْرَبَــا أُرجِّي لديها ولا مَــأكَــلاَ(٢)

قطع بشار في هذه القصيدة شوطاً في التندر والسخرية من بخل صديقه، فهــو بــدل أن يهجوه، راح يصف الشاة التي قدمها له صديقه وصفاً يثير الضحك، وبحسٍ نقدي حاد مــن تلــك الشاة التي لا يُجدي معها شيء حتى لو أكلت أطيب العلف، وأجود المسك وأطيب الرائحة، لمــا طيب الله روحها، ولا بريء النحول والهزال من عظامها. فالشاعر يهاجم البخل من خلال تلــك الهدية الهزيلة. ولعله عبر بهذا عما يحس به أفراد مجتمعه، وما يعانونه من عادة ســادت فــي مجتمعهم، ومن جانب آخر، فإنه يصور الفقر وسوء الحال في طبقةٍ من طبقات المجتمع، متخــذاً من الشاة الهزيلة صورة لهذه الطبقة الفقيرة التي لا تجد شيئاً تقتاته.

ويبدو أن وصف الهدية جاء ليعكس مشاعر المهدى إليه نحو الهدية، وقــد جــاء هــذا الوصف مستمداً من الطبيعة، حتى إننا نلمس كثيراً من الهدايا التي قدمت تحمل دلالات ومعــاني عميقة في نفس المهدى إليه، مما جعل كثيراً من الشعراء يختارون الورد ليقدم هدية لما يحملــه من دلالة على المحبة والعشق، ولما له من أثر في النفس، ويتضح ذلك في قــول ابــن المعتــز يصف ورداً أبيض وأحمر أهدته إليه بعض الجواري:

أهدتْ إليَّ التي نفسِي الفداءُ لها الوردَ نوعين مجموعينِ في طبقِ

كأنَّ أبيَضَهُ من فوق أحمــــرِه كواكبُ أشْرَقَتْ في حُمرةِ الشَّفَــقِ

---------------------- ----------------------

وكأنَّ خالاً فوقَ صفحــــةِ خدِّهِ من تحتِ صُدغٍ كالظلام الغاســقِ

---

(١) الحرقف: وهو رأس الورك، **الوسيط**.

(٢) بشار بن برد، **الديوان**، ص١٣١-١٣٢. انظر أيضاً: عبد المجيد إبراهيم وليد، **الشعر الهزلي العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ط١، ٢٠٠١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمــان، ص٦٨. انظــر أيضــاً: عبدالفتاح صالح نافع، **الصورة في شعر بشار بن برد**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٤١٣هـــ/١٩٨٣م، ص٢٨١-٢٨٢.

اثرُ الشرارةِ في قميصٍ أحمــرٍ   أو نُقطةُ بالمِسك فوق شقائـــقِ[1]

اختارت هذه الجارية هدية رقيقة تعكس مشاعرها، فلم تهدِ ثوباً أو خاتمــاً، بــل أهــدت ورداً يدل على الجمال والأناقة واللطف، ويبعث من ثم في النفس الجمال والراحــة، كمــا أنهــا ليست من ذوات الأموال لتهدي شيئاً ثميناً، فالورد في متناول الجميع، وهو مــن ناحيــة أخــرى محبب إلى كل نفس تهفو إلى الجمال، وقد اختار الشاعر اللونين: الأبيض والأحمر؛ لما لهما من أثر في النفس، فقد شبه الورد الأبيض والأحمر بالكواكب التي تشرق عند بزوغ الفجر الذي شبه شعاعه وشعاع الشفق الأحمر وجمال منظره بجمال الورد؛ لأنه مزج اللون الأبــيض والأحمــر كما مزج بزوغ الفجر وشعاعه الأحمر بالأبيض.

وينتقل الشاعر من ثم إلى وصف جمال خد المحبوبة، ويصورها بأجمل صور الجمــال، فقد راح يتحدث عن جمال خدها الجميل الذي تعلوه شامة سوداء، فهي تضــيف جمــالاً إلــى جمالها، ولعل هذه الجارية أرادت أن تثير انتباه الشاعر، وتلفت نظــره إلــى جمالهــا وطيــب رائحتها، فتحظى باهتمامه ورعايته، فهي جميلة كجمال الورد، وتمتلــك مــن الألــوان أجملهــا وأنقاها، وهي من ناحية أخرى اختارت ما يناسب المرأة من الهدايا، وما يعبر عــن اهتماماتهــا وطرق تفكيرها فهي نفس محبة تسعى إلى كسب ودّ الرجل ورضــاه، ولــذا اختــارت الألــوان المشرقة لتعبر عن أنوثتها ورقة مشاعرها. فالمرأة تمتلك من الجرأة الشيء الكثير ممــا جعلهــا تقدم على تقديم الهدية للرجل، وتوظف أناقتها في حُسن الهدية ولطفها وأثر وقعها في النفس، فقد فضل ابن المعتز الورد ذا اللون الأبيض، الذي يتوسطه الأحمر الذي يشبه حمرة شــفق الفجــر، وهو بذلك يشبه الورد بخدود الحبيبة ويختار هذا اللون لجماله وحسنه.

وصور ابن المعتز الورد الأبيض وسط الورد الأحمر بالنجوم المشرقة في حمرة الشفق، ومع ندرة هذا المشهد الطبيعي؛ نجد تعبيراً رائعاً، فالسماء طبق، والشفق ورد أحمر، والكوكــب ورد أبيض عقد بينهما خيال منطلق الجناح، وهى إشارة إلى جمال وجه محبوبتــه، وواضــح أن هذه الصورة مستمدة من الطبيعة المحيطة بالشاعر.

وقد نرى أنّ بعض الشعراء يصف الهدية بلوحة تصويرية تبعث الخــوف فــي نفــس المهدى إليه، ويتبين ذلك في قول أبي دُلامة حينما أُهدي للخليفة المهدي فيل، فرآه أبــو دُلامــة، فولىّ هارباً، وقال:

يا قَوْمُ إنّي رَأَيْتُ الفِيلَ بَعْدَكُمُ   لا بَارَكَ اللهُ لي في رُؤْيَةِ الفِيـــلِ

---

(١) ابن المعتز، الديوان، ج٢، ص٥٦٤.

أَبْصَرْتُ قَصْراً له عَيْنٌ يُقَلِّبُها فَكِدْتُ أَرمِي بِسَلْحِي في سَرَاوِيلي[(١)]

هذه لوحة تصويرية تبعث الخوف في نفس المُهدى إليه، فالفيل عند العرب هو ذاك المخلوق الضخم الذي لا يخاف، فالشاعر معذور في خوفه؛ لأنه أمام جسم قوي ضخم، لم يعتد عليه، فقد وصف الفيل وصفاً دقيقاً، وربما استخدم الفيل رمزاً للقوة والجبروت، فقد وصف النظرات المتلاحقة في عين الفيل وهو يحركها يميناً ويساراً، واستخدم جملة دعائية "لا بارك الله في رؤية الفيل" لما سبب له من الرعب والخوف حتى كاد يبول في سراويله.

وأحيانا كان الشعراء يخرجون عن السمت الشائع، متحدثين عن هدية لا يقدمها أفراد بأعيانهم، حتى نجدهم أحياناً يتخذون من الزمان مهدياً لهم، فالزمان مثلاً يهدي الصنوبري خوخاً أقرع يصفه بقوله:

أهدى إلينا الزمانُ خوخاً منظَرُهُ منظرٌ أنيقُ

من كلِّ مخصوصةٍ بحُسنٍ معناهُ في مثلها دقيقُ

ملساءُ مصبوغةٌ تولّى صباغَها صابغٌ رفيقُ

صفراءُ حمراءُ مستفيدٌ بهجتها التبرُ[(٢)] والعقيقُ

ذاتُ أديمين : ذا بهارٌ لمجتليه، وذا شقيقُ

كوجنةٍ ألبست خلوقاً وزال عن بعضها الخَلوقُ[(٣)]

يصف الشاعر هدية الخوخ، فهو أنيق حسن، مصبوغ ذو ألوان، فمنه الأصفر، والأحمر، ومن الطريف في هذه المقطوعة، أن الطرف المهدي لم يكن إنساناً كما هي العادة جارية، بل كان الزمان وهو ما لم تجر به العادة؛ ولذا فإن الاختلاف هنا واضح بين هذه الهدية وغيرها من الهدايا، وأقرب ما يكون معناها إلى الهبة من الخالق جلَّ وعلا، و لا نلمح هنا المنّ

---

(١) أبو دُلامة، زند بن الجون (ت١٦١هـ/٧٧٧م)، **الديوان**، نشره: إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٠٨.

(٢) التّبر: فتات الذهب أو الفضة قبل أن يُصاغا (مادة تَبَر)، **الوسيط**.

(٣) الصنوبري، **الديوان**، ص٣٦٠.

في القصيدة، ولاغرو في ذلك لأن المهدي هو الله الخالق الذي يرزق من يشاء، من غير مـــنّ أو أذى.

وتأخذ كلمة الهدية هنا معنى آخر وهو "الهبة"؛ لأن من قدمها هو الله، و كـــأن الشـــاعر أراد أن يقول أعطى أو وهب لكنه اختار (أهدى) لما لها من أثر في نفس الإنسان. وهذه إشـــارة إلى التفكر في قدرة الله عز وجل ومعجزاته، والتفكر في نعمائه علـــى النـــاس، والتفكـــر فـــي مخلوقاته، فعرض ذلك الخوخ بألوانه المختلفة، وأشكاله وأحجامه ومنظره الجميل، ودقة صـــنعته التي يعجز البشر عنها، فالله الرازق والمعطي هو الذي قدر كل ذلك وأحســـن خلقـــه وصـــنعته وإبداعه.

ويشارك الأدب الذي وصف الهديّة في الكشف عن بعض الظـــواهر الاجتماعيـــة التـــي كانت سائدة في العصر العباسي، كممارسة بعض الطقوس والمعتقدات والاحتفـــالات بالأعيـــاد، ويظهر ذلك في قول الصنوبري يصف شمعاً أهداه:

وصفرٍ من بناتِ النحلِ تكســـي ... بـــواطنـــها، وأظهرها عَـــوارِ

عذارى يُفْتَضَضْـــنَ من الأعالي ... إذا افْتضْت من السفل الجـــواري

وليست تنتـــجُ الأضواءَ حتـــى ... تُـــلَقَّـــح فـــي ذوائبـــها بنـــارِ

كواكبُ لسن عنـــك بآفـــلاتٍ ... إذا ما أشرقـــتْ شَمْـــسُ العقـــارِ

بعثـــتُ بهـــا إلى ملكٍ كريـــمٍ ... شريفِ الأصـــلِ محمودِ النـــجارِ

فأهديتُ الضياءَ بهـــا إلى مـــن ... محاسنـــهُ تضيءُ لكـــلِّ ســـارِ[1]

وهنا يتساءل المرء لِمَ أهدى الشاعر الشمع في عيد الميلاد دون غيره من الأشياء التـــي يتهاداها الناس في مثل هذه المناسبة، لعل من وراء ذلك غاية أو معنى خفيـــاً يدركـــه الشـــاعر، فالشمع ينبعث منه الضوء والحرارة، وهو ينصهر في ذاته ليضيء العتمة للآخرين. والواقـــع أن هذا الاتجاه في التصوير في شعر الصنوبري كان يمثل مرحلة من مراحل حياته، وهي مرحلـــة المجون والتخالع والتمتع بأطايب العيش، فلقد اختار الشمع لأنه مصدر الضـــوء؛ فقدمـــه هديـــة للممدوح؛ لما يتصف به من صفات حسنة: فهو كريم، شريف الأصل، محمود الخصـــال، وهـــذه الصفات هي مصدر الضوء، فهو يستحق تلك الهدية.

---

(١) الصنوبري، **الديوان**، ص٤٢٥-٤٢٦.

إنَّ هذا الشمع له دور مهم في الإضاءة، وهو يشبهه بالأفلاك والشمس، ويصف تلك الشموع في ليلة الميلاد وكأنها فتاة الخدر في حمرتها وضيائها وجمالها، فقد أقام علاقة بين الشمع والملك في الضياء، فشبه هذه الشموع بالعذارى وهي تحترق من أعلاها، وهي كذلك كالكواكب وهي آفلة.

ولم يقتصر وصف الهديّة على كشف اللثام عن بعض العادات الاجتماعية والطقوس والمعتقدات في العصر العباسي، بل تناول أيضاً وصف الأطعمة السائدة التي لها قيمة غذائية عالية كالعسل والأسماك، وغيرها. ويتضح ذلك في قول أبي الطيب حينما قال في صباه ارتجالاً، وقد أهدي إليه عبيد الله بن خلكان هديّة فيها سمك ولوز في عسل:

قَدْ شَغَلَ النّاسَ كَثْرَةُ الأَملِ ... وأَنْتَ بالمَكْرماتِ في شُغْلِ

تَمَثَّلوا حَاتِماً ولَوْ عَقَلُوا ... لكُنْتَ في الجُودِ غَايةَ المَثَلِ

أهلاً وسَهْلاً بما بَعَثْتَ بِهِ ... أيهاً أبا قاسِمٍ وبالرُّسُلِ

هديَّةٌ ما رأيتُ مُهْديها ... إلاَّ رَأَيْتُ العبادَ في رجُلِ

أقلُّ ما في أقلِّها سَمَكٌ ... يَسْبَحُ في بِرْكةٍ[1] مِنَ العَسَلِ

كيْفَ أُكَافي عَلى أجلِّ يدٍ[2] ... مَنْ لا يَرَى أنّها يَدٌ قِبَلي[3]

تظهر في هذه الأبيات بعض الأطعمة السائدة في العصر العباسي كالعسل الذي يتبوأ مكانة وقيمة غذائية وعلاجية كبيرة، وفضلاً عن ذلك فقد أشار الشاعر في هذه الأبيات إلى الكرم والجود الذي اتصف به صاحب الهديَّة، فهو مهما قدم من هدايا، وإن لم تكن ذات قيمة فهو لا يوفيه حقه.

ويبين الشاعر اشتغال الناس بتحقيق ملذات الدنيا، فيقول إن تحقيق ملذات الدنيا تتم بتحقيق آمالهم، وقد شبهوا هذه الطموحات بكثرة الهدايا التي قدمت لهم، وذلك دلالة على الجود، فكيف تتم المكافأة عن هذه الهدايا الكثيرة التي قدمت. وقد تعرض الشعراء أيضاً في وصف

---

(١) **البركة:** القصعة التي كان فيها العسل.

(٢) **اليد:** النعمة.

(٣) المتنبي، **الديوان**، ج٣، ص٢٩٠-٢٩١.

الأطعمة إلى وصف أوانيها أو أقداحها، ويظهر ذلك في قول ابن الرومي في قدح أهداه إلى على ابن يحيى المنجم(١):

وبديـــعٍ مـــن البدائـــعِ يَسْـبَـــى ... كل عقلٍ، ويطّبى كُلَّ طِـرْف

وفي الحسـنْ والملاحـةْ حتـى ... ما يُوفّيه واصفٌ حقَّ وصفِ

قدحٌ كـان الرشيـد اصـطفـاه ... خَلَفٌ من ذكوره غيرُ خَـلفِ

كفَم الحِبِّ في الحلاوةِ بـل أحـ ... لى وإن كان لا يناغِي بحرفِ

صيغَ مـن جوهرٍ مصفّى طباعا ... لا علاجاً بكيمياءِ مُصَنِّـف

تَنفَـذُ العينُ فيـه حتـى تراهـا ... أخطأتْهُ من رقّة المستَشِـف

كهـواءٍ بـلا هبـاءٍ مَشـوبٍ ... بضياء أرفقْ بذلك وأصـفى

وسَطُ القـدرِ لم يكبُر لجـرّعٍ ... مُتوالٍ ولم يُصغّر لرشـفٍ

لا عجولُ على العقول جهـولٌ ... بل حليمٌ عنهن في غير ضعف

يُمتع الشاربين بالشُرب فيـه ... وبلذات كلِّ قصـفٍ وعَـزفِ

ما رأى الناظرون قدّا وشكـلاً ... فارساً مثله على بطـن كـفِ

ليس يخلو إذا تعاطـاه قـومٌ ... من أكفٌ يمسحنه بتَحفِّـي

مـا رأوهُ إلا استُخِـفّ حليـمٌ ... لم يكن قبل ذاك بالمستَخفِّ(٢)

جاءت هذه القصيدة في موضوع إهداء قدح لعلي بن يحيى المنجم، لكن معظم أبياتها أتت مدحاً للمذكور وذكر مناقبه. يصف ابن الرومي القدح بالجمال والبداعة حتى إنه يسبي العقول؛ لحسنه وجماله ودقة صنعه، إذ يعجز عنه الوصف، لرقته وجماله، فتجد العين تنفذ منه

---

(١) علي بن يحيى المنجم: كان أبوه أول من خدم من آل المنجم الخلفاء وإليه ينسبون وهو المنجم وأول من خدم المأمون، وكان شاعراً راوية، مات سنة خمس وسبعين ومايتين ودفن بسرّ من رأى. **معجم الأدباء**، ج٥، ص ٢٠٠٨.

(٢) ابن الرومي، **الديوان**، ج٤، ص١٥٥٨-١٥٥٩. انظر أيضاً: درابسه، محمود، **ابن أبي عون وكتابه التشبيهات**، إربد، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٧.

لرقته وصفائه، والناظرون إليه يجدون قدحاً وشكلاً أفضل منه، ونلاحظ في هذه الأبيات وصف القدح وصفاً يعبر عن دقة ملاحظة، وعمق تجربة شعرية مؤثرة تستكشف نواحي الجمال في هذه القدح، وإنه ليعبر عن الحب وإن كان لا ينطق ولا يحسّ، أما عن عملية صنعه، فإنه يُصنع من الجوهر الصافي بطبعه بدون معالجات كيمائية، وقد بلغ درجة عالية من الدقة والجَوْدة حتى إن العين لا تستطيع رؤيته؛ لأنه شفاف كالهواء، والضياء الذي يشع منه، وعندما تشرب منه، فهو مصمم حتى يمله الشارب فهو ليس بالكبير كالقدر، ولا بالصغير بحيث ينتهي ما فيه بسرعة، وواضح أن الشاعر بالغ في الوصف، فهذا القدح لا أحد يستطيع وصفه، وهو يسبي العقول، ومصاغ من الجوهر الصافي، وهو يشبه الهواء في شفافيته، لعل الشاعر بالغ في الوصف للدلالة على مكانه الممدوح عنده.

وكما وصف الشعراء الهدية القيمة الثمينة قيمة ومكانة، فإنهم وصفوا بالمثل الهديّة الرخيصة أو الزهيدة، ويتضح ذلك في قول ابن الرومي يستهدي كساء:

أعاذكَ الله من حالٍ تُماطِلُني ... لضيقِها بِكساءٍ تافهٍ الثّمَنِ

ومن بصيرةِ رأيٍ غيرِ مُبْصِرةٍ ... إنّ اطرّاحَكَ حَمْدى أغبنُ الغَبنِ

انظر إلى الدنيا وزينتها ... ترى المكارمَ فيها زِينةَ الزّيِنِ

فالبَسْ وألبِسْ فإنّ الثوبَ تلبِسُهُ ... زَيْنٌ على النفس لا ثِقلٌ على البدنِ

إن تكسُني يكسُكَ المعروفُ من كثبٍ[1] ... ثوباً جميلاً تراه أعينُ الفَطِنِ

فاكسُ ابنَ شكرِك ما يَبْلَى على ثقةٍ ... أنْ سوفَ يكسوكَ ما يبقى على الزمنِ[2]

يصف ابن الرومي في أبياته الهديّة التي يطلبها، فهي تافهة الثمن رخيصة، فالثوب الذي يطلبه يزيّن النفس ويحسنّ المنظر، ويدعو لمن كساه بالمعروف، فإن من ألبسه ثوباً سوف يلبسه المعروف مدى الزمن، وأعتقد أن الكساء الذي يريده هو كسوة كاملة له ولأولاده، واختياره الكساء تافه الثمن دليل على سوء حالته المادية، ولم يكن طلب الكساءَ إلاّ لحاجته، لأنّ الكساء مصدر الزينة الذي تتزين به النفس.

---

(١) كثب: الشيء كثباً: اجتمع. ويقال كثب القوم: اجتمعوا. (أكثبَ) الشيء قرب. ومنه أكثب أطماعهم، مادة كثب، **الوسيط**.

(٢) ابن الرومي، **الديوان**، ج٦، ص٢٤٤٠-٢٤٤٢٢.

ونلاحظ أنّ وصف الهدية أتى لتصوير المظاهر الحضارية السائدة في المجتمع العباسي، ويظهر ذلك في قول أبي بكر محمد الخالدي: حينما أهدى محمد بن هاشم الخالدي إلى عمرو بن اصطفن الكاتب[١] مروحة طريفة، وكتب معها:

أيا عَمْرُو يا بن العلى والحَسَـب ... وَمَنْ حَلَّ في المنْصِبِ المنتَخَبْ

بعـثـتُ إليـكَ أطـالَ الإلـ ... ـهُ عُمْرَكَ ماطالَ عمر الحِقَبْ

بِمرْوَحَـةٍ رَاحـةٍ للقُلـوبُ ... لهـا نِسْبتـان إذا تَنْتَسِـبْ

ففي سَعَفِ النّخْل نَخْل النَبيّط[٢] ... وفي خيزرانِ غيـاضِ العَرَبْ

مَنَافِـعُـها أبـداً جَمَّـةٌ ... لمالِكِها غيـرَ قَـوْلٍ كَـذَبْ

تَرُدُّ التَّشـاريـنَ في حُمّـةٍ ... مِنَ القَيْظ نيرانُـها تَلْتَهِـبْ

وتَجْعَـلُ سِتْـراً إذا مـا أردْ ... تَ سِرّاً إلى صَاحبٍ في سَبَبْ

وإنْ شِئْتَ كانتْ قضيبَ الأقـاحِ ... فأدَّتْ إليكَ فُنُونَ الطَّـرَبْ

وتصلحُ للضَّرب ضَـرْبِ الدَّلالِ ... دلالِ الحَبِيبِ، إذا ما عتِـبْ

وتُومي بها في عَـروضِ الكَلامِ ... إذا مَاحتبيـتَ لنَثْر الخُطَبْ[٣]

يتبادر إلى الذهن أنَّ هذه المروحة التقليدية ربما كانت من خشب أو قش أو ريش، وفي ذلك تصوير للمظاهر الحضارية السائدة في المجتمع العباسي، كما هو انعكاس لطبيعة المناخ السائد في تلك المنطقة، إذ درجات الحرارة المرتفعة في فصل الصيف تستوجب على المرء استعمال مثل هذه الوسائل لتخفيف حدة الحرارة، فأبو بكر الخالدي يذكر فوائد المروحة، فهي راحة القلب، ثم يبين مادة صنعها فهي من عسف النخل، وفيها أيضاً الخيزران، وهي كبيرة

---

(١) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول الصولي، كنيته أبو الفضل، من جلة كتاب المأمون وأهل الفضل والبراعة في الشعر، وكان بليغاً كاتباً مات في سنة أربع عشرة ومائتين، **معجم الأدباء**، ج٥، ص٢١٢٩.

(٢) **النبيط**: هو جبل من العجم بالبطائح بين العراقين سموا بذلك لكثرة البيط وهو الماء.

(٣) الخالديان، أبي بكر محمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، وأبو عثمان (٩٩٠هـ/٩٩٩م) ابنا هاشم الخالدي، **الديوان**، جمعه وحققه: سامي الدّهان، دمشق، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص٢٦-٢٧.

الحجم، لأن حاملها يستطيع الاختباء وراءها وأنها تصلح للخطب، لأن من تقاليد الخطبة أن يمسك الخطيب بيده عصا أو أي شيء، وهي تصلح لهذا الغرض.

ويخاطب الشاعر أبا عمرو مادحاً إياه، فهو صاحب حسب وذو منصب، وقد بعث إليه بهديّة لطيفة، فيدعو له بطول العمر، فالهدية التي بعثها لها قيمة في نظره لما لها من فوائد جمة أهمها راحة النفس.

وقد عرض الشعراء أيضاً بعض التقاليد الاجتماعية السائدة آنذاك، ويتمثل ذلك في قول كشاجم يصف مذبة أهداها:

مذبّةٌ[١] تُهدى إلى سيّدٍ ... ما زال عن كلِّ ولي يذُبْ

طريفةٌ لم تخلُ من مثلِها ... مجلِسُ ذي ظرفٍ ولا ذي أدبْ

ناصيّةُ[٢] الأدهم في عودها ... لم تكُ من عُرفٍ[٣] ولا من ذنَبْ

وذاك فألْ إن تأمَّلْتَه ... لما تُرجّي من نواصي الرُّبْ

لطيفةٌ تُجمعُها حلْيَةٌ ... مُذْهَبةٌ في قائم مُنْتَحبْ

كأنها في ظهرِ مجدولةٍ ... ذؤابةٌ[٤] أنبوبها من ذهبْ

قليلةُ المِقدار لكنّها ... أكثر منها أنها من مُحبٍّ[٥]

لعل المروحة التي يستعملها بعض النّاس للتهوية، أوهي تلك القطعة التي تحمل في أعلاها ريشاً أو شعراً يبعد فيها الإنسان ما يقترب منه من حشرات، وكانت تقليداً اجتماعياً سائداً آنذاك، ولم يقتصر على فئة معينة من الناس. والطريف هنا أن الشاعر وصف هذه المذبة بأنها من شعر مقدمة الرأس لا من الأذنين وهي لطيفة في شكلها وقوامها.

---

(١) **مذبة**: ما يذب به، **الوسيط**.

(٢) **الناصية**: مقدمة الرأس، **الوسيط**.

(٣) **العرف**: شعر عنق الرأس، **الوسيط**.

(٤) **الذوابة**: الناصية أو مثبتها من الرأس وشعر في أعلى ناصية الفرس، **الوسيط**.

(٥) كشاجم، **الديوان**، ص٦٤-٦٥. وانظر أيضاً: سعود محمود عبد الجابر، **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٣٦٧.

وفي بعض الأحيان كان المهدي يقدم أنواعاً من الهدايا محبّبة للشخص الـذي يريـد أن يهديه، فربما قدّم له أشياء قلت قيمتها كالنعال مثلاً، لكنّها تنال مكانة، في نفـس المُهـدى إليـه، وتترك أثراً طيباً، وإن قلّت قيمتها، ويتراءى ذلك في أبيات السرّي الرّفاء التي كتـب بهـا إلـى صديق له وقد أهدى إليه نعالاً وشراكاً وقوارير ماء ورد، يقول:

أقْـرَرْتُ في شُكْرِكَ بالتَّقْصِيرِ ... إذ زِدْتَ فِي البِرِّ عَلى التَّكْثِيـرِ

وجاءَني مِنْ سَيْبِكَ[١] الغَزِيـرِ ... مَـراكِبٌ مُخْطِـفَةُ الخُصُـورِ[٢]

مُسْوَدَّةُ الأَعجـازِ والصُّـدُورِ ... سُودٌ عَلَيْـهَا رَوْنَـقُ الذَّكُـورِ

كأَنَّمَـا قُـدَّتْ مِنَ الدَّيجُـورِ ... وَمِنْ نَفِيـسِ الأَدَمِ المَبْثُـورِ

كُلُّ فتـاةٍ نشـأَتْ بجُـورِ ... تَخْتَـالُ فِي دُوَّاجِهـا القَصِيـرِ

تَبْـرُدُ مِنْـهُ غُلَـلُ الصُّـدُورِ ... أَشْهى مِنَ الوَصْلِ إِلَى المهجورِ[٣]

وردت هذه الأنواع من الهدايا في غير موضع، إذ قدم المُهدي أنواعاً من الهدايا محببـة للشخص الذي يريد إهداءه؛ لأنه يقدم أشياء ربما قلت قيمتها كالنعال مـثلاً، وقـد يكـون هـذا الشخص طلب هذه الأشياء، فبادر المهدي إلى تقديمها. وقد جـاءت المقطوعـة أيضـاً وصـفاً للقوارير التي قدم فيها ماء الورد، والشاعر يصورها بالفتاة الجميلة ليعترف بتقصيره عن تقـديم شكره على الهدايا التي قدمت له، فقد جاء عطاؤه كثيراً وافراً، منها تلـك المراكـب المخطفـة الخُصور (يقصد النعل)، وهو يصف شكله وصناعته، فقد جلبت هذه القوارير من تلك المدينـة، وبيَّن نوع الجلد، كما وصف القلائد في النحور بأنها جميلة، وأن القوارير قد جلبت أيضـاً مـن مدينة جور؛ لأنها مهمة، فكذلك لقد اختارت الألبسة التي تزينها جمالاً، فهذه القـوارير تطفـئ حرارة العطشان، فشبهها لجمالها بالفتاة الجميلة.

وهناك نوع آخر من الهدايا اللطيفة التي وصفها الشعراء وهي هدية الخواتم بأنواعهـا، ومن ذلك قول الحسن محمد بن الوزير الحافظ حينما أهدى إلى الأخشيد خاتماً وكتب معه:

---

(١) سيبك: عطاؤك.

(٢) مراكب مخطفة الخصور: النعل.

(٣) السري الرفاء، الديوان، ص ٢٧٦-٢٧٧ .

وذي عنـــقٍ لم يطـلْ　　عليه ولـم يَقْصُـــــرِ

ومَتْنَـــيْن قــد حُصــرا　　على قــدر الخِنصـــرِ

وقـــد زاد فـــي ضُمره　　على الفَرَس المُضْمَــرِ

وأسفـــلــه فِـضَّــــةٌ　　وأعـــلاه من جوهـــرِ

بعثـــت بـــه معـسِراً　　إلـــى ملـــكٍ مـوســر

ولاغروَ أن يهدي الـــ　　مُقــلُّ إلـــى المُكْثِــرِ(١)

إن تهادي خاتم الذهب أو الفضة المرصع بالأحجار الكريمة ليس جديداً، بل هو معروف في المجتمعات كافة، وفي مختلف العصور والأزمنة، إذ إن هذا النوع من الهدايا مألوف، لكــن التساؤل هنا لم يدعُ المهدي إلى لبس الخاتم في الإصبع الخنصر؟ لعل في ذلك تعبيراً عن تقليــد جرى عند الخلفاء والأمراء، وقد يكون رمزاً معنوياً عن الصلة أو المحبة أو القرب المعنوي بين المُهدي والمُهدى إليه، وفي هذه الأبيات يصف الشاعر الخاتم وصفاً دقيقاً، فهو غالي الــثمن، إذ كان أسفله فضة، وأعلاه جوهر، وزاد في قيمته أنه من رجل فقير معسر إلى ملك غني موســر، وهذا ليس بالشيء الغريب، فالإنسان المُقلّ قد يكون طيب النفس كريماً، وفي هذا نلمــح طبيعــة اجتماعية، وهي كرم الناس الفقراء وسماحه أنفسهم.

ونلاحظ من وصف الشعراء للهدايا أنهم يستمدون صورهم من المجتمــع؛ لأنهـــا تعــد انعكاساً للمجتمع، فهذا كشاجم يصف مرآة أهداها فيقول:

والهدايا في المهرجانِ قديمــاً　　وحديثــاً من سُنَّـــةِ الدهقـــانِ

أيّ شيء أهدي لأحســـن شيءِ　　قرُن الحُســـن فيه بالإحســـانِ

خطَّ منها شكل المدور قـــــداً　　واعتدالا (اقليدس) اليونـــاني

ورُثْـــت عـــن متوجيـــن وإذا　　ما إليـــنا تعـــاقبُ الأزمـــانِ

وعلى ظهرهـــا فوارس تلهـــو　　ببزاةٍ تعـــدو عـــلى غـــزلانِ

---

(١) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري(ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **يتيمة الدهر في محاسن أهــل العصر**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٥٠٧.

لكَ فيـــها إذا تأمّـــلْتَ حُســـنٌ مُخبرٍ فضلُه بنيل الأمـــاني[١]

اختار الشاعر المرآة، لأنها تعكس صورته الجميلة، صورة عن المجتمع وهـــو (حفـــل اجتماعي) يصور فيه الشاعر تقليداً كان شائعاً في عيد المهرجان، وهو سُنة متبعة يظهـــر ذلـــك البيت الأول، ولقد فكر كثيراً في نوع الهدية، وهذا يدل على أن الهدية لم تكن عشوائية إنما وفق اختيار وبعد تأنٍ، كما يفهم البيت الثاني. وقد استعمل نظرية علمية فشكلها دائري وهى معتدلـــة السطح كما في البيت الثالث، وحدد الشاعر قيمة الهدية في البيت الرابع في كونها معروفـــة فـــي القدم، وهذه المرآة التي قدمها ملوكية موروثة، وعليها رسومات قديمة وجميلة، وهنا نلمس نوعاً وسمة للهدايا وهي القدم ووراثتها عن الأجيال السالفة، وهى ما يشير إلى عراقتها.

ونقف عند نوع آخر من الهدايا التي خفت وقل ثمنها وعظم شأنها، وذلك كما في إهـــداء قابوس بن وشمكير إلى عضد الدولة سبعة أقلام:

قد بَعَثْنَا إليكَ سَبْعَـــةِ أقـــــلا مٍ لها في البهاءِ وخْطٌ عَظيمُ

مرهفاتٍ كأنَّها ألسُـــنُ الحيَّاتِ قَدْ جَازَ حدَّها التقويـــــــمُ

وتفاءلتُ أنْ ستَحْوِى الأقاليـــ ـــمَ بها كلُّ واحدٍ إقليـــمُ[٢]

يصف قابوس بن وشمكير[٣] الهدية التي بعثها، فهي من جهة المكانة والقـــدر عظيمـــة الشأن، ومن جهة الشكل فهي مرهفة، وقد ذكر عدد هذه الأقلام فهي سبعة، بعث لكل إقليم بقلـــم، لقد وقع في ذهني تساؤل، ما المقصود بالأقاليم؟ هل هي منطقة جغرافية أو سياســـية أم أن هـــذه الأقلام ستكون وسيلة يكتب بها الرسائل السياسية، أو تبعث إلى حكام هذه الأقـــاليم، ومـــن هنـــا يكون تفسير رقم سبعة أقلام، إذ جاءت على عدد الأقاليم السبعة التي بعث إليها الحكام.

---

(١) كشاجم، **الديوان**، ص٤٦٨.

(٢) الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيروانـــي (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م) ، **نـــور الطـــرف ونـــور الظرف**، تحقيق: لينة عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٣٣.

(٣) قابوس بن وشمكير: لقب بشمس المعالي، من الملوك، وكان صاحب جرجـــان وطبرســـتان، وكـــان أبـــوه وشمكير وعمه مرداويج ملوك الري وأصبهان وتلك النواحي، لأن أول من ملك من الديلم ليلـــى بـــن النعمـــان فاستولى على نيسابور في أيام نصر بن أحمد السامائي. **معجم الأدباء**، ج٥، ص ٢١٨١.

ويبدو ذلك واضحاً عند الحسن بن وهب قال: كتبت للبحتري أستهديه، ونحن في بلاد الروم، مطبوخ العراق وهو النبيذ، فبعث إليّ خماسيتين[١]، وكتب إليه بهذا الشعر:

لم تلق مثلي صاحباً ... أندى يداً وأعزّ جودا

أسقي الصديقَ بمنزلٍ ... لم يروِ فيه الماءُ عودا

صهباءَ صافيةً كأنْ ... على جوانبها العقودا

فإذا استقلّ بشُكْرها ... أوجَبْتُ بالشُّكرِ المزيدا

وأمُنُّ حين أمُنُّ لا ... حَصِراً بذاكَ ولا بليدا

وإذا خشيتُ على الصنيـ ... ـعةِ بالتقادُمِ أنْ تبيدا

أنشأتُ ذكْرَ صنيعتي ... فردَدْتُها غَضّاً جديدا

ومدحتُ نفسي مُبْدياً ... بالقولِ فيها أو مُعيدا

خُذْهَا إليكَ كأنّمَا ... كُسِبَتْ زُجاجَتُها عُقودا

واجعل عليك بأن تقو ... مَ بشكرها أبداً عُهُودا[٢]

يصف الشاعر الهدية (الخمرة) ويذكر أحد أسمائها (الصهباء) ثم يذكر صفاتها: فهي صافية، ولعل تلك الصفة تدل على جودتها، وهي تستحق الشكر الزائد، وهي مكسوة بالعقود، ثم يطلب منه أن يتخذ على نفسه عهداً تجاه تلك الخمرة، وهو شكرها على الدوام؛ لما تتركه في نفسه من أثر.

ثامناً: الهدية والغزل

تعددت في هذا العصر دواعي اللهو والغزل، وقد ضعف أثر الدين في النفوس وشاع الفسقُ والفجورُ بين العامةِ والخاصةِ، وكان بسبب ذلك أن تعدى الغزل حدود التقليد العربي،

---

(١) **الخماسية**: بنت خمس سنوات، يريد النبيذ في أوان خماسية. **الوسيط**.

(٢) الجبوري، يحيى، محمد بن عبد الملك الزيات، **سيرته، وأدبه، تحقيق ديوانه**، ط١، دار البشير، عمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٧١-١٧٢.

وأغرق في الفحش إلى حد الشذوذ المقيت وما ذاك إلا لانخراط الناحية الجنسية في المجتمع، وفقدان الحب الحقيقي في قلوب الناس[١].

كثر الغزل في العصر العباسي كثرة مفرطة، حتى يمكن أن يقال إن جميع الشعراء عنوا بالنظم فيه، وهي عناية أعدته لكي يزدهر ازدهاراً واسعاً، وأنهم كانوا يتجهون بأكثر غزلهم إلى الجواري المغنيات، فكانوا يختارون لهن اللفظ السهل البسيط الذي يلمس القلوب لمسا دون أي حجاب، وأيضا شيوع الأوزان المجزوءة والقصيرة في هذا الوزن[٢].

ومن هذا نرى أن ظاهرة تبادل الهدايا كانت مظهراً حضارياً، سجله شعراء القرنين الثاني والثالث الأعفة في غزلهم، فقد كانت الهدايا تذكاراً من الحبيبة يرى فيه الشاعر أثراً من آثارها، فيأنس إليه في حالة بعدها عنه، ولا أدل على ذلك من طلب العباس من فوز أن تقدم له شيئاً للذكرى يحتفظ به، يقول:

فوزُ ماذا عليكِ أن تُؤنِسيني ... بحِقابٍ[٣] أو خاتَمٍ أو وِشاحِ[٤]

فقد تبادل العباس وصاحبته (فوز) الهدايا، فأهداها برداً، وأهدته حقاباً وخاتماً، ويبدو أنهما تبادلا الهدايا قبل الفراق، يقول:

وقد كنتُ لمَّا آذنتنى ببينها ... وَمَرَّتْ بذلكَ البارحاتُ الأشائمُ

تزوّدتُ منها بعضَ ما فيه ريحُها ... وزودتُها والقلبُ حَرَّانُ هَائِمُ

فَلى عِندَها بُرْدٌ تُسكِّنُ قلبَها ... بهِ ولها عندي حِقابٌ وخَاتَمُ

وعندما حدثت بينهما الجفوة والقطيعة ردت (فوز) هدايا العباس، كما ردت رسائله من قبل، وذلك يتضح في قوله:

---

(١) شوقي ضيف، **العصر العباسي الأول**، ص ٣٧٠

(٢) **المرجع نفسه**، ص٣٧١.

(٣)**حقاب**: شيء تعلق به المرأة الحلي وتشد به وسطها.

(٤) العباس بن الأحنف، أبو الفضل، العباس بن الأحنف بن حنيفة (ت١٩٤هـ/٨٠٩م) ، **الديوان**، دار صادر بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، د. ن، ص٩٣.

رَدَّتْ علي هديَّةً لو أنها بَعَثَتْ إليَّ بِمِثْلها لم أرْدُدِ[١]

ووصف إبراهيم الصولي هدية محبوبته (سامر)، التي كانت قد غابت عنه ثلاثة أيام، ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاها، وقالت له: قد أهديت صاحبتي إليك عوضا من مغيبي عنك، فقال إبراهيم:

أقْبَلْنَ يَحفُفن مثلَ الشمس طالعةً قد حسَّن الله أُولاها وأُخراهـا

ما كنتِ فيهن إلاَّ كنتِ واسطـةً وكنَّ دونكِ يُمناها ويُسراها [٢]

ويظهر أنّ كثيراً من الشعراء كانوا يقدمون هداياهم إلى المحبوبة بأشكال مختلفـة مثـل الورد والتفاح ونجدهم يكثرون من ذلك، خاصة التفاح، ربما للدلالة على المحبة وحسن منظرهـا الجميل، وما يدل على ذلك أن المتوكل أهدى إلى عنان تفاحة، فقالت:

يا طيبَ تفاحة خلوتُ بهـا تشعل نار الهـوى على كبـدي

أبكي إليها، وأشتكي دنفي[٣] وما أُلاقي من شـدة الكمـد

أو إنَّ تفاحة بكـت لبكيـت من راحتـي، هذه التي بيـدي

إنْ كنتِ لا ترحمين ما لقيت نفسي من الجهد فارحمي جسدي[٤]

وظف المتوكل التفاحة لتكون رمزاً لجاريته المحبوبة عنان، وذلك لأنه كلما خلـى بهـا زاد شوقه وحبه فيوجه شكواه وألمه إلى محبوبته، حتى أصبحت تشاركه البكاء والحـزن؛ لأنـه متعلق بها أشبه ما يكون بتعلق الراحة باليد ثم يتوجه إلى محبوبته أن تخفف الحزن.

أما محمد بن أبي أميّة، فقد أهدته (خداع) تفاحة مفلجة[٥]، منقوشـة، مطيبـة بالمسـك، فكتب إليها قائلا:

---

(١) لينا عبد ربه خورسيد الشخشير، **شعر الغزل العذري في العصر العباسي**، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨، ص٤٦-٤٧.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٤٨.

(٣) **الدنف**: المرض اللازم. انظر، ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد٤، ص٤١٣. (مادة دنف)

(٤) علي مرّة، **طرائف النساء والجواري**، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ص٣٤.

(٥) مفلجة: مقسمة. **الوسيط**.

خَداعُ أهديت لنا خُدْعَةً　　تُفّاحةً طيبـــــــة النّشرِ

حشوتِها مِسْكاً ونقَّشتِها　　ونقش كفيك من السّحــــرِ

سَقْياً لها تفاحةً أُهدِيت　　لو لم تَكُنْ مِن خُدَعِ الدَّهرِ (١)

هكذا كن الجواري "يهدين التفاح كثيراً إلى من يكلفون بهن أو يتعلقن هن بهــم، وكــن يضعن عليه أثر أخذه بأفواههن، وقد يفلجنّه ويشققنه بالمسك وغيره من أنواع الطيب، وقد يكتبن عليه بعض أبيات رقيقة، تصور صبابتهن. وفي أخبار المهدي أن جارية من جواريه أهدت إليــه تفاحة وطيبتها وكتبت عليها:

هَديَّة مني إلى المَهْدي　　تفاحةٌ تُقْطَفُ من خَدِّي

مُحْمَرَّةٌ مصفرةٌ طُيِّبَتْ　　كَأنها من جنَّة الخُلْدِ(٢)

وقد ذكر علي بن الجهم قال: دخلت على المتوكل وبين يديه تفاحة معضوضة، أهدتها له بعض جواريه، فقال: قل فيها قبل جلوسك، ولك بكل بيت ألف دينار؛ فقلت:

تفاحةٌ جرحتْ بالثغر من فمها　　أشهى إليَّ من الدنيا وما فيــها

جاءت بها ظبية من عند غانيةٍ　　نفس من السوءِ والآفاتِ تفديها

لو كنت ميتا ونادتني بنغمتها　　إذن لأسرعتَ من لحدي ألبيها

بيضاءَ في حمرةٍ علتْ بغاليةٍ　　كأنها قطعةٌ من خدِ مهديهـــا(٣)

فأمر لي بأربعة آلاف دينار، وبأربع خلع.

يبدو في هذه الأبيات موقف طريف متعمد يوحي بالدعابة، وهو أن ترمي فتـــاه بتفاحـــة معضوضة ثم تتصرف، ويبدو أيضاً أن بعض الهدايا كانت تقدم للمهدى إليه رمزاً لشهرة التفاحة

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) ، **الأغاني**، الهيئة المصـــرية العامـــة للكتـــاب، القاهرة، ١٩٩٢، ج٢، ص١٥١.

(٢) شوقي ضيف، **العصر العباسي الأول**، ص٦٤.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١ ص٩٠٦. وانظر أيضا: الزمخشري، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، ج١، ص٢٦٠-٢٦١.

المعضوضة التي قدمتها الجارية إلى المتوكل، وربما أرادت نفسها محمرة التفاح هو حمرة وجهها وبياض من الداخل هو بياض جسمها، وهي بذلك تريد التقرب إلى نفس المتوكل، وكسب وده ولاسيما أن التفاح يتراءى ذا رائحة طيبة وطعم شهي، فقد استعمل الشاعر أسلوبا بسيطاً ينسجم مع هدفه في الإضحاك، وأغلب الظن أن هذا النوع من الغزل ينظم للأغنياء الموسرين الذين يريد الشاعر أن يضحكهم مقابل ما يدفعون له من جوائز وأموال، ولعل هذا اللون من الغزل يبغي إثارة الإضحاك وإدخال البهجة إلى النفوس.

ويظهر في باب الغزل الود والهجران من قبل المحبوبة، ويبدو ذلك في قول العباس بن الأحنف:

اقْبَلُوا ودّي فقدْ أهديتُهُ ثُم كَافُوني بصدٍّ فَهْوَ وُدُّ

هَذِهِ نَفْسِي لَكُمْ مَوْهوبةٌ خَيْرُ مَا يُوهَبُ مَا لا يُسْتَرَدُّ[١]

ويستبان من البيتين أطرف أنواع الهدايا وهو (الودّ) مبتغى الكثير من الناس، لكن الطرف الآخر المهدى إليه لم يكافئ مُهديه إذ كافأه بالصدّ، وهذا من باب الغزل، ولذا جاء نوع الهدية ملائما للغرض الذي قيلت فيه.

أما ورود كلمة الهبة، فقد وقفت عندها متسائلا؟ هل هي معنى من معاني الهدية؟ وهي حسب اعتقادي نوع من أنواع الهدية لأنها تصب في الاتجاه نفسه، وفي الغرض نفسه فالهدية والهبة تولد الود والمحبة.

وقد كان للتفاح مدلول كبير في نفس الشاعر؛ لأنه جاء من محبوبة له، ويتبين ذلك في حكاية أبي الجعد المعروف شاعر الزنج إذ عشق غلاما فأخذ في قول الشعر فيه فجوّده واشتد حبه في الغلام، وكان الغلام ظريفا مغرماً بالتفاح، لا يكاد يفارقه فجاء يوما شاعر الزنج فقعد بإزاء الغلام وبيد الغلام تفاحة أهديت له فجعل يقبلها تارة ويشمها أخرى فقال شاعر الزنج[٢]:

تفاحةٌ أكْرَمَها ربُّها يَا ليتني كنتُ تُفَّاحةْ

تُقبِّل الحبَّ ولا تستحي مَنْ مَسّكِه بالكف ، نفَّاحةْ

---

(١) العباس بن الأحنف، **الديوان**، ص ١٢٨.

(٢) شاعر الزنج، أبو الجعد المعروف بشعر الزنج، كان وقاداً ببغداد، قصته طويلة وأمره عجيب، اقتضت به الحال في تصرفاته إلى أن صادر وقاداً في أتون حمّام عشق غلاماً فأخذ في قول الشعر فيه فجوّده واشتد حبه في الغلام وكان الغلام ظريفاً مغرماً بالتفاح. **الوافي بالوفيات**، ج١، ص ٢٧٠.

تجري على خدَّيه جَوَّالـــةً　　　نفسي إلى شمِّك مُرْتاحَةْ(١)

والتساؤل هنا لماذا يتمنى أن تكون الهدية تفاحة؟ لأن لها مدلولاً كبيراً في نفس الشاعر، فقد جاءت من محبوبة له، وتظهر شدة الشوق لها، وهذه الأبيات تشي بمدى غزلها، فهـو يشـبّه محبوبته بالتّفاحة التي وصفها بالفتاة، فالشاعر يشم التفاحة ويقربها من خديه، لشـدة تعلقـه بهـا وحبه لها ولجمالها وحسنها، ويكاد الشعراء يلتقون في وصفهم للتفاح، فأوصافهم لا تكاد تخـرج عن دائرة الخدود التي اعتراها الخجل أو خدود العاشقين المحمرة.

وكذلك نلاحظ أن ذكر الشعراء لإهداء التفاح لم يقتصر على هذا، بـل ذكـروا ألوانـه المفضلة عندهم، لاسيما الحمراء والبيضاء، من ذلك حينما أن الشاعر أهدى الزنج بعض التفـاح وتعمد المكتوب منه، وقد كتب على وجه تفاحة حمراء:

جودوا لمن هيَّمَـــهُ　　　حَبـكُــم فهامـــــا

وصار ضوءُ يومه　　　من حزنه ظلاما(٢)

وكتب على آخر.

مُهْجَةَ نفس أتتكَ مرتاحَةْ　　　تشكو هواها بلفظ تفاحَةْ(٣)

يطلب الشاعر هدية (تفاحة) ذات صفات جميلة حمراء ببياض دلالة عن الجمـال وهـو يطلب من الممدوح أن يجود عليه؛ لأنه هائم في حبه حتى يبين نتيجة فراقه، إذ أصـبح حزينـاً، فالضوء أصبح ظلاماً، وقد اختار التفاحة لحسنها وجمالها، فهو يطلب أن يجود بهذا التفاح؛ لأنـه متعلق ومشتاق له فربما يقصد محبوبته التي هام في حبه بها، فعندما ابتعدت وهجرته زاد حزنه، ويذكر أن شاعر الزنج قد أهدى كثيراً من التفاح بألوانه وأشكاله المتعددة أحمر كالشقائق، وأبيض كالفضة، وأصفر كالذهب، منه ما كتب عليه ببياض في حمرة، وبحمرة في بياض، وعلى إحداها:

نَبَت في الأغصان مخلوقةً　　　من قلب ذي شَوْقٍ وأحران

صَفَّرني سُقْمُ الذي سُقْمُــه　　　يخبر من حالي وأحزاني(٤)

---

(١) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١١، ص٨٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ج١١، ص٨٧.

(٣) **المصدر نفسه**، ج١١، ص٨٨.

(٤) **المصدر نفسه**، ج١١، ص٨٨.

وعلى آخرى بأحمر:

تُفَاحةٌ صيغت كذا بدْعةً صفراء في لون المحبينا

زَيَّنها ذو كمــدٍ مُــدْنَفٌ بدمعه إذْ ظَلَّ محزونــا

فامْنُنْ فقد جئت له شافعاً وقَّيت مِنْ نلواه آمينا [١]

تشير هذه الأبيات إلى لون من ألوان الهدايا الممزوج بالغزل، كما يتضح في بيان شوقه للتفاح، فقد اختار ألوانه الجميلة الحسناء الأحمر والأصفر ليظهر شــوقه، وكــذلك أشــار إلــى الصفرة، فهذه دلالة أنهُ أصيب بالمرض الذي سببه بعد محبوبته عنه، فأصبحت حالته حزينة. إن هذه الألوان إشارة إلى حالته النفسية، فهي تجري بداخله من ألم وعذاب، فالصفرة إشــارة إلــى للمرض نتيجة بعد محبوبته، ومما يدل على حاله الحزينة دموعه المنهمرة، فهــو يقــدم شــكواه نتيجة هذا الهجر.

كذلك نجد أنَّ الغزل يمتاز بظل خفيف وروح مرحة، وقد امتازت ألفاظه بالرقة، ويظهر ذلك في قول أبي نواس حينما مرت به صبية وضيئة الوجه، فمازحته ساعة، ثــم رمــت إليــه بتفاحه معضوضة وانصرفت فقال:

شجَرَ التُّفــاح لاذُقْتَ القَحــلْ[٢] لاَ و لاَ زَلْتَ لِغَاياتِ المثلْ

تقبلُ الطَّيــبَ إذا عُلَّــتْ بــه وبها مِنْ غير طيبٍ مُحْتَمَلْ

وعدتْني قُبْلــةً من سيِّـــدي فتعاضَتْ[٣] سيِّدي حينَ فَعَلْ

ليْسَ ذاكَ العَضُّ من عيبٍ بها إنما ذاكَ سؤالٌ للقُبــلْ[٤]

تمثل هذه الأبيات غاية في الطرافة والدعابة ولطف التصوير، فمن المعروف عن أبــي نواس أنه يمتاز بروح الدعابة المرحة، فهو يصف التفاح ويدعو له بالخصب الــدائم، وأن يبقــي المثل والنموذج بجماله وطيبه، ثم يشير إلى أن هذه التفاحة المعضوضة ليست إلا تعبيــراً عــن

---

(١) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١١، ص٨٩.

(٢) القحلْ: اليباس.

(٣) تعاض: عض كل منهما الآخر.

(٤) أبو نواس، **الديوان**، ص٦٩٥. وانظر أيضاً: حسين خريس، **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد بين أبي نواس ومعاصريه**، دار البشير ومؤسسة الرسالة، بيروت، ج١، ص٤٠ .

المثل والنموذج بجماله وطيبه، ثم يشير إلى أن هذه التفاحة المعضوضة ليست إلا تعبيراً عن طلب القبل من الشاعر أبي نواس الذي كان مغرماً بالجواري والغلمان، ونلاحظ أن قافية اللام جاءت ملائمة لكلمة القُبل، وأنها جاءت ساكنة دلالة على الراحة النفسية التي يشعر بها الشاعر، فانعكس ذلك على أبياته الشعرية، ونلاحظ أيضاً استعمال الألفاظ الرقيقة واللطيفة لتعبر عن مراد الشاعر في ممازحته مع الجارية وتسكين القافية انعكاس لنفسية الشاعر المرتاحة والمطمئنة لهذه المداعبة. فقد استعمل الشاعر أسلوباً بسيطاً ينسجم مع هدفه في الغزل، فقد اتخذ التفاح المعضوض هدية لمن يحب من غيره، ولم يحمل في هذه الهدية مذمة ولا عيباً، لأنه وسيله للوصول إلى محبوبته التي أصبحت هنا نوعاً من الغزل. ونلاحظ مما تقدم أن استهداء التفاح كان تعبيراً عما يشعر المهدي في قلبه من حب للمُهدى إليه، خاصة أن التفاحة تأخذ شكل القلب، فضلاً عن رائحتها الطيبة، وطعمها الرائع، وشكلها الجميل، وقد كانت العرب تشبه خدود المحبوبه بالتفاح؛ وذلك لجماله وحسن منظره، ولما فيه من حمرة ساحرة تشبه حمرة الخدود.

وقد انتقل الشعراء إلى وصف جمال المحبوبة ووصف خدها بالورد، تظهر عليها علامات الخجل، ويظهر ذلك في قول إسحاق إبراهيم الموصلي: "دخلت على الرشيد، وعنده جاريه، قد أهديت له، ماجنة شاعره أديبه، وبين يديه طبق فيه ورد، فقال لي: أما ترى حسن هذا الورد ونضرة لونه؟ قلت: بك والله حُسنُ ذلك يا أمير المؤمنين. قال: قل فيه بيتاً يشبهه فأطرقت ساعه، ثم قلت:

كأنه خدُّ مَوموقٍ[1] يُقبّلُهُ   فَمُ الحبيب وقد أبدى به خَجَلا[2]

فأعترضتني الجارية، فقال:

كأنه لون خدّي حين تدفعُني   كف الرشيد لأمرٍ يوجب الغسلا[3]

يشبه الشاعر خد الجارية وقد قبله فم الحبيب بالورد الأحمر وقد اكتسى لوناً يدل على الخجل، ومن علامات الخجل احمرار وجه المرأة، لكنها عارضته ببيت من الشعر تقول كأن هذا الورد في احمراره لون خدّها حين ترمي نفسها بأحضان الرشيد من أجل الحنان وما يوجب

(١) مومون: محبوب.

(٢) عبد الله الأمير مهنا، **الطرب والظرف والنشيد في مجالس هارون الرشيد**، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٦٤.

(٣) **المصدر نفسه**، ص١٦٤.

الغسل وهو الجماع، وهي كناية عن محاولتها استمالة الرشيد وهو يدفعها عنه. كذلك نرى أن الشعراء لم يقفوا فقط عند جمال خدود المرأة، فقد انتقل الشعراء إلى وصف أسنان المحبوبة، ورائحة الفم الطيبة، ويظهر ذلك في قول كشاجم حينما كتب إلى بعض القيان وأهدى إليها مسواكاً:

قد بعثناهُ لكي يُجْلى به ... واضحٌ كاللؤلؤ الرَّطبِ أغرْ

طابَ منه العَرْفُ حتى خِلْتُهُ ... كان من ريقك يُسقى في الشَّجَرْ

وأما واللهِ لو يَعْلَم ما ... حَظُّهُ منك لاثنى وشَكَرْ

ليتني المُهْدى فَيَرْوي عَطَشي ... بَرْدُ أنيابِك في كلِّ سَحَرْ[1]

يبين كشاجم سبب إهداء السواك لهذه القينة، وهو من أجل أن يجلو أسنانها البيضاء الناصعة كاللؤلؤ، ورائحة الفم الطيبة التي كأنها تسقى من ريقها الشجر، ثم يتمنى كشاجم لو أنه السواك ليروي عطشه من برد أسنانها وشبه هنا بأسنانها بالبرد للمعانه و بياضه في كل وقت من أوقات السحر.

وقد جاءت القصيدة في معرض المدح والغرض منه جلي أسنان المُهدى إليه، وقد صورها باللؤلؤ الأبيض، صورة فنية فيها مدح ووصف يسقى من ريقه كالشجر، يتمنى أنه لو كان هو السواك ليرتوي عطشه من برد ثناياه كل صباح، وفي هذا شيء من المبالغة في المدح وإعلاء شأن الممدوح، كذلك نلاحظ أن بعض الشعراء يظهرون العلاقة بينهم وبين الجواري التي تبين عمق المحبة وقوة العلاقة القائمة بينهما، ويظهر من خلال تقديم الهدية التي تبين مدى عمق العلاقة بينهما ويظهر من خلال قول أبي نواس في إهداء خاتم:

كنْتُ وكانتْ نَتهادَى الهَوى ... بخاتَميْنَا غَيْرَ مَستَنْكَرِ

حَبَسْتَ لي الخاتِمَ منِّي وَقَدْ ... سَلَبْتَنِي إيَّاهُ مُذْ أشْهُرِ

فأرْسلَتْ فيهِ فَغَالَطْتُها ... بخاتمٍ من فِضَّةٍ أخْضَرِ

قالَتْ: لقد كانَ لنَا خَاتَمٌ ... أحمرُ يُهديهِ إلينا سَرِى

---

(١) كشاجم، **الديوان**، ص٢٧١.

لكِنَّــه عُلِّقَ غيْــرِي فقــدْ أهْدَى لَها الخاتَم ؛ لاَ أمْتَرِى
كَفــرْتُ باللــــهِ وآياتِــهِ إنْ أنا لم أهْجُرْ؛ فَلْيُبْصِــــرِ
أوْ بَاتَ بالمخرَجِ من تُهْمتي إيَّاهُ في خاتَمــهِ الأحْمَـــرِ
فارْدُدْهُ ترددْ وصلَها ، إنــها قُرَّةُ عَيْني يا أبــا جَعْفَـــرِ
فإنَّنِـــي مُتَّهـــمٌ عِنْدَهــا وأنْتَ تَعْلَـــمُ أني بَــرِى[1]

يشير أبو نواس إلى تعلقه بالجارية، منذ كانا طفلين، وهذا دليل على عمق المحبة وقــوة العلاقة القائمة بينهما، ودليل آخر فإنّ الخاتم رمز المحبة وقوة العلاقة القائمة بينهمــا ولا شــك فيها، وقد انتشرت الجواري انتشاراً واسعاً حتى تباهى الخلفاء والولاة والأثرياء بكثرة الجواري، جوارٍ للعمل وجوارٍ للمتعة وجوارٍ للخدمة وهكذا، وأصبحت الجارية سلعة نفيسة للإهداء يتبادلها الأغنياء، وللعصر دور كبير بتقاليده ومظاهره وصوره في الهدايا، ولعل الجواري كانت آنــذاك من أغلى الهدايا التي يتبادلها الأصدقاء.

يروي الشاعر تعلقه ومحبته لهذه الجارية منذ الصغر، حيث كــانوا يتهــادون الخــواتم، لكنها شكت بأنه أهدى غيرها خاتماً، فتأثرت بهذه الحادثة فهو عندها مُتهم، لكنه يثبت أنه بــريء مما اتهمته له، ولذا فهو يشكو للخليفة هجرها له وابتعادها عنه.

تاسعاً: الهدية والمدح

اتخذ بعض الشعراء وصف الهدية وسيلة للمدح، من أجــل الكســب والحصــول علــى العطايا والهبات والمنح، ويظهر ذلك في قول أبي تمام يستهدي مركوباً:

قُلْ للأمير أبي سَعيـــدِ ذِي النَّدَى[2] والمَجْــدِ زَادَ اللهُ فـــي إكــرامِــهِ

---

(١) أبو نواس، **الديوان**، ص٢٧٦.

(٢) الندى: الكرم. **الوسيط**.

والحاملَ الأقوامَ فـــوقَ سَلاهـــبٍ(٢) والحَاكِي(٣) الرِّئْبالَ (٤) فــي إقدامِــهِ
والواهِبَ الصَّمصامَةَ(٥) السيــفَ الذي يَجْرِي زُعافُ(٦) المَوْتِ فِي إِسْطَامِهِ(٧)
أَنْتَ المُبَارِي(٨) الريحَ في نَفَحَاتِـــها والمُستَهِيــنُ معَ النَّــدى بمَلامِـــهِ
فمن أَيْنَ أَرْهَبُ(٩) أَنْ يَرَانِي رَاجِـلاً أَحَدٌ ومَا أرجُــو سِـــوَى أيّامِـــهِ
احملْ هَدَاكَ اللهُ رِجْلِي يا ابنَ مَــنْ جَادَتْ يَدَاهُ بنَهْـــدِهِ(١٠) وغُلامِـــهِ
قُسِمَ الحَياءُ على الأنــامِ جميعَهـــم فَنَهضْتَ أَنْتَ فَقُدْتَهُ بزِمــامِـــهِ (١١)
وتقسَّـمَ النَّــاسُ السَّخَـــاءَ مُجَـزَّءاً وذَهَبْتَ أَنْتَ بِرَأْسِـهِ وَسَنَامِـــهِ(١٢)
وتَرَكْتَ للنَّاسِ الإِهــابَ(١٣) وما بــقي مِنْ فَرْثِهِ وَعُرُوقِــه وَعظامِـــهِ(١٤)

نجد أن وصف الهدية يرتبط ارتباطاً وثيقا بالمدح، كما تبـين أنَّ العلاقـة بـين المـدح والفروسية يدركها من يعتني بالأدب. فالشاعر يخاطب الممدوح بصيغة الأمر ويصـفه بـالكرم، فهو واهب الناقة القوية التي لا تخشى الليل، ثم هو واهب الفرس الكريم بسرجه، وهـو واهـب

---

(١) **الأعوجي**: الفرس الكريم. **الوسيط**، مادة (عاج).

(٢) **السلاهب**: الخيل الطوال. **الوسيط**، مادة (سلى).

(٣) **الحاكي**: المشبه. **الوسيط**، مادة (حكى).

(٤) **الرئبال**: الأسد. **الوسيط**، مادة (رأبل).

(٥) **الصمصامة**: السيف. **الوسيط**، مادة (صمم).

(٦) **الزعاف**: السم القاتل. **الوسيط**، مادة (زعف).

(٧) **الإسطام**: الحد. **الوسيط**، مادة (سطم).

(٨) **المباري**: المجاري. **الوسيط**، مادة (برى).

(٩) **أرهب**: أخاف. **الوسيط**، مادة (رهب).

(١٠) **النهد**: الفرس الحسن. **الوسيط**، مادة (نهد).

(١١) الزمام: المقود. **الوسيط**، مادة (زمّ).

(١٢) **السنام**: كتل من الشّحم محدّبة على ظهر البعير والناقة ومن كل شيء أعلاه (مادة سنم). **الوسيط**.

(١٣) **الإهاب**: الجلد الفرث، الجلد المغلف لجسم الحيوان قبل أن يدبغ. **الوسيط**.

(١٤) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ/٨٤٥م) ، **الديوان**، شرح: الخطيب التبريزي، تحقيـق محمـد عبده عزام، ط٢، دار المعارف ، القاهرة، مجلد ٣، ص٢٤٥-٢٤٦.

نجد أن وصف الهدية يرتبط ارتباطاً وثيقا بالمدح، كما تبين أنَّ العلاقة بين المدح والفروسية يدركها من يعتني بالأدب. فالشاعر يخاطب الممدوح بصيغة الأمر ويصفه بالكرم، فهو واهب الناقة القوية التي لا تخشى الليل، ثم هو واهب الفرس الكريم بسرجه، وهو واهب السيف الحاد المنصلت، ثم يتساءل بعد ذلك قائلاً من أين يأتي الخوف؟ هل أخاف من ذلك المترجل عن فرسه أن يراني، ما حمل هذا الفرس الحسن؟ فخذ هذا الفرس بمقوده، فقد قدمت كل هذه الهدايا حتى وصلت هداياك إلى السنام، ولم يبق إلا الجلد، ونلاحظ ههنا من هذه ذلك أنه قدم عدداً من الهدايا، ربما تكون نوعاً من المبالغة فقد قدم الناقة القوية، والفرس الحسن السريع بسرجه، والفرس الجلد الذي تحمل الصعاب.

يطلب أبو تمام هدية، ويحددها (مركوباً) ويحدد صفاتها: أن تكون أبلاً محملة مسروجة، وأن لا يسمع صوتا عند مشيها، وهذا يدل على حسن الهدية التي يطلبها؛ ويذكر صفة المركوب بأنه قوي، وطويل ويركبه قوم ضخام الأجسام، محملين بسيوفهم، لقد اختار الإبل التي لا يسمع لها صوت، دلالة على جودة الإبل، وقد ربط الإبل بالأجسام الطوال وبالسرج دلالة على الكرم؛ وربما أراد الشاعر ذكر دور الإبل في المعركة، وهي محملة بالسلاح.

وعرض بعض الشعراء في وصف الهدية نوعاً آخر من الهدايا المفضلة عندهم ألا وهي الخمرة، ويتضح ذلك في قول البحتري، عندما أهدى إليه عبد الله بن الحسين بن سعيد نبيذاً، فقال فيه:

أُعْلِنُ السِّرّ في هَـواهُ وأَرْضَى ... خَطَئي فـي الذّي أَتَيْتُ وَعَمْدي

لَيْسَ بَرْحَ الغَرامِ ما بِتَّ تُخْفِي، ... إنَّ بَرْحَ الغَرَامَ ما بِتَّ تُبْـدِي

هَبَّ يَسْقي فكادَ يَصْبغُ مَا جـا ... وَرَ مِنْ حُمْرَتَي مُـدَامٍ وَخَـدِّ

وَجَنَى الوَرْدِ ثالـثٌ فَسَبِيـلي ... شَمُّ وَرْدٍ طوْراً وَتَقْبِيـلُ وَرْدِ

حَسُنتْ لَيْلةُ الثُّلاثـاءِ وابْيَضتْ ... بِمُسْوَدِّهـا يَـدُ الدَّهْـرِ عِنْـدي

طَرَقَتْنَا تِلك الهَدِيَّةُ والصَّـهْبَاءُ ... مِنْ خَيْرِ مَا تَبَرَّعْتَ تُهْـدِي[1]

إن الخمرة في نظر الشاعر أفضل هدية، وقد أطلق على الخمرة اسم الصهباء، لأنه وصف لونها بالذهب، وهذا يدل على أمرين: الأول: أن لونها يميل إلى الصفرة لون الذهب،

---

(١) البحتري، **الديوان**، مجلد١، ص٥٥٩-٥٦٠.

الثاني: أن لهذه الهدية قيمة ثمينة عنده تقدر بقيمة الذهب، فقد حفل الأدب العباسي بالخمرة وصفاتها، لانتشار الشراب بين العامة والخاصة، وكان كذلك استجابة لدعوة الحياة الاجتماعية، كما كان امتداداً لطقوس دينية فارسية تجعل الخمر مقدسة وتجعل شربها متعة.

بدأت الأبيات السابقة بالغزل والعتاب على عادة الشعراء القدامى في استهلال قصائدهم، ثم تحول الشاعر إلى مدح عبد الله بن الحسين بن سعد الذي أهداه الخمرة، ويرى في هذه الهدية كرم الممدوح الواسع، ولعل لانتشار عادة شرب الخمرة جعل الشاعر يرى في هذه الهدية أفضل الهدايا، بل جعلها تفوق الذهب مكانة وقيمة.

وقد لجا أبو العتاهية إلى ألفاظ ومعانٍ مختارة، فعلى الرغم من بساطه الهدية (وهي النعال)، إلا أنها تعبر في نظر أبي العتاهية عن قيمة كبيرة، فهو يجعل من هذا النعل وسيلة يلبسها أبو الفضل الذي يسعى إلى تحقيق المجد، ثم يتمنى أن لو كان بإمكانه صناعة هذا النعل من جلد خديه، يقول:

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهـا لتَلْبَسَـها ... تَسْعَى بها قَدَمٌ إلى المَجْـدِ

لَوْ كَانَ يَصلُحُ أن أُشْرِكَهَا ... خَدِّي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدِّي [١]

ربما ننظر إلى هذا النمط من الهدايا من زاوية السخرية أو التحقير، لكنه في الحقيقة يدل على مكانة عظيمة عند المهدي إليه، لأن النعل يستعمل للسير، فمن خلال السير والتقدم يتحقق المجد، ومن هنا ربط خده بالنعل؛ لأنهما شركاء في تحقيق المجد الذي يسعى إليه، ثم تتدرج الأبيات في باب المدح، ونلمح مبالغة يريد بها الشاعر نيل رضا الممدوح ووده وربما عطاءه.

وقد تعرض الشاعر في وصف الهديَّة إلى ذكر صفات المُهدى إليه ومدحه، حتى إنَّ الهدية استحالت أحياناً مدحاً للمُهدى إليه بغض النظر عن نوعها أو مقدارها، فقد أهدى البحتري إلى عبد الرحمن بن خاقان[٢] فرساً وكتب إليه:

ماذا تَرَى في مُدْمَجٍ عَبْلَ الشَّوَى ... من نَسْلِ أَعْوَجَ كالشِّهابِ اللاَّئِحِ

لا ترْبَهُ الجَـذعُ الذي يَعْتَاقُـهُ ... وَهْنُ الكَلالِ ولَيس كُلَّ القَـارِحِ

يَختالُ في شيةٍ يموجُ ضيـاؤها ... مَوْجَ القتيرِ على الكمِّي الرامـحِ

---

(١) أبو العتاهيه، **الديوان**، ص١٣٠.

(٢) عبد الرحمن بن خاقان، أحد أولاد خاقان الذين استخلص ابنه يحيى على توقيع ديوان العامة. **ديوان البحتري**، ج١، ص ٢٠.

لَوْ يَكْرَعُ الظَّمـــآنُ فيه لم يُمِــلْ طَرْفاً إلى عَذْبِ الزُلالِ السَّــائِحِ
أَهْدَيْتُهُ لتروحَ أبيــضَ واضـــحاً منهُ على جَذْلانَ أَبْيَضَ وَاضـــحِ
فَتكـــونَ أَوّلَ سَنَـــةٍ مأثـــورةٍ أنْ يقبــلَ الممدوحُ رِفْدَ المادحِ(١)

حدَّد البحتري صفات الهدية، فقدم أوصافاً دقيقة للفرس، فهو يدعو أن تكون أول سنة أن يقبل الممدوح رفد المادح؛ فالبحتري يمدح ويهدي، وهذه الصفات التي ذكرت وهي:- الضخامة، والهيكل، واللون، تدل على النشاط والسرعة وكرم الأصل، والقوة الذي يتمتع به هذا الفرس.

لعل هذه الهدية (الفرس) استمدت قيمتها من مكانه الخيل في حياة الإنسان العربي، فهـو يعتز بها، ولاسيما أنها من أهم معالم الفروسية وأدواتها، وللفرس صفات يعتز بها صاحبها، فهو قوي، أبيض اللون، قادرٌ على التحمل، وقد ذكر الشاعر بعضها، أصيل، وسريع، فعد البحتـري إهداءه فرساً لعبد الرحمن أمراً مخالفاً لسنة المدح، إذ من المعتاد أن يقدم الممـدوح هديـة إلـى المادح يجزيه على مدحه، لكن البحتري اختلف عن هؤلاء الشعراء وخالف المتعارف عليـه، إذ قرن مدحه بهدية إلى ممدوحه، وأيّ هدية إنه فرسٌ عربيٌ أصيل، لونه أبيض، ولعل لهذا اللـون دلالة يرمي إليها البحتري وهي النقاء والصفاء مثلاً.

وقد أشار كثير من الشعراء إلى معنى تداولوه، هو أن الهدية تأتي على قـدر مهـديها، ومن ذلك قول كشاجم في البطيخ:

وطيِّبٍ أهدى لنا طيِّبـا فدلَّنا المُهدَى على المُهْدِي
لم يأتِنا حتى أتتنا لــهُ روائحٌ تغني عن النــدِّ
بظاهرٍ أخشن من قُنفذ وباطنٍ أليــنَ من زُبْــد
كأنّما تقْشِرُ عنه المُدَى عن زعفرانٍ ديفَ بِالشَّهْدِ(٢)

أشار كشاجم إلى أن البطيخ من الفواكه المحببة إليه، فالهدية تدل على مكانـه مهـديها وقدره، وهو يشير إلى البطيخ وقيمته الغذائية، مؤكداً كرم الممدوح وجوده إذ أنـه قـدم أفضـل أنواع الفاكهة على وفق ما يرى.

---

(١) البحتري، **الديوان**، مجلد ١، ص٥٢٧.
(٢) كشاجم، **الديوان**، ص١٥٤

ويظهر أن الشاعر حينما يصف الهدية يمضي ليقارن هديته الصغيرة بهمته العالية، ويظهر ذلك في قول حميد بن سعيد:

هديتي تَقْصُر عن همَّتي وهمَّتي تعلو على مالي

فخالصُ الودِّ، ومَحْضُ الثّنا أحسنُ ما يُهديه أمثالي[١]

وصف الشاعر هديته بأنها صغيرة في قدرها مع همته العالية التي تعد أكبر من ماله، حتى يرى الشاعر أن هديته مهما عظمت قيمتها المادية، فإنها ستظل أقل قدراً من همته، فهو معتز بنفسه يرى همته أعلى قدراً من ماله وهديته، لذلك فقد اقتطع شيئا من لوازم الهمة العالية، وهو الود وخالص الثناء فرآه أفضل ما يمكن أن يهدى إلى ذلك الشخص. وقد ذكر أيضا هدية النفس، فقال:

أن أُهدِ نفسي فهو من ملكه أو أهدِ مالي من ماله[٢]

أي أن هدية النفس من أرق أنواع الهدايا، فهو يقول إن أهديت نفسي فهو يملكها أي الممدوح (المهدي إليه)، فهو يجود بنفسه لهذا الإنسان، وإن أراد إهداء المال، فالمال في أصله من كرم الممدوح.

والملاحظ أن سعيد بن حميد يركز في أشعاره على معنى إهداء النفس، ويعلل ذلك بأنه لا يملك شيئاً يهديه، ولعله بذلك يستعطف السادة والولاة ليمنحوه العطاء، فهديته قليلة في قدرها لكنه يراها عظيمة؛ لأنهما عن غير مقدرة، فهو يهدي الود، وهو مقصر، ولا يملك المال ليقدمه، أو يشتري هدية، وكل ما يملكه هو الود والحب الخالص، وهو أفضل أنواع الهدايا عنده.

وقد أهدى الشاعر علي بن جبلة قصيدة إلى حميد بمناسبة النيروز، فأعطاه مائتي ألف درهم، ويستهل الشاعر القصيدة بمدح الأمير بعدة صفات قبل وصفه بالصفة الأهم، وهي النصح.

حيث يستهل هذه الصفات بمدحه بأنه طال الناس كلهم فدانوا له بطاعته أولاً لله تعالى وبفضل نصح البطانة الهادية، ثم يخاطبه واصفاً إياه بأنه تحكم في الدنيا كلها وقاسمها بكثرة عطاياه. ثم ترتفع وتيرة الخيال المقترن بالمبالغة ليرفع الأمير إلى درجة عالية، فيصف بأنه الزمان الذي يتحرى اقتداره على الناس كلهم ما بين شدة ولين.

---

(١) سعيد بن حميد، **رسائل سعيد بن حميد وأشعاره**، ص٢٠١.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٢٠١.

بطاعة الله طُلت النـــاس كلَّهُـــمُ ونُصْح هادٍ أمين الملك مأمونِ

حُميد يا قاســـم الدنيـــا بنائلـــه وسيفُه بين أهل النّكث والدين

أنت الزمان الذي يجري تصرُّفه على الأنام بتشيـــيد وتليين[١]

ويقول الشاعر لولا وجودك أيها الأمير لما وجدت الدنيا كلها، ولما وجد الكرم ولمات المجد، فأنت الذي مننت على كل موجودات الدنيا وساكنيها بنعمة الأمن، فالدنيا كلها آمن إلا من بطشك وقدرتك:

لو لم تكن كانت الأيام قد فنيت والمكرمات ومات المجد مذحين

لقد مننت على الدنيا وساكنـــها بظلٍّ أمـــن بسيطٍ غير مأمـــون

طويت كل حشا منها على أمل إلى قرينة خوف منك مأمون[٢]

فأنت أيها الأمير قد غدوت أنف الملك الذي يجدع الأنوف الأخرى، وأنت الـــذي خلقـــك الله من مادة الجودة الكرم، بينما خلق الناس من التراب والطين، ثم يصل الشاعر إلى موضـــوع الحديث وهو إهداؤه القصيدة للممدوح في مناسبة النيروز مقابل العطية:

أصبحت للملك عرنيناً تقـــوم به يوم الكريهة جداع العرانيـــــن

صوّرك الله من جود ومن كرم وصور الناس من ماء ومن طين

نهدى لك المدح موزوناً محبَّرة وتكسّينا عطاءً غيـــر موزون[٣]

---

(١) العكوك، علي بن جبلة، (ت٢١٣هـ/٨٢٨م)، **شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوك**، تحقيق ودراسة: أحمـــد نصيف الجنابي، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص١٨٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٨٩.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ١٨٩.

الفصل الثالث:

الخصائص الفنية

أولا: الأسلوب

تختلف الأساليب الأدبية باختلاف الأدباء والموضوعات التي يعالجونها، فلكل موضوع أسلوبه، ولكل فن من الفنون الأدبية طريقة في التعبير. ولقد رأى بعض الأدباء الأوروبيين أن الأسلوب هو الأديب كما رأى بعض العرب أن المعاني مطروحة للجميع، وإنما المهم هو كيفية صياغة هذه المعاني. ومن هنا نشأت في الأدب العربي، شعره ونثره أساليب مختلفة[١].

ومن هنا يمكن القول إن شعر الهدايا في العصر العباسي اتسم بخصائص أسلوبية وفنية مميزة حملت ألواناً من الفن لتدل على مقدار ما وصل إليه الشعراء من البراعة الأدبية المتمثلة بتنوع الأساليب وطرائق التعبير اللغوي والفني. وهنا يحاول الباحث في هذا الفصل أن يلتمس أهم الملامح التي تميز بها شعر الهدايا في العصر العباسي.

وقد لاحظ الدارس ظهور الأسلوب الإنشائي في شعر الهدايا بشكل ملائم لموضوعات الهدايا، فقد استعمل الشعراء الأساليب الإنشائية، ومنها أسلوب النداء في موضوعات عدة، وذلك من أجل لفت السامعين وإثارة انتباههم.

النداء:

شاع هذا الأسلوب ملياً في شعر الهدايا العباسيّ، وكان بذلك من أبرز الأساليب التي يمكن الحديث عنها ههنا، من الأمثلة على ذلك قول الصنوبري حينما استهدى أحد الأمراء العباسيين فصاً:

أيا ابن الخلفاءِ الكا شفينَ البؤسَ بالباسِ
ويا باني آساسِ عُلاً من فوقِ أساسِ[٢]

فقد استخدم الشاعر هنا النداء مرتين؛ لتعظيم المُستهدى ومدحه، حتى ينال الهدية وقد جاء هذا النداء مرة بالهمزة، ومرة بـ (أيا)، ومرة بـ (يا).

ومن النداء قول محمد بن هاشم الخالدي حينما أهدى إلى عمرو بن اصطفن الكاتب مروحة طريفة، وكتب فيها:

أيا عَمْرُوُ يا بن العلى والحَسَب وَمَنْ حَلَّ في المِنَصنبِ المنتخَبْ[٣]

---

(١) جورج شكّور، **كتاب البيان**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٢٨.

(٢) الصنوبري، **الديوان**، ص١٥٢.

(٣) الخالديّان، **الديوان**، ص ٢٦.

ومن ذلك قوله أيضاً:

يا سَيّداً بالعُلا والمَجْدِ مُنْفَرِداً وَوَاحِدَ الأرْضِ لا مُسْتَثْنياً أَحَدَا[١]

نجد في البيت الأول أن النداء بدأ بهمزة، وهو ينزل بذلك البعيد منزلة القريب، وعندئذ ينادى بالهمزة، إشارة إلى قربه من القلب وحضوره في الذهن، وأنه ممن لا يغيب عن البال.

وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة، إشارة إلى علو مرتبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشرور ذهنه، ففي البيتين السابقين أشار الشاعر إلى علو مرتبة الممدوح[٢].

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي من نداء القريب أو البعيد إلى معانٍ أخرى، وقد يتم إنزال القريب منزلة البعيد[٣].

ومن ذلك قول الشاعر السّري الرفاء يستهدي منه نبيذاً:

ألاَ يَا ابنَ فَهْدٍ وقُيتَ الرّدى فأَنْتَ الجَوادُ الأديبُ الشّريفُ[٤]

فربما نزل الشاعر في هذا البيت من القريب منزلة البعيد، لغفلته وشرود ذهنه أو ربما قصد الشاعر من ذلك تحقيق معنى الزجر.

ومن النداء أيضاً في قول السّري الرفاء في استهداء البخور:

يا أبا إسْحَقَ زَادَ اللّـ ـهُ في حُسْنِ حُبُورِكْ[٥]

وقد استخدم الشاعر أداة النداء (يا) وهي أكثر أدوات النداء استعمالاً فلِحرص المنادى عليه، ومفاطنته لما يدعوه[٦].

ومن النداء قول كشاجم في مضراب أهداه:

يا أيُّها الصلِفُ المُدلُّ بحُسنهِ جُدْ للمُحبِّ فأنت أهل الجودِ[٧]

---

(١) الخالديّان، **الديوان**، ص ٤٤.

(٢) عبد العزيز عتيق، **في البلاغة العربية، علم المعاني**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ١٢٦.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ١٢٧.

(٤) السري الرفاء، **الديوان**، ص ٤١٣.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٥٢١.

(٦) فضل حسن عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)**، ط٢، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٦٣.

(٧) كشاجم، **الديوان**، ص ١٥٥.

استخدم الشاعر النداء أسلوباً للمدح، فهو يمدح شخصاً بما ليس فيه أو عنـــده، ويـــدعي فوق ذلك إعجاباً وتكبراً، وهذا إشعار بأن السامع غافل لاهٍ: فتعده كأنه غير حاضر في مجلسك. ومن الأمثلة على استخدام النداء أسلوباً للمدح قول علي بن جبلة في قصيدته التي أهداها حميـــداً يوم النيروز:

يا أبا غانم الغنـــ ـــم على من يستمير[١]

ومنه أيضاً قول ابن الرومي يمدح وهب بن جامع الصيدناني، ويستهديه بنفسجاً:

يا باذلَ العُـــرفِ لأعدائهِ مُذ كان فضلاً عن أوِدَّائِهِ

ويا أخا الجودِ وخُلْصانَهُ لكلِّ ما يشفيه من دائـــهِ[٢]

أما بشار بن برد، فقد ورد النداء في معرض غزله لمحبوبته، ذلك بأنها مهديته العطـــر، وهو ما يضفي على النص – كما يبدو جمالاً ورونقاً ويزيد الموصوفة ألفاً وجمالاً، وهو يستخدم أسلوباً إنشائياً في مطلع القصيدة، وهو أسلوب النداء، وإشادة بحب من أهدته العطر، والريحـــان فسحرت فؤاده وسلبت لبه، يقول:

ألاَ يَـــا حَبَّـــذا واللهِ مَنْ أَهْدَى لي العِطْرَا

ومَنْ أهْدَى لي الرَّيْحَا نَ قَدْ شَابَ بهِ سِحْرَا[٣]

فهو متيّم بها لكنها لا تعطيه مراده من وصلها رغم أنه لا يعصى لها أمراً حتـــى أبلـــى حبّها جسمه وضاق صدره يقول بشار في ذلك:

وَأَبْلَى حُبُّهُ جِسْمِي فَقَدْ ضِقْتُ به صَدْرَا[٤]

---

(١) علي بن جبلة، **شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوك**، ص ١٢٢.

(٢) ابن الرومي، **الديوان**، ج١، ص ١٢٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢١٥.

(٤) بشار بن برد، **الديوان**، ص ٢١٥.

الأمر:

هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا[١].

ومن الأمثلة التي يتراءى فيها معنى الأمر قول السَّري الرفاء يستهدي نبيذاً من الشّمشاطيّ[٢]، فقد جاء الأمر يفيد الالتماس (فأجْرِ).

فأجْرِ إليَّ بحَارَ العُقَارِ فَمِنْ فَيْض كَفيْك فَيْضُ البِحارِ[٣]

وقال أيضاً يستهدي نبيذاً من ابن فهد:

فَجُدْ بالتي عِندَها للسُّرور حياةٌ ولِلهمِّ فيها حُتُوفُ[٤]

فهنا نجد أن الشاعر قد استخدم الأمر بصيغته الحقيقة وهو الطلب؛ وذلك لكثرة ما طلب الشاعر الخمرة من المهدين؛ لأنه كان مولعاً بالخمر.

ومن الأمر أيضاً قول ابن الرومي يستهدي كساء:

انظُرْ إلَى الدُّنيا وَزِينَتها تـرى المكارمَ فيها زِينةَ الزَّينَ

فالبَسْ وألبِسْ فإنَّ الثّوبَ تلبسُهُ زَيْنٌ على النفسِ لا ثِقلُ على البدن

فاكسُ ابن شكرِكَ ما يَبْلى على ثِقةٍ أنْ سوفَ يكسوكَ ما يقي على الزمن[٥]

فالمتأمل يجد أنَّ الأمر قد خرج عن معناه الحقيقي، وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، وقد يأتي الأمر على صيغ عدة منها، اسم فعل الأمر، ويظهر ذلك في قول الحسن بن محمد الشهواجي حينما كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشروباً في يوم نيروز:

---

(١) عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، ص ٨١.

(٢) الشمشاطي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي، من عدي بن تغلب المعروف بالشمشاطي، أصله من شمشاط من بلاد أرمينية من الثغور، كان يعلم أبا تغلب [فضل الله الملقب "عدة الدولة" المعروف بالغضنفر بن ناصر الدولة]، لم يكن الشمشاطي شاعراً فحسب، بل مصنفاً مؤلفاً مليح الحفظ كثير الرواية. الأنوار محاسن الأشعار.

(٣) السري الرفاء، **الديوان**، ص ٣٠٢.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ٤١٣.

(٥) ابن الرومي، **الديوان**، ج٦، ص ٢٤٤١.

فهات ما يحضر إني امرؤٌ يقنعه منك الذي يحضرُ[١]

استخدم الشاعر لفظة (هات) بصيغة الأمر، ولعل طبيعة العلاقة بين الحسن الشهواجي[٢] وصالح بن رشدي، أدت إلى استخدام مثل هذه الصيغة (هات) تفيد الالتماس.

ومن الأمر قول أبي تمام يمدح أبا سعيد، ويستهدي مركوباً:

قُلْ للأميرِ أبي سعيدٍ ذي النَّدى والمَجْدِ زادَ اللهُ في إكرامهِ[٣]

ومن المعاني التي يحتملها الأمر ويستفاد منها كذلك الدعاء، وهو الطلب على سبيل الاستغاثة والعون والتضرّع ويتضح ذلك في البيت السابق.

ومن المعاني التي يخرج إليها استخدام فعل الأمر النصح والإرشاد، وهو الطلب الذي لا تكليف ولا الزام فيه، وإنما هو طلب يحمل بين طيَّاته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد، ومن ذلك قول الشاعر كشاجم يستهدي بركاراً:

وعش واحتّسِها حسنا ء قد جاءتك بالعُذره[٤]

ومن الأمثلة على الأمر أنه عندما وصل أبو الطيب مصر أهداه واليها هدية قيمتها ألف دينار فلم يجد غير الثناء والشكر للوالي يرد به معروفه، فقال:

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهديها ولا مالُ فَلْيُسعِدِ النُّطقُ إنْ لم تُسعدِ الحالُ

واجزِ الأميرَ الذي نُعْماهُ فاجئةٌ بغيرِ قولٍ ونُعمى الناسِ أقوالُ[٥]

ويتبين من قول المتنبي أنه استخدمَ صيغة الأمر "فليسعد، واجز" لإظهار قيمة الهدية وإظهار شكره والثناء للوالي على الهدية، وذلك برد المعروف على ما قدم له من هدية.

وقال ابن الرومي قصيدة لشخصٍ يستهديه فيها هدية، كما يبدو من ظاهر النص، ولكن القراءة المتعمقة تفيد أنه يستعطي أعطيته في ظرفٍ ضيق. وذاك لأنه يعد المطلوب منه بالمدح والشكر جزاء منحه يقول:

---

(١) الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ج١، ص ٤٨.

(٢) الحسن بن محمد السهواجي، أديب أريب، شاعر لبيب، مشهور مذكور، وسهواج من قرى مصر.صنف كتاب القوافي، وتوفي بمصر سنة أربعمائة. **الوافي بالوفيات**، ج١٢، ص ٢٤٣.

(٣) أبو تمام، **الديوان**، ص ٢٤٥.

(٤) كشاجم، **الديوان**، ص ١٥٥.

(٥) المتنبي، **الديوان**، ص ٥٣٨.

أجدرُ مالٍ أن يكون نائلا هديةٌ تكسِب شكراً عاجلا

فبادِر الآن الثناء الكاملا تلاقِ خلف الفكر منه حافلا[١]

يميل ابن الرومي هنا إلى الطبع وهو طبع القصاصة والطلب المباشر والوعد بالثناء والمدح مقابل الأعطية، إذ يستخدم أسلوباً إنشائياً وهو الطلب بصيغة الأمر، حيث يطلب الكافخ، ويستهدي المال:

واقْسم لنا الكامخ[٢] قَسْماً عادلاً قَسمٌ يدِ الله لك الفضائلا

ولا ترى فعْلَك فِعْلاً خَاملاً إن أنت أسعفْتَ صديقاً مائلاً[٣]

فالحدة ظاهرة في النص، إذ أنه يطلب أن يقسم له قسماً عادلاً، كما قسم له الله من الفضائل، وهذا الفعل من المخاطب ليس فعلاً هيناً، لأنه يصف به شخصاً مائلاً الحال محتاجاً، وهذا الفعل من المطلوب لن يكون سبباً إثارة الحساد والعذال، وتبلغ به الحدة في الخطاب حين يطلب من المخاطب أن يتابع الغرض بالنوافل كناية عن استمرار الأعطيات من غير مدح المخاطب والإشادة بصفاته.

فالمتأمل فيما سبق في أسلوب الأمر يظهر له الارتباط بين الهدية وصيغة الأمر، لأن الهدية تقدم أحياناً بأسلوب الطلب من الطبقة العليا، وقد يوجه الأمر من صاحب المنزلة العليا إلى الأدنى وأحياناً تكون بموجب الإلزام أن يقدم الأدنى للأعلى منه هدية وأن تليق بمكانته، وأحياناً تقدم بطلب النصح والإرشاد فقد تكون صيغة الأمر فيها نوع من القوة في الألفاظ وقوة في الموسيقى، لأنها تصدر من شخص ذي مكانة عالية وذي شأن عظيم تصدر منه للأدنى بالطلب والإلزام لتقديم الهدية، فلهذا تكون الهدية بهذه الصيغة ذات شأن عظيم وقيمة عظيمة، لأنه من خلالها تظهر مكانة المهدى والمهدي إليه.

ويلاحظ استخدام ابن الرومي العبارات الإنشائية من نداء وأمر في طلب كساء من أحد الأشخاص، مما يوحي بحدة الخطاب وشدته، فهو يناديه قائلاً له:

يا مَنْ عَكفْنا عليهِ لائذينَ به فما عكفنا على بُدٍّ ولا وثنِ

---

(١) ابن الرومي، **الديوان**، ج٥، ص ١٩٥٥.

(٢) **الكامخ:** هو نوع من الأدم المشهور عند العرب.

(٣) ابن الرومي، **الديوان**، ج٥، ص ١٩٥٥.

ولا شَقِينا بوعدٍ منك يتبعُــهُ   مَطلٌ ولا كنتَ إلاّ صافِي المِنَنِ[١]

وتتضح الحدة والعنف مرة أخرى في استخدام الأساليب الإنشائية مع موسيقيا بحر البسيط التي تساعد على إثارة هذه الحدة، ثم إنه يتبع ذلك بالطلب منه ألا يطيل حتى يعطيه الكساء الذي يطلبه منه على الرغم من أن ذلك الكساء تافه الثمن:

أعاذَك الله من حالٍ تُماطِلُني   لضيقِها بكِساءٍ تافِهِ الثَّمنِ[٢]

فهو يستهدي لشخص آخر هدية، فيخاطبه بهذه الحدة، ثم يصف الهدية بأنها تافهة؟ ثم يتبع هذا الطلب فيتذكر ذلك الشخص أن عطاءه الكساء سيكون بمقابل، وهو شكره له ومدحه، فهو سيلبس هذا الكساء، ولكن الشخص الممدوح سيلبس بالمقابل ثوب الشكر، يقول ابن الرومي:

فالبَسْ وألبسْ فإنَّ الثوبَ تلبسُــهُ   زيْنٌ علــى النفسِ لا ثِقْلٌ على البــدن

فاكسُ ابن شكرِك ما يبلى على ثقةٍ   أنْ سَوْفَ يكسوك ما يبقى على الزمن[٣]

التكرار:

اتخذ الشعراء من أسلوب التكرار وسيلة لتأكيد المعنى وتعميقه في نفوس متلقيه، حلية تزين بها النص، وقد غلب على النصوص تكرار اللفظ. واستعمل التكرار في الخطب والوصايا أكثر من غيرها من الفنون، ولعل مرد ذلك أن الخطب والوصايا تحتاج إلى بسط وتفصيل، ومن ثم تثبيت هذه المعاني في نفوس متلقيه بينما كان التكرار في الشعر أقل وروداً؛ لأن الشعر ألصق في النفس، كما ينصرف الشاعر إلى الاهتمام بالعبارة والوزن والإيقاع أكثر من النثر.

ومن قول الشعراء في التكرار قول الصنوبري يستهدي طاق أدم:

طاقُ أديمٍ طائــفيٌّ من الــ   أنفس في القيمةِ والأنفسِ

مَنْ تُحَفِ القادَمِ مما اصطفى   يختاره المؤنِسُ للمؤنِسِ[٤]

---

(١) ابن الرومي، **الديوان**، ج٦، ص ٢٤٤٠.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٦، ص ٢٤٤١.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ٢٤٤١.

(٤) الصنوبري، **الديوان**، ص ١٥٦.

وقوله أيضاً يستهدي مسكاً:

وَالمِسْكُ أَشْبَهُ شيءٍ بالشَّباب، فَهبْ بعضَ الشَّبابِ لِبَعْضِ المعشرِ الشّيبِ[١]

لقد كرر الشاعر كلمتي: المؤنس وللمؤنس، وأنفس والأنفس، وكرر حرف السين، وكرر حرف الشين في البيت الأخير، وهذا مما زاد في الجرس نغمة موسيقية مناسبة، فقد يؤدي تكرار الحروف دوراً مهماً في الموسيقا اللفظية، فقد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، وقد يؤدي التكرار أيضاً إلى تأكيد المعنى وإظهار قيمة الهدية والحث على تقديمها وقبولها وإظهار شأن المُهدي والمُهدى إليه.

وقد قال الحلاج حينما أهدى الأضاحي:

إنَّ الحبيب الذي يُرْضيهِ سَفكُ دمي دَمِي حلالٌ لَهُ في الحِلِّ والحَرَم

إن كانَ سَفْكُ دَمِي أَقْصَى مُرادكمُ فَلاَ عَدَتْ نَظرةٌ مِنْكُمْ بِسَفْكِ دَمِي

يا لائمي، لا تلمني في هوَاهُ، فَلَوَ عَايَنْتَ مِنْهُ الذي عايَنْتُ لم تَلُمِ

ضحى الحبيب بنفسٍ يوم عيدهم والناس ضحَّوا بمثل الشاءِ والنعمِ[٢]

كرر الشاعر بعض الكلمات في الأبيات السابقة مثل (سفك، دميَ، عاينت، ضحى) ويبدو أن التكرار له دلالة قيمة هنا وهي التأكيد، وقيمة بلاغية صوتية من خلال السجع، فالتكرار لم يأتِ عشوائياً، عمد إليه الشاعر ليحقق دلالة بلاغية ونغماً موسيقياً، وربما يلجأ الشاعر إليه ليخفي عجزه وقدرته على النظم الشعري.

ومن الأمثلة على التكرار أنه لما أهدى محمد بن هاشم الخالدي إلى عمرو بن اصطفن الكاتب مروحة طريفة، كتب معها:

وتصلُح للضَّربْ ضَربِ الدَّلالِ دلالِ الحَبِيبِ، إذا ما عتبْ[٣]

فقد كرر الشاعر "الضرب، والدَّلال".

---

(١) الصنوبري، **الديوان**، ص ٣٩٨.

(٢) الحلاج، **الديوان**، ص ١١٩.

(٣) الخالديان، **الديوان**، ص ٢٧.

ويظهر كذلك التكرار في قول جحظة البرمكي:

فَجِدْ عَلَيْنَا بنصف دن بربع دنٍّ بثلث دنّ[١]

فقد كرر الشاعر كلمة (الدن ثلاث مرات) حثاً على ضرورة أن يجود الكريم بما عنده من الخمرة، فعندما ذكر "فجد علينا بنصف دن" حتى ذكر آخر شيء يأمله وهو "ربع دن" دلالة أنه يسعى للحصول على أقل القليل.

الإطناب:

عرض الجاحظ للإطناب فقال: "وقد بقيت –أبقاك الله– أبوابٌ توجب الإطالة وتحوج إلى الإطناب. وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ووقف عند منتهى البغية[٢]". فالإطناب والإطالة في رأي الجاحظ مترادفان ومقابلان للإيجاز، وهما عنده: كل ما جاوز مقدار الحاجة من الكلام، ولم يقف عند منتهى البغية، ثم يخلص من ذلك إلى تحديد مفهوم الإطناب الاصطلاحي فيرى أنه زيادة اللفظ على المعنى لفائدة[٣].

ومن الأمثلة على الإطناب في شعر الهدايا العباسي قول الصنوبري يستهدي نعلاً:

متى تتدارك نعلي ألا فقد ذهبت أو بدت تذهبُ

بسوداء ذاتِ بريقٍ تراهُ كالآل من فوقها يلعبُ

وإلا فصفراءَ كالشمس حينَ يجلِّلها ثَوبُها المذهبُ

وإلا فبلقاءَ قد وُشِّحَتْ بنقشٍ كما وُشِّحَ المشجبُ

وإلا فدكناءَ عرسيةٍ يشاكلها العنبرُ الأشهبُ

وإلا فحمراء لون الشقيقِ وإن كان هذا فذا أغربُ

وإلا فصهباء ما إن يزالُ ينافسها السوسنُ الأصهبُ

ولو كنتُ أعرف خضراءَ قلتُ كالماءِ دَبَّجَهُ الطحلبُ

---

(١) جحظة البرمكي، **الديوان**، ص ٣١٣.

(٢) الجاحظ، **الحيوان**، ج٦، ص ٧.

(٣) عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، ص ٢٠٤.

وممَّا يزيّنــها في العيـــونِ　　　كما زيَّن الفرسَ المركبُ[١]

فالمتأمل في الأبيات السابقة يلاحظ أن الشاعر استخدم التشبيه في كل لون مـن ألـوان الحذاء الذي يستهديه، ونلاحظ أن الشاعر مال إلى الإسهاب والاستطراد، وذلك لإجبار المُستهدى على تقديم الهدية له.

وقد أهدى الفضل بن الربيع نعلاً، فقال أبو العتاهية في ذلك:

نَعْلٌ بَعَثْتُ بها لِتَلْبسَـــها　　　تَسْعَى بها قَدَمٌ إلى المجْـدِ

لَوْ كَانَ يَصلُحْ أن أُشرِّكها　　　خدّي جَعَلْتُ شُراكها خديٍّ[٢]

نلمح الإطناب في هذا الشعر الذي يريد فيه الشاعر نيل رضى الممـدوح ووده، وربمـا عطاءه، إذ إن أبا العتاهية يجعل من هذا النعل وسيلة يلبسه أبو الفضل الذي يسعى إلـى تحقيـق المجد.

وقد يظهر الإطناب حيناً من خلال التكلف والاهتمام بالصنعة علـى حسـاب المعنـى، ويتضح ذلك في قول السريّ الرفاء يستهدي نبيذاً وقد فصد:

أَرَقْتُ دَمَاً أرجُو الشِّفاءِ وإنَّمـــا　　　بكـأسِ مُـــدَامٍ مَنْ أراقَ دَمَـاً يُشْفَـى

فَجُدْ لِي بِها صِرْفاً إذا مَا مَزَجْتَهَا　　　أتاحَتْ لِصَرْفِ الدَّهرِ مِنْ رَاحَتـي صَرْفا

فَمَـا الجُودُ إلاّ أنْ تَجُـودَ بِقَهْوةٍ　　　ومَا الظَّرْفُ إلاّ أن تكبِّر لي الظّـرفا[٣]

يقول الشاعر إن عملية الفصد أراقت من دمه كي يشفى، ولكنه يرى أن الشفاء يتمثل في كأس من الخمر، وهو شفاء لمن فصد، ثم يطلب منه أن يجود بالنبيذ عليه حتى إذا مـا شـربها شعر بالارتياح من عناء الدهر، ثم يضيف البيت الثالث فيقول إن غاية الكرم هو أن يجود عليـه الممدوح بقهوة ويقصد بها (الخمر)، ومن الطريف في هذا الطلب أن يكون الوعاء كبيراً يـروي عطشه من النبيذ.

---

(١) الصنوبري، **الديوان**، ص٣٩٥.

(٢) أبو العتاهية، **الديوان**، ص١٢٧.

(٣) السريّ الرفاء، **الديوان**، ج٢، ص٤٣٩.

الشرط :

من الملاحظ بروز أسلوب الشرط في شعر الهدايا بشكل واضح، ومن الأمثلة على ذلك قول كشاجم يستهدي بركاراً:

لو عينُ (اقليدس) به بَصُرتْ خرَّ له بالسُّجودِ مكبوبا[١]

فقد استعمل أداة الشرط (لو) وجملة الشرط (عين اقليدس بصرت) وجملة جواب الشرط (خرَّ له بالسجود).

ومنه أيضاً قوله:

إذا أَظهرت في الحبِّ وفاءً أضمرَ الغدرة[٢]

فقد استعمل أداة الشرط غير الجازمة (إذا) وفعل الشرط (أظهرت) وجواب الشرط (أضمر الغدرة).

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قول أبي تمام يستهدي فروا:

إذا البدنُ المقرورُ أُلبسَهُ غَدَا لَهُ راشِحٌ من تَحتِهِ يتصبَّبُ

إذا عَدا ذَنْباً ثِقْلَهُ مَنْكبُ امرِئٍ يقُولُ الحَشاء: إحسانُهُ حين يُذْنِبُ

إذا ما أساءَتْ بالثِّيابِ فَقَوْلَهُ لها كُلَّما لاقَتْهُ أهلٌ ومَرْحَبُ[٣]

فقد استعمل الشاعر أداة الشرط غير الجازمة (إذا) في البيت الأول وجملة الشرط (البدن المقرور ألبستهُ) وجملة الجواب (غدا له راشِحٌ من تحته يتصبَّبُ)، وفي البيت الثاني استعمل أداة الشرط غير الجازمة (إذا) وجملة الشرط (عدا ذنباً) وجملة جواب الشرط (ثِقْلَهُ منكبُ)، وفي البيت الثالث استعمل أداة الشرط (إذا) وجملة الشرط (ما أساءت بالثياب) وجملة الجواب (قوله لها) وأداة الشرط كلما وجملة الشرط (لاقته) وجملة الجواب (أهلٌ ومرحبُ).

---

(١) كشاجم، **الديوان**، ص ٣٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ٢٠٤.

(٣) أبو تمام، **الديوان**، ج١، ص ١٥١.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قول علي بن جبله يمدح حميداً، وقد أهدى له قصيدة في يوم النيروز:

لو حمى الدنيا حميد لم يكن فيها فقير[١]

فقد استعمل الشاعر أداة الشرط غير الجازمة (لو) وجملة الشرط (حمى الدنيا حميد) وجواب الشرط (لم يكن فيها فقير).

ومن الأمثلة أيضاً قول أبي العتاهية حينما غزا الرشيد نقفور ملك الروم، فانقاد إلى الرشيد وحمله الأموال والهدايا والضريبة:

إذا ما سَخِطْتَ الشيء، كانَ مُسْخطاً، وإنْ تَرْضَ شيئاً كان في النَّاسِ مَرْضِيّا[٢]

فقد استعمل الشاعر أداة الشرط (إذا)، وجملة الشرط (ما سخطت الشيء) وجملة الجواب (كان مُسْخطاً)، واستعمل أداة الشرط الجازمة (إن) وجملة الشرط (ترضى شيئاً) وجملة جواب الشرط (كان في الناس مرضيا).

ومن الأمثلة أيضاً قول البحتري يمدح ويستهدي ممطراً:

قد كِدْتُ أغْرَقُ تَحْتَهُ لولا الصَّبا شالتْ بجانِبِهِ وركْضُ الأشْقَر[٣]

استعمل الشاعر أداة الشرط (لولا) وجملة الشرط (الصَّبا) وجوابه (شالت بجانبه).

ونلاحظ من الأمثلة المتقدمة كثرة استعمال الجمل الشرطية في شعر الهدايا، فإن ركوب هذا الأسلوب يفتح أمام الشاعر إمكانية المبالغة في المدح أو الوصف، أو تقوية الحكم بشكل أجود وأقوى من الجمل العادية، لأن جملتي الشرط مرتبطتان معاً، وتعتمد كل منهما على الأخرى مما يجعل الجملة ذات سعة أكبر لتحتوي على معانٍ أكثر.

الألفاظ والمعاني

الألفاظ داخلة في حيِّز الأصوات؛ لأنها من مخارج الحروف، فما استلذه السمع منها، فهو الحَسَنُ، وما كَرِهَهُ ونبا عنه، فهو القبيح، وقد رأيت جماعة من الجهّال إذا قيل لأحدهم: إن هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكر ذلك، وقال كلّ الألفاظ حَسَنٌ، والواضح لم يضع إحسناً[٤].

---

(١) علي بن جبلة، **شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوك**، ص ١٢١.

(٢) أبو العتاهية، **الديوان**، ص ٣٦٨.

(٣) البحتري، **الديوان**، مجلد ٢، ص ٨٩٢.

(٤) جورج شكور، **كتاب البيان**، ص ٤٤.

تكاد تجمع المعاجم العربية على أن "الألفاظ" ترادف "الكلمات" في الاستعمال الشائع المألوف، فلا فرق بين أن يقال أحصينا ألفاظ اللغة، أو كلمات اللغة. ومع هذا فالنحاة في كتبهم يحاولون التفرقة بين كل من اللفظ والكلمة والقول، في حديث طويل تخرج منه أنهم يستشعرون مع اللفظ عملية النطق وكيفية صدور الصوت، وما يتبعها من حركات اللسان والشفتين(١).

ويتضح من النصوص الشعرية الواردة في شعر الهدايا في العصر العباسي استخدام الشعراء الألفاظ القديمة للتعبير عن موضوعات تتعلق بالبيئة الصحراوية، كما استخدم الشعراء ألفاظاً جديدة معربة عن الفارسية في وصف الطبيعة الحضرية الجديدة، ولا سيّما حديثهم عن البساتين والمتنزهات إذ يكثرون من استخدام الألفاظ الفارسية المعربة كما في أسماء الورود والرياحين، وتترد في أوصاف البساتين والمتنزهات ألفاظ فارسية معربة في أسماء الأزهار والثمار والعطور مثل (المسك) و(الاتراج) و(الياسمين) وغيرها(٢).

أما المعاني، فقد تأثرت معاني الشعر العباسيّ بالجو الثقافي والحضاري الجديد الناتج عن امتزاج الأجناس والحضارات والثقافات المختلفة، وما نجم عن ذلك من محاورات ومناظرات وكتب مترجمة عن اليونان والهنود والفرس، إذ اندفع الشعراء يثقفون أنفسهم، وينهلون من موارد الثقافة، ويتزودون بجميع ألوان المعرفة، ويتمثلونها لتستحيل لديهم شعراً بديعاً، وظهر في الشعر دقة الأفكار وجدة المعاني.

ومن الأمثلة على الألفاظ والمعاني الشائعة في شعر الهدايا أن الخيزران جارية المهدي قامت بإهدائه هدية بعد أن علمت أنه عزم على شراء دواء ليستشفي به، فأرسلت إليه جام بلور فيه شراب مع جارية بكر، وتقول له في عبارة إنشائية سهلة الألفاظ والمعنى:

إذا خرج الإمام من الدواء وأعقب بالسلامة والشفاء

وأصلح حالةً من بعد شرب بهذا الجام من هذا الطلاء

فينعم للتي قد أنفذته إليه بذوره بعد العشاء(٣)

---

(١) إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٣٨.

(٢) أنور عليان أبو سويلم، **الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول**، دار العلوم، ١٤٠٣هـ، ص ٣٨٣.

(٣) الأبشهيني، **المستطرف في كل مستظرف**، ص ٤٦.

وهذا الحمدوني يكتب إلى جارية اسمها برهان قد حج مواليها طالباً مسواكاً هديـــة ممـــا أحضروا معهم فيقول:

حجوا مواليك يا برهان واعتمروا وقد أتتك الهدايـــا من مواليـــك

فاطرفيني بما قـــد أطرفـــوك به ولا تكن طرفتي غير المساويك

ولست أقبل إلا ما جـــلوت بـــه ثنيتيك وما رددت في فيـــك[١]

يتبين من خلال هذه الأبيات إن ألفاظها جاءت سهلة و معانيها واضحة، ويعود سبب ذلك إلى موضوع الهدية ومناسبتها، فالمعاني والألفاظ تختلف من موضوع إلى آخر، والأبيات فيهـــا جانب غزلي، فالألفاظ السهلة الرقيقة والمعاني الواضحة يناسبها موضوع الغزل.

ومن الألفاظ السهلة والبسيطة والمعاني الواضحة قول الخباز الذي كان غارقاً في سكره وحديثه عن السكر يهدى آخر ما يملك من الخمر إلى بعض العمال، فيقول في عبارة غايـــة فـــي البساطة:

أستاذنـــا والـــذي نؤمـــله للدهر من كلّ ما يحاذرُهُ

هذا نبيـــــذ رأيته حسنـــاً مستعذباً يرتضيه خابرُهُ[٢]

وإن عـــذري في فرط قلته باطنه واضح وظاهـــرُهُ

إذ كان هذا الذي بعثت به أول ما عندنا وآخـــرُهُ[٣]

نلاحظ أن الألفاظ جاءت متفاوتة حسب الموضوع من حيث الدقة والوضوح ومناســـبتها للموسيقى، فقد جاءت فيها ألفاظ علمية، ويظهر ذلك في قول الشاعر كشاجم حينما قـــال يصـــف مرآة أهداها:

خطَّ منها شكل المدوّر قدّاً واعتدالاً (اقليدس) اليوناني[٤]

---

(١) الأبشهيني، **المستطرف في كل مستظرف**، ص٤٧.

(٢) الخباز، أبو بكر محمد بن حمدان (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، **شعر الخباز البلدي**، تحقيق: صبيح رديـــف، بغـــداد، مطبعة الجامعة، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٣٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ٣٣.

(٤) كشاجم، **الديوان**، ص ٤٦٩.

فقد استخدم ألفاظاً هندسية علمية، كما استخدم مثل ذلك كشاجم فوصف مرآة أهداها:

وعلى ظهرها فوارس تلهو ببزاةٍ تعدو على غزلان[١]

وصف الدقة والرسوم التي وجدت على المرآة، وهذا يشير إلى حركة الرسم وتطورها في ذلك العصر.

وقد تظهر الألفاظ أحياناً قوية مما يؤدي إلى عمق المعاني، وقد لجأ أيضاً بعض الشعراء في موضوعاتهم التي طرقوها في الهدايا إلى استخدام ألفاظ لها دلالة في عنصر الحركة والصوت، من ذلك قول أبي تمام:

قُلْ للأمير أبي سَعيدٍ ذي النّدَى والمَجْدِ زَادَ اللهُ في إكرامِهِ

يا واهِبَ العيسِ الهَمُوس بَرْحِلها والأعوجيّ بسَرْجِه ولجامِهِ

والحامِلَ الأقوامَ فوقَ سَلاهِبٍ والحَاكِي الرِّئْبالَ في إقدامِهِ

والواهِبَ الصَّمصامةَ السيفَ الذي يجري زُعافُ الموتِ في إسْطامِهِ[٢]

وقد قال صريع الغواني في الهدية:

جزى الله من أهدى الترنج تحية ومنّ بما يهوى عليه وعَجَّلا

أتتنا هدايا منه أشبهن ريحَهُ وأشبَهُ في الحسن الغزالَ المكحَّلا

ولو أنَّه أهدى إليَّ وصالَهُ لكان إلى قلبي ألذّ وأفضلا[٣]

فالموسيقى جاءت مناسبة للمعاني والألفاظ، فقد جاءت المعاني عميقة، وقد أكثر الشاعر من استخدام الجمل الفعلية كما استخدم الألفاظ الأعجمية مثل (الترنج).

ثانيا: الصنعة

تشكل ضروب البديع وفنونه ملحظاً أسلوبياً مهماً من شعر الهدايا في العصر العباسي، فقد شاعت المحسنات البديعية، وبخاصة الطباق، والجناس وغيرها من ضروب البديع الأخرى.

---

(١) كشاجم، **الديوان**، ص ٤٦٩.

(٢) أبو تمام، **الديوان**، ص ٢٤٥.

(٣) صريع الغواني، **الديوان**، ص ص٣٣٥-٣٣٦.

أما البديع: فهو الجديد، وأصله في الحبال؛ وذلك أن يفتل الحبلُ جديداً، ليس عن قوى حبل نُقضِتْ؛ ثم فُتِلت فتلاً آخر[١].

فكلمة البديع تعني في اللغة الجديد المبتكر، يقال: أبدعت كذا -يعني اخترعته- وعليه جاء قول الحق: ﴿**بديع السموات والأرض**﴾ يعني مبدعها على غير مثال سابق.

وقد جعل ابن المعتز فُنون البديع التي بنى عليها الشطر الأكبر من كتابه خمسة هي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة أو الطباق، ورد الإعجاز والمذهب الكلامي[٢].

أما البديع في عُرف البلاغيين، فقد استقر منذ وضع السكاكي كتابه المفتاح بأنه: "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة"[٣].

ولعله ينجلي للقارئ مما تقدم أن المحسنات البديعية تزين الكلام وتتمقه وتزيده حسناً وبهاءً وجمالاً، ولا بد ههنا من الوقوف عند بعض المحسنات البديعية التي ظهرت بشكل بارز في شعر الهدايا في العصر العباسي ومنها الطباق، والجناس، والسجع، والالتفات وغيرها.

الطباق:

المطابقة ويقال لها التطبيق والطباق، والمطابقة في اللغة أن يضع البعير رجله في موضع يده، فإذا فعل ذلك قيل طابق البعير، وقال الأصمعي المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع وقال الخليل بن أحمد يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حد واحد، وليس بين تسمية اللغة وتسمية الاصطلاح مناسبة لأن المطابقة في الاصطلاح الجمع بين الضدين في كلام أو بيت شعر كالإيراد والإصدار والليل والنهار والبياض والسواد، وليس في الألوان ما تحصل به المطابقة غيرهما أعني البياض والسواد، فقد قال الرماني وغيره البياض والسواد ضدان بخلاف الألوان لأن كلاً منهما إذا قوى زاد بعد من صاحبه. وقد تقرر أن المطابقة الجمع بين الضدين عند غالب الناس سواء كانت من اسمين أو من فعلين أو من غير ذلك. ومنهم من أدخل المقابلة فيها وليس بمليح إذ لم يبق للفرق بينهما محل فإن السكاكي قال: المقابلة أن تجمع بين شيئين فأكثر وتقابل بالأضداد ثم إذا شرطت هنا شيئاً شرطت هناك ضده والمطابقة هي الإتيان بلفظيتين والواحدة ضد الأخرى، وكأن المتكلم

---

(١) ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني، (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: النبوي عبد الواحد شعلان، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٤٢٧.

(٢) عبد الرزاق أبو زيد زايد، **علم البديع: نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ**، مكتبة الشباب، د.ت، ص٤٣.

(٣) عبد العظيم المطفي، **البديع من المعاني والألفاظ**، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٣.

طابق الضد بالضد فالمطابقة ضربان، ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة وضرب يأتي بألفاظ المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمى طباقاً، وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤاً[١].

ومعنى الطباق: الجمع بين متضادين أي بين معنيين متقابلين في جملة واحدة، أو في كلام واحد، أو ما هو كالكلام الواحد إذا كان الكلام الواحد متصلاً، أي أن يكون بينهما تقابل وتنافر ولو في بعض الصور، سواء كان التقابل حقيقاً كتقابل أمرين بينهما خلاف تام لذاتهما[٢].

وقد ذكر الشعراء الطباق في شعر الهدايا في العصر العباسي للتعبير عن المعاني والأفكار وتوضيحها لأن المعاني إنما تتضح بمقابلاتها وأضدادها، ومن هنا كثر الطباق في شعر الهدايا، وهناك أمثلة كثيرة على هذا اللون من البديع، فمن ذلك قول الصنوبري يستهدي طاق آدم:

آبَ عليٌّ أوبةَ البدرِ بالـ أسعدِ لمّا آبَ لا الأنْحسِ

فخيرُ ما استُهْدِيَ ما لم يزلْ مطيَّةَ الموسرِ والمفلسِ[٣]

فقد طابق الشاعر بين كلمتي الأسعد والأنحس في البيت الأول، وبين كلمتي الموسر والمفلس في البيت الثاني.

ومن الطباق أيضاً قول الصنوبري يستهدي زيتاً:

يا ذا الذي يَصْدُقُني وُدَّهُ وليس مكذوبٌ كمصدوقِ[٤]

فقد طابق بين كلمتي مكذوب ومصدوق.

ومن الطباق أيضاً قول الشاعر كشاجم:

أهانَ المالَ للآمـ ـلِ في القلة والكثرة[٥]

يبكي فيضحك من طوي ـل بكائه الروض الأريضُ[٦]

فقد طابق بين كلمتي (القلة، والكثرة) وبين كلمتي (يبكي، ويضحك).

---

(١) ابن حجَّة الحموي، تقي الدين أبي بكر علي (ت ٨٣٧ هـ/١٤٣٣م)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، دار القاموس الحديث، بيروت، د.ت، ج١، ص٦٩.

(٢) عبد الواحد حسن الشيخ، **دراسات في علم البديع**، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، د.ت، ص٢٢.

(٣) الصنوبري، **الديوان**، ص ص١٥٥-١٥٦.

(٤) **المصدر نفسه**، ص٣٥٩.

(٥) كشاجم، **الديوان**، ص٢٠٥.

(٦) **المصدر نفسه**، ص٣٠٦.

ومن الطباق كذلك قول محمد بن هاشم الخالدي حينما أهدى إلى عمرو اصطفن الكاتب مروحة طريفة يقول فيها:

بعثتُ إليكَ – أطال الإلـــهُ عُمْركَ ما طال عمر الحِقَبْ[١]

فقد طابق الشاعر بين كلمتي (أطال وما طال).

ومن الطباق كذلك قول السريّ الرفاء حينما قال يستهدي نبيذاً من الشمشاطي:

وإنَّكَ مَشْرِقُها إنْ أردْتَ وإنَّ لمْ تُرِدْ غَربَتْ في استِتارِ[٢]

هناك ورد طباق السلب بين كلمتي (أردت ولم ترد).

وقول الشاعر السري الرفاء أيضاً في الطباق حينما أهدى إليه أبو الفوارس سلامة بن فهد قدحاً:

كأسُكَ قَد مُزّقتْ مَفَاصِلُهُ بيْنَ النَّدَامى فَلَيْسَ تَجْتَمِعُ[٣]

ويظهر الطباق بين كلمة (مزقت، وتجتمع).

ومن الطباق قول البحتري، يستهدي ممطراً:

بسماحِك المُستَقبلِ المُستَدْبَرِ وصفاءِ وَجْهَكَ في الزّمان الأكْدَرِ

إنَّ الغَمامَ –أخَاكَ– جادَ بمِثْلِ ما جادَتْ يَدَاكَ لَوْ أنَّهُ لَمْ يَضنُرِ[٤]

فقد طابق بين كلمة (المستقبل والمستدبر) و(الصفاء والأكدر) وطابق طباق سلب بين كلمتي (جاد وما جادت).

ومن الطباق كذلك قول الصنوبري في هدية شمع أهداها:

وتأملتُ الهديـــاتِ كباراً وصغـــاراً

لم أجدْ شيئاً كشيءِ يجعلُ الليلَ نهاراً[٥]

---

(١) الخالديان، **الديوان**، ص٢٦.

(٢) السري الرفاء، **الديوان**، ص٣٠٢.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٣٧٠.

(٤) البحتري، **الديوان**، مجلد ٢، ص ٨٩٢.

(٥) الصنوبري، **الديوان**، ص ١٥.

فقد طابق بين كلمتي (كباراً وصغاراً) و(كلمتي والليل والنهار) في البيت الثاني، ونلاحظ أن استعمال الطباق ساهم في إبراز المعنى وتأكيده في نفس المُهدى، فالشمعة تحول الليل نهاراً.

مما سبق يتضح أنَّ الطباق له قيمة معنوية كبيرة، فهو يضخم المعنى، ويعطي عمقاً لهذا المعنى، إذ يحس القارئ أو السامع بقوة في المعنى، ويبدو واضحاً أن الطباق من الأمور الفطرية التي تظهر في الطباع التي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام، فهو يثبت المعنى في النفس، إذ الضد أقرب حضوراً بالبال إذا ذكر ضده.

أما ارتباط الطباق بالهدية، فهو يعكس أثر الهدية في نفس المهدى إليه ويظهر مدى العلاقة التي تربط المُهدي بالمُهدى إليه؛ لأن الهدية تقوى العلاقات وتزيد المحبة، وقد يؤدي الطباق إلى التنافس في تقديم الهدايا من حيث شكلها وحجمها ونوعها مما يدفع بعض الشعراء لتقديم الاعتذار كون الهدية لا تليق بمكانة المُهدى إليه.

الجناس:

سمي جناساً لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة، ولا يشترط فيه تماثل جميع الحروف، بل يكفي في التماثل ما نعرف به المجانسة، وأما اشتقاق الجناس فمنهم من يقول التجنيس هو تفعيل من الجنس، ومنهم من يقول المجانسة المفاعلة من الجنس أيضاً ألا أن إحدى الكلمتين إذا تشابهت بالأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية، والجناس مصدر جانس، ومنهم يقول التجانس التفاعل من الجنس أيضاً؛ لأنه مصدر: تجانس الشيئان إذا ادخلا في جنس واحد، ولما انقسم أقساماً كثيرة وتنوّع أنواعاً: التام، والمحرف، والمصحف، والملفق، كما أن البديع جنس وأنواعه الجناس واللف والنشر والاستعارة والتورية والاستخدام وغير ذلك من أنواع البديع[١].

يقول ابن رشيق القيرواني: التجنيس ضروب كثيرة، منها: المماثلة، وهي أن تكرر اللفظة باختلاف المعنى[٢].

فالجناس: لغة مصدر جانس الشيء الشيء شاكله واتحد معه في الجنس، واصطلاحاً تشابه الكلمتين في اللفظ مع اختلاف في المعنى.

ومن الجناس قول الشاعر السري الرفاء يستهدي نبيذاً من الشمشاطي:

أبا حَسَنٍ إن وَجْهَ الرَّبيعِ جَميلٌ يُزَانُ بحُسْنِ العُقَارِ[٣]

---

(١) ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ج١، ص٢٠-٢١.

(٢) ابن رشيق القيرواني، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، ج١، ص ٥٣٠.

(٣) السري الرفاء، **الديوان**، ج٢، ص ٣٠٢.

فقد جانس الشاعر بين كلمتي (حسن) تعني اسم شخص وكلمة (حُسن) ضد القبيح وهـذا جناس غير تام.

ومن الجناس قول الشاعر السري الرفاء، يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد ويستهدي منه نبيذاً وشبوطاً:

زارَ لِيُحيَ نِعْمةً وريفَا والصُّبْحُ قَدْ قابَلَنا مُنيفا[١]

فقد جانس الشاعر بين كلمتي (وريفا) تعني الأرض التي فيها زرع وكلمة (منيفا) تعني العالي المشرق.

ومن الجناس كذلك قول السري الرفاء يستهدي نبيذاً وقد فصد:

فَجُدْ لِي بِها صِرْفاً إذا ما مَزَجْتُها أتاحَتْ لِصَرْفِ الدَّهْرِ مِنْ رَاحَتِي صَرْفا[٢]

يظهر الجناس بين كلمتي (صِرْفا) وكلمة (لصرف) وهو جناس غير تام، فكلمة (صِرْفاً) جاءت معناها خالصة وكلمة (لصَرْفِ) معناها الزمان.

ويظهر الجناس كذلك في قول الحسن بن وهب حينما أهدى إلى زياد دواة أنبوس محلاةً ذهباً، وكتب إليه معها رقعة يقول فيها:

في حشاها من غير حَرْبٍ حِرابٌ هُنَّ أمضى من نافذاتِ الحِرابِ[٣]

يظهر في البيت السابق وجود جناس ناقص بين كلمتي (حرب) بمعنى المعركة وكلمة (الحراب)، وهي آلة تستخدم في الحرب.

ومن الجناس كذلك قول كشاجم:

ولنا مُغنٍ جلَّ قد راً أن يشاكله الغريضُ

والرّاح قد عزت على الـ ـشُعَراء مُذْ ذلَّ القريضُ[٤]

فقد جانس الشاعر جناساً غير تام بين كلمتي (الغريض) معناها حزام الرحل وكلمة (القريض) معناها الشعر.

ومن الأمثلة على الجناس ما كتب أبو البصير إلى ابن أبي طاهر يستهديه بخوراً:

---

(١) السري الرفاء، **الديوان**، ج٢، ص ٤٠٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ٤٣٩.

(٣) الأصبهاني، **الزهرة**، ج٢، ص ٧٤٩.

(٤) كشاجم، **الديوان**، ص٣٠٦.

يا شقيقي ويا خليلي إبـــاءً المرجَّى لكـــلِّ خيرٍ وميـــر

أنتَ من أطيبِ الأنام بخوراً غيرَ أني شممتهُ عندَ غيري[١]

ويلاحظ هنا الجناس الناقص بين الكلمات الثلاث: (خير) معناها ضـــد الشـــر و(ميـــر) معناها جلب الطعام.

ومن الجناس قول السري الرفاء يستهدي من ابن فهد نبيذاً:

يَا مَنْ أُنَامِلُه كالعَارِضِ السَّاري وَفِعْلُهُ أَبَداً عَارٍ مِنَ العَارِ[٢]

فقد جانس الشاعر بين كلمة (عار) معناها خالٍ وكلمة (العار) معناهـــا العيـــب والأمـــر المشين، فهذا جناس غير تام، وقد حقق موسيقى داخلية فضلاً عن المعنى الـــذي أضـــافه هـــذا الجناس.

ومن الجناس قول الصنوبري في هديّة ورد:

باكورةٌ طريفةُ البكورِ خطيرةٌ من سيّدٍ خطيرِ[٣]

فقد جانس الشاعر بين كلمتي (باكورة) معناها البستان أو الحديقة وكلمة (البكور) معناها الصباح الباكر، فهذا جناس غير تام.

ومن الجناس قول السري الرفاء يستهدي من صديق له نبيذاً في وقت كثير البرد والثلج:

طَرقتُكَ مُمتَاحاً ولَيْسَ لِطارِقٍ يَرُومُكَ مِنْ وَقْعِ الضَّرِيبِ طريقُ

فَقَدْ هَجَرَ الخِلُّ الوصُولُ خَليلَه ولمْ يَحْطَ فيه بالصَّديق صَديقُ[٤]

فقد جانس الشاعر بين كلمتي (طارق) معناها الضرب وكلمة (طريق) معناهـــا الســـبيل، وبين كلمتي (الخل) معناها الحبيب وكلمة (خليله) معناها الصاحب، فهذا جناس غير تام.

ويبدو فيما تقدم أن الجناس الناقص ظهر في شعر الهدايا بشكل بارز، وهذا ممـــا ســـاعد في تعزيز المعاني، وقد حقق فضلا عن ذلك تناغماً موسيقياً ساعد فـــي ســـهولة حفـــظ الشـــعر وسرعة انتشاره، فهو يكسو الأساليب رونقاً وإشراقاً، ويحسن المعاني بالربط بينهـــا، أمـــا أثـــر

---

(١) أبو هلال العسكري، **ديوان المعاني**، ج١، ص ٢٥٢.

(٢) السري الرفاء، **الديوان**، ص ١٨٣.

(٣) الصنوبري، **الديوان**، ص ٢٢.

(٤) السري الرفاء، **الديوان**، ص ٤٤٦.

الجناس على الهدية فهو يزينها ويجملها لتظهر للمُهدى إليه بأحسن حال، وهو بلا شك يعلي من قيمة الهدية حتى تليق بمكانة المُهدى إليه.

الالتفات:

ومن المحسنات البديعية التي ظهرت في شعر الهدايا الالتفات، وهو الانتقال من ضمير إلى ضمير آخر، فالانتقال من المتكلم إلى المخاطب، أو من الغائب إلى المتكلم، وقد غلب استعماله في عصر صدر الإسلام ولا سيما في فن الخطابة، فالخطيب يلجأ إلى هذا الأسلوب خشية أن يدخل الملل إلى نفوس مستمعيه فيثير أسماعهم بالالتفات من ضمير إلى ضمير(١).

ويبدو أن الالتفات كان قليلاً جداً في شعر الهدايا، ومن الأمثلة على ذلك قول السري الرفاء قال في صديق له يستهدي منه نبيذاً في وقت كثير الثلج والبرد:

وإني خَلِيقٌ مَنْ نَدَاك بِنَيْلِهَا وأنْتَ بِما أولَيْتَ مِنْهُ خَلِيقُ(٢)

فقد استعمل الشاعر الالتفات في قوله "إني خليق- وأنت بما أوليت خليق" فضمير المتكلم (إني) انتقل إلى ضمير المخاطب (أنت).

ثالثا: الصورة

تعد الصورة الفنية من أهم مقومات العمل الأدبي، وقد حظيت باهتمام النقاد العرب قديماً وحديثاً، ولعل الجاحظ كان أول من أشار إليها بشكل غير مباشر، وذلك من خلال تناوله لقضية اللفظ والمعنى حين قال: "والمعاني مطروحة في الطريق.... وإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"(٣).

وفي العصر الحديث، ازداد الاهتمام بدراسة الصورة عدد كبير من الباحثين العرب، وقد يكون هذا الاهتمام ناشئاً عن الاتصال بالثقافة الغربية تحديداً، ونتيجة لذلك وجدنا من يفرد لهذه القضية فصولاً واسعة أو يؤلف فيها كتباً عديدة.

وإن الناظر في المكتبة النقدية العربية اليوم، يجد عشرات الكتب التي وضعها أصحابها لدراسة الصورة، ويجد بين صفحات هذه الكتب تعريفات شتى للصورة، وأوصافاً متباينة

---

(١) ابن طيفور، أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر، (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، **بلاغات النساء**، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٥٥.

(٢) السري الرفاء، **الديوان**، ج٢، ص ٤٤٧.

(٣) الجاحظ، **الحيوان**، ج٣، ص١٣١- ١٣٢.

لأركانها وأهميتها، أعرض فيما يلي لبعض هذه التعريفات.

يرى علي صبح أن الصورة الأدبية هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر -أعني خواطره ومشاعره وعواطفه- المطلق من عالم المحسات؛ ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى، في إطار قوي نام محس مؤثر، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين(١).

ويقول عبد القادر الرباعي في إشارة إلى نظرية الجرجاني: "الصورة الناتجة من تأليف اللفظ والمعنى لم تأتِ عنده بدلالة واحدة بل بعدة دلالات، أهمها دلالتان: أولاهما الشكل العام، كما هو واضح من النص التالي الذي يجعل فيه التصوير مرادفاً للصياغة، فيقول: "معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة". وأخراهما صورة كما في قوله يقارن الصورة الشعرية بصورة الرسام(٢).

ويرى جورج شكور- أنَّ الصورة هي من ثمار الخيال، والصورة على نوعين: واحدة صادرة عن الحواس، وتسمى حيّة وأخرى صادرة عن المخيلة وتسمى خيالية تصوُّرية. وهناك خيال نقليّ عادي يقابل بين مشهد وأخرى بطريقة فوتوغرافية جامدة أو وجدانية أحياناً، كما أن هناك خيالاً تصورياً مبدعاً، يخلق صوراً مبتكرة وأخيلة سامية(٣).

لقد اختلف تعريف الصورة باختلاف الباحثين وتنوع المذاهب الأدبية، فكان وما زال مصطلح "الصورة الفنية" من المصطلحات التي لم يتفق على تحديد مفهوم لها، وإنما تعددت المفاهيم واختلفت التعريفات في النقد القديم والنقد الحديث على حد السواء، هذا التعدد والاختلاف، جعل من الصعب علينا أن نقف على تعريف محدد اتفق عليه، وربما كان الاختلاف هو السبب في جعل دراسة الأدب عملية حيوية مستمرة.

ومن الصور التي نلقاها في شعر الهدايا قول الشاعر كشاجم يصف مِذبة أهداها:

كأنها في ظهرِ مجدولةٍ ذؤابة أنبوبها من ذهب(٤)

---

(١) علي صبح، **البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر**، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص١١.

(٢) عبد القادر الرباعي، **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ط٢، مكتبة الكتاني، إربد، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٣٨، ص٩٣.

(٣) جورج شكور، **كتاب البيان**، ص ٢٧.

(٤) كشاجم، **الديوان**، ص ٦٥.

فقد صور الشاعر المذبة وهي مجدولة بالذؤابة التي أنبوبها من ذهب، ومن الصور التي وردت عند كشاجم أيضاً شبه قلبه بالثلج أو الشيء المنصهر، فقال يمدح علي بن طارق ويهنئه بعيد الفطر ويستهديه نبيذاً:

أذابتْ قلبه الزفره وأدمَتْ خَدّه العَبْرَة[١]

وقد صور أيضاً القينة بالبدر في جمالها، فقال يمدح علي بن طارق ويهنئه بعيد الفطر ويستهديه نبيذاً:

فعندي قينةٌ كالبد ر قد جذَّرتُها بذْرَه[٢]

وصور كشاجم أيضاً الثلج بإنسان له أنامل ينسج بها ثوباً، فقال يستهدي من ابن فهد نبيذاً:

يا مَنْ أنامِلُه كالعارض الساري وفعلُه أبداً عارٌ من العارِ

أما ترى الثلجَ قد خاطتْ أناملُه ثوباً يُزرُّ على الدُّنيا بأزرارِ[٣]

فهذه صورة فنية تكاد تكون لوحة فنية متميزة لصورة بالثلج، وهو يغطي الأرض شيئاً فشيئاً بإنسان قد أخاط ثوباً، وصور الدنيا وهي مغطاة بالثلج بإنسان يرتدي ثوباً أبيض.

ومن الصور الفنية الأخرى قول السري الرفاء حينما قال لصديق وقد أهدى إليه ماء ورد فارسياً في قارورة بيضاء بقراطيس مذهبة:

بَعَثْتَ بها عَذْرَاء حَالية النَّحْرِ مُشهّرةَ الجِلْبَابِ جُوريَّةَ النجْرِ

وألْبَسَهَا وَشْياً تُزرُ جُيوبُه على النَّحْرِ مِنْها والذُّيُولُ علَى الخَصرِ[٤]

فقد شبه الشاعر الهدية بالفتاة التي تلبس الحلي في نحرها، وشبه قارورة ماء الورد، وقد ألبسها ثوباً بازار وفيه خيوط مدلاة بفتاة ترتدي الحرير حتى نحرها والأحزمة تحيط بخصرها.

وقد وصف السري الرفاء أيضاً القوارير التي قدمت بها ماء الورد وصفاً دقيقاً، وصورها بالفتاة الجميلة على سبيل الاستعارة، فقال لصديق له وقد أهدى إليه نعالاً وشراكاً وقوارير ماء ورد:

---

(١) كشاجم، **الديوان**، ص٢٠٣.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٢٠٦.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٢٣٠.

(٤) السري الرفاء، **الديوان**، ص٢٠٩.

ذِي شَمْسةٍ مَغْموسةٍ في النُّورِ   كَصَفْحَةِ الدِّينارِ ذِي السُّطُورِ

ومُخْطَفاتٍ كالعَـذَارَى الحُورِ   مُشَهَّراتُ القُمْصِ كالمَنْثُـورِ

كُلُّ فَتَاةٍ نَشَــأَتْ بِجُــورِ   تَخْتَالُ في دُوّاجَها القَصِيرِ(١)

وقد صور السري الرفاء النبيذ الذي يتبادله الندامى فيما بينهم بشمس قطعت إلى أجــزاء في أيديهم ، فقال في ذلك:

كأنّما الشَّمْسُ بينَهمْ سَقَطتْ   فَجِسْمُها في أكفِّهِمْ قِطَعُ(٢)

وصور أيضاً الشموع في لونها بالذهب، وشبه النار (بالروح) لأنها تجعل الشمعة تضئ، ولكن جمال التعبير يظهر عندما جعل النار تأكل الشموع كالسيّاف يقطع رأسها، لكنها لا تمــوت كالمتوقع، ولكن تحيا بالموت، فقد قال لصديق له وقد أهدى إليه قباب شمع في وقت ميلاده:

قِبَابَ شَمْعٍ يَتَحامَى الدُّجا   مَجْلِسُنَا عِنْدَ تَلالِيــها

كأنَّها أَغْصَانُ تِبْرٍ بَـدَتْ   زَهْرةُ نَارٍ في أَعَالِيــها

أرواحُها تأكُلُ أجْسَامَــها   عَمْداً وَتَفْنَى حِيْنَ تُغْنِيها

سَيَّافُها يَضْرِبُ أعْنَاقَــها   وهوَ بِذَاكَ الفِعْلَ يُحْيِيهَا(٣)

ومن الصور الفنية قول البحتري يستهدي ممطراً:

ألقى الخُطُوبَ فَتَنْثَني مَذْعُورَةً   مِثْلَ السَّوامِ مَوَائلاً من قَسْوَرَ(٤)

شبه البحتري قوته في مواجه الشدائد مثل قوائم الأسد الذي تخافه الإبل الراعية.

ومن الصور البلاغية القائمة على التشبيه قول الصنوبري يستهدي أبا العباس الرشيدي فصاً:

أَلَيْسَ الفَصُّ للخاتَـ   ـم مثْلَ التاجِ للرّأسِ(٥)

يريد بأن الفص يزين الخاتم كما يزين التاج الرأس.

---

(١) السري الرفاء، **الديوان**، ج٢، ص٢٧٦.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٣٧٠.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٧٥٩.

(٤) البحتري، **الديوان**، مجلد ٣، ص٨٩٢.

(٥) الصنوبري، **الديوان**، ص١٥٢.

وقول الصنوبري أيضاً:

توالى نظمُها فيكَ توالي ورَقِ الآسِ[١]

فشبه كثرة الأشعار وتواليها بورق الآس ونموه.

وقول الصنوبري يستهدي طاق آدم:

فخيرُ ما استُهْدِيَ ما لم يزلْ مطيَّة الموسرِ والمفلسِ[٢]

فشبه الحذاء بالمطية.

ومن الصور الفنية قول الشاعر أبي دلامة وقد رسم في قصيدته لوحة تصويرية للخوف فقال:

يا قَوْمُ إني رَأَيْتُ الفيلَ بَعْدكُمُ لا بَارَكَ اللهُ لِي في رُؤْيَةِ الفيلِ

أبْصَرْتُ قَصْراً له عَيْنٌ يُقَلِّبُها فَكِدْتُ أرْمي بسَلْحِي سَرَاوِيلِي[٣]

ربما استخدم الشاعر الفيل رمزاً للمهدي، لقوته وجبروته، فقد وصف الفيل وصفاً دقيقاً حتى إنه وصف حالة الرعب والخوف التي أثرت في نفسه من خلال النظرات المتلاحقة في عين الفيل وهو يحرك عينه يميناً ويساراً. ومن الصور الفنية قول الشاعر كشاجم حينما كتب إلى بعض القيان وأهدى إليها مسواكاً:

قد بعثناهُ لكي يُجلى بهِ واضحٌ كاللؤلؤ الرطبِ أغرّ[٤]

فقد شبه الأسنان باللؤلؤ من شدة بياضها.

وقد انتقل الشاعر العباسي إلى رسم صور فنية في النبيذ، والملاحظ كثرة الصور الفنية في النبيذ، ربما لكثرة انتشاره في ذلك العصر وشغف الشعراء به، ومن الصور الفنية تشبيه كشاجم النبيذ بالغيم الذي يفيض ويسقي الأرض:

غيمٌ مدامعُه تفيض وثيابه سودٌ وبيضٌ[٥]

---

(١) الصنوبري، **الديوان**، ص١٥٣.

(٢) **المصدر نفسه**، ص١٥٦.

(٣) أبو دلامة، **الديوان**، ص ١٠٨.

(٤) كشاجم، **الديوان**، ص٢٧١.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٣٠٦.

وقد صور ذكر كشاجم المرآة بصور مختلفة منها، فقد صور المهدى إليه بالمرآة وشبه المرآة بشمس الضحى، وشبه المرآة بالهالة التي تحيط بالبدر، ويظهر ذلك قوله يصف مرآة أهداها:

بمرآةٍ إلى مرآة تهادى الـ حُسن منها ومنه مرآتانِ

أخت شمس الضحاء في الشكل والإشراق غير الإعشاء للأجفانِ

فهي كالهالة المحيطة بالبد ر ولست مضين بعد ثماني[١]

ومن الصور أيضاً، ما ذكره في قوله الحلاج:

للناس حجٌ ولي حجٌ إلى سكني: تُهْدَى الأضاحي وأُهْدَي مَهْجَتي ودمي[٢]

فقد صور نفسه حاجاً وصوّر محبوبته بمكان الحج.

وقد عرض كشاجم أيضاً بعض الصور الفنية في شعره، فقال يستهدي بركاراً:

أشبهُ شيئين في اشتباكهما بصَاحبٍ ما يَمَلُّ مصحوباً

أوثِق مِسْمَارَهُ وغُيِّبَ عن نواظِر الناقدين تغييبا

فعَيْنٌ مَنْ يَجْتَلِيه تحْسَبُه في قالبِ الاعتدالِ مصبوبا[٣]

فقد صور اشتباك جزأي البركار دائماً بصاحبين متلازمين لا يفترقان.

وقال أيضاً يستهدي بركاراً:

لو عينُ (اقليدس) به بَصُرت خرّ له بالسُّجودِ مكبوبا[٤]

صور إقليدس حين يرى هذا البركار فيذعن ويعجب بالمسلم حين يسجد لله.

---

(١) كشاجم، **الديوان**، ص٤٦٩.

(٢) الحلاج، **الديوان**، ص١٢٠.

(٣) كشاجم، **الديوان**، ص ٣٨.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ٣٩.

ونجد في شعر الهدايا قدراً كافياً من الصور الفنية القائمة على الاستعارة، فالاستعارة في اللغة من العارية وهي نقل الشيء من شخص إلى شخص، وفيها معنى الرفع والتحويل، يقال استعارة فلان من كنانته سهماً، وإذا رفعه وحوله منها إلى يده، ومع كثرة التعريفات التي قيلت في الاستعارة إلا أنها تلتقي جميعاً حول معنى واحد: وهو أن الاستعارة نقل اللفظ من معناه الذي عرف به ووضع له إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل(١).

ومن الأمثلة على ذلك قول الصنوبري في هدية ورد:

ظلَّ لديه الزهرُ كالأسيرِ

أما رأيتَ ذِلَّةَ المنثورِ

وفَجْعَةَ الأتْرُاج بالسرورِ

وخَجْلَةَ التّفاحِ في الحضورِ(٢)

فقد أكثر الشاعر من استخدام الاستعارات المكنية (الزهرة، المنثور، الاتراج، التفاح) فهذه القصيدة وصف لحديقة ووصف للزهر الذي فيها، وقد وصلت إلى الشاعر منه باقة هدية، وصور ما تتركه هذه الزهور من أثر في النفس، ولعله أراد بذلك غزلاً بفتاة.

وقال الصنوبري أيضاً لرجل أهدى إليه نبيذاً واعتذر إليه:

زادني حُسْنُ ذلكَ الاعتذارِ طَرَباً عند شُرْبِ تلك العُقَارِ(٣)

وهذه استعارة تصريحية فقد شبه النبيذ بالدواء.

وقال الصنوبري أيضاً يستهدي نبيذاً:

وعينُ السماء كعين المشوقِ إن يَدْعُها شوقُها تَذرفِ(٤)

فقد شبه السماء بإنسان له عين، فالعلاقة مجازية.

ومن الأمثلة على الاستعارة قول الصنوبري يستهدي مسكاً:

---

(١) فضل حسن عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٥٧.

(٢) الصنوبري، **الديوان**، ص٢٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٧٥.

(٤) **المصدر نفسه**، ص٣٢٥.

اسلم أبا القاسم المقســوم مذهبــه   بين اللهى والنهى أقســام ترتيــبِ

يا ابن المآثر يا ترب البصائر يــا   بدر المنابــر يا شمــس المحاريبِ

الطّيبُ يُهْدَى، وتُستَهدى طرائِفُــهُ   وَأَشْرَفُ النَّاسِ يُهدي أشرَفَ الطّيبِ

وَالمِسْكُ أَشْبَهُ شيءٍ بالشَّبَابِ فَهَبْ   بَعضَ الشَّبَابِ لِبَعْضِ المَعشرِ الشّيبِ

ما زلتَ ذا أدب في الجو منتســب   أكرم بذي أدب من غيــرَ تأديــبِ[١]

استخدم الشاعر الاستعارة أربع مرات لبيان مكانة المُستهدى الاجتماعية والدينية، فشبه المسك بالشباب، لأن الشباب أكثر اهتماماً بالمسك. وقال الصنوبري حينما قال طاهر بن محمد الهاشمي الحلبي شمعاً وكتب معه:

وصفرٍ من بناتِ النحل تكسى   بواطنــها، وأظهــرها عَــوارِ

عذارى يُفْتَضَضْنَ من الأعالي   إذا افتضتْ من السفل الجواري

وليست تنتجُ الأضواء حتــى   تُلَقَّــح في ذوائبــها بنــــارِ[٢]

فقد شبه بنات النحل بإنسان له بطن وظهر يكسى، وشبه الشمع بالعذارى، وشبه الفتيل بالذوائب.

ومن الأمثلة على الاستعارة قول أبي تمام في مدح الحسن بن وهب، وذكره فيها بغلام أهداه الحسن إلى الشاعر وقد استغرق المدح واحداً وعشرين بيتاً من القصيدة حتى وصل الشاعر إلى التذكير بالهدية. وهذه الأبيات تبرز فيها خصلة من أظهر خصال الشاعر وهي الثقافة الواسعة. ثم ينتقل الشاعر إلى ذكر صفات الهدية ونعت هذا الغلام بصفات الجمال، ولا غرابة في ذلك، فالشاعر عاش في عصر كان من سماته البارزة ظاهرة الغلمان والمخنثين الذين يعاملون كالجواري الحسان، فقد شبه الغلام بالغزال في ضعيف القوائم وانغماسه في النعمة على سبيل الاستعارة المكنية، فهو ناعم البنان ذو لسان أعجمي لكن وجهه جميل مُعربُ حتى إنه إذا صادفت عيناه عيني ناظره أحدث في قلب من يراه جرحاً. وذلك بسبب شدة حمرة خديه التي ذكرت الشاعر بحمرة الخمر، وقد جاءته حمرة الخد من شدة الخجل عندما ينظره الناظرون يقول:

---

(١) الصنوبري، **الديوان**، ص ٣٩٨.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٤٢٥– ٤٢٦.

قَدْ جاءنا الرَّشأُ الذي أهْدَيْتَــه خَرِقاً ولَوْ شِئْنَا لقُلْنَا المَــرْكَبُ

لَدْنُ البَنانِ لَهُ لِسانٌ أعْجَـــمٌ خُرْسٌ مَعانيه ووَجْــه مُعْــربُ

يَرْنُو فَيَثْلَمُ في القُلوب بطَرْفِه وَيعنُّ للنَّظر الحَرُونِ فَيَصحَبُ

قد صَرّفَ الرَّانُونُ خمرةَ خدِّه وأظنها بالرِّيق منْهُ سَتُقْطَــبُ(١)

ومن الأمثلة على الاستعارة قول ابن الرومي يستهدي:

لن يرهبَ العذلَ ولا العواذلا

في أن يُنيل التــُّحف القلائلا

مَنْ قد أنال النعـــمَ الجلائلا

وكان بالعُرْف سحاباً هاطلا(٢)

وحتى في البيت الذي يشبه فيه الشاعر المخاطب بأنه سحاب هاطل على سبيل الاستعارة المكنية لا يقصد منه المدح المباشر، بل حض ذلك الشخص على إدامة العطاء وإتباع الفــرائض النوافل، وكأن إعطاءه للشاعر فرض عليه، ويدعم هذا التوجه موسيقا الشــعر؛ لأنهــا جــاءت مناسبة للعطاء، وجاءت على بحر الرجز الغنائي الذي يكشف عن استخدام الشــاعر التلهــي لا المدح الجاد.

وينتقل بشار بن برد إلى ذكر بعض صفات محبوبته، فذكر بعض صفاتها متغزلاً، فهــي نؤوم الضحى تشبه في جمالها البدر، تلبس القرقر، وهو ثوب موشى جميل المنظر، ثــم يشــبه عينيها بأنها ساقٍ يسقى الخمر على سبيل الاستعارة التصريحية، وإن لم يشرب الخمــر بالشــكل الحسي المباشر، يقول:

ومِكْسَالُ الضُّحى كالرِّيـــ ـــم لاَ بَلْ تُشْبَــه البَدْرَا

إذا واجَهْتَــها يَوْمـــاً تَجُرُ القَـــرْقَرَ الحَبْرَا

سَقَتْكَ الْخَمْــرَ عيناها وإنْ لَمْ تَشْرب الخَمْرا(٣)

---

(١) أبو تمام، **الديوان**، ج١، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) ابن الرومي، **الديوان**، ج٥، ص١٩٥٦.

(٣) بشار بن برد، **الديوان**، ج٣، ص ٢١٥.

ومن الأمثلة على الاستعارة أيضاً الوأواء الدمشقي قصيدة في موضوع الهدايا يشكر فيها صديقاً له أهداه بغلة، ومن أبياتها يقول:

أهدى لها الروضُ من أوصافِهِ شِيةً خَضْراءَ ناضِرَةً إنْ زَالَ نَاضِرُه[١]

فقد شبه الروض عندما أهداها شيئاً من ألوانه بالإنسان الذي يهدي على سبيل الاستعارة المكنية، ذلك أن لفظة (شية) تعني الألوان. قال تعالى: ﴿قال إنّه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها﴾[٢].

وقد وردت إلى أبي الطيب هدية جامة فيها حلوى فردها، وكتب في الرد عليها أبياتاً معرضاً فيها بالمهدي ورافضاً أن يكون صاحب معروف عليه وزائداً عليه في الكرم فقال له: إن كنت أرسلتها مملؤة كرماً فأنا أردها إليك مملوءة حمداً، وهنا أجرى الشاعر الحمد والكرم في الآنية على سبيل الاستعارة التصريحية:

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بزائِدي وُدّاً بَلَغَ المدىَ وتجاوَزَ الحَدّا

أرْسَلْتَها مملوءةً كَرَماً فرددتُها مملوءةً حَمَدا[٣]

وقال المتنبي واصفاً هدية جاءت إليه وهي ديباج ورمح وفرس مع مهرها، واصفاً حسن هذه الملابس التي من صنع صانعة رومية حاذقة:

ثيابُ كريم ما يَصُونُ حِسانَها إذا نُشِرتْ كانَ الهِباتُ صِوانَها

تُرِينا صَناعُ الرُّوم فيها مُلُوكَها وتَجلُو عَلَيْنا نَفْسَها وقِيانَها[٤]

ويتابع وصف هذه الملابس ومدى مهارة صانعها واصفاً إياها بأنها لشدة دقتها في رسمها قد أتقنت حياكة كل شيء فيها، إلا أنها لم تستطع أن تنطق الحيوانات؛ لأن ذلك خارج عن إرادتها.

ولمَ يكفِها تَصْويرُها الخَيْلَ وَحْدَها فَصوّرتِ الأشياءَ إلاَّ زَمَانَها

---

(١) الوأواء الدمشقي، **الديوان**، ص ٣٢٢.

(٢) **سورة البقرة**، آية ٧١.

(٣) المتنبي، **الديوان**، ص ٤١.

(٤) **المصدر نفسه**، ص٣٦٠-٣٦١.

وما ادَّخرتها قُـدْرَةً في مُصـوِّرٍ سوى أنَّها ما أنطقت حَيَوانها[١]

وقد نجد في شعر الهدايا قدراً كافياً من الصور الفنية القائمة على التشبيه، ومن الأمثلة على ذلك قول الصنوبري يستهدي زيتاً:

بضاعتي كاسدةٌ عندهم كسادَ ماءٍ عند مخنوقِ[٢]

شبه منزلة شعره عند غير المستهدي وشعره عند المهدى أشبه بكساد الماء عند المخنوق، ومن الأمثلة كذلك أنه حينما خاطب المتنبي شخصاً آخر من سجنه وكان ذاك الشخص قد أهداه هدية وأبو الطيب يعلم أنه ثلبه عند الوالي فأخبره أنه قبل الهدية مضطراً مثل الأسد الذي يقبل أكل الجيف لشدة الجوع، وهذا تشبيه ضمني، فقد شبه قبوله لهدية على مضض بالأسد الذي يأكل الجيف مضطراً:

أهوِنْ بُطولِ الثِواءِ والتَلفِ والسِّجن والقيدِ يا أبا دُلَفِ

غَيْرَ اختيارٍ قَبِلتُ برَّك بي والجوعُ يُرْضِي الأسُوْدَ بالجِيفِ[٣]

ومن التشبيه قول أبي نواس حينما أهدى خاتماً لمحبوبته الجارية. وكان هذا الخاتم رمزاً لحبه، ثم إنه تحول إلى شعور بالألم من قبل الشاعر، وذلك أنه أهداه إياها رمزاً لتعلقهما ببعضهما. وهو هنا يشكو مصابه إلى صديقه أبي جعفر، ويشبه الجارية بالقمر المزهر، هذه الجارية التي تعلق بها وتعلقت به منذ كانا طفلين، فأهداها الخاتم دلالة على المحبة، فأصبح رمزاً للارتباط الروحي بينهما يقول أبو نواس في ذلك:

فَدَتْكَ نَفْسِي يا أبا جعفرٍ جاريةٌ كالقَمَرِ الأزْهرِ

تعلَّقَني وتعلَّقتُها طِفْلَينِ في المَهْدِ إلى المَحْشَرِ

كنْتُ وكانَتْ تتهادى الهوى بخاتَمينَا غَيْرَ مَسْتنكرِ

حَبَسْتَ لي الخاتمَ مِنّ وَقَدْ سَلَبتني إيَّاهُ مُذْ أَشْهُرِ[٤]

---

(١) المتنبي، **الديوان**، ص ٣٦١.

(٢) الصنوبري، **الديوان**، ص ٣٥٩.

(٣) المتنبي، **الديوان**، ص ٦٩.

(٤) أبو نواس، **الديوان**، ص ٢٧٦.

ومن الملاحظ مما تقدم أن شعر الهدايا اعتمد على التشبيه والاستعارة، وقد أبدع الشعراء في التصوير، ويعود ذلك إلى أن العصر التقت فيه الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة الأجنبية من يونانية وفارسية وهندية، فأثرى ذلك الخيال الشعري، حتى إن كثيراً من الشعراء مال إلى استعمال التجسيم والتشخيص في صورهم، فألبسوا الجمال حياة، كذلك لم يقتصر الإيقاع على الألفاظ والتراكيب، بل شمل المعاني والصور.

أما من مصادر التصوير بطرائقه، فقد كانت الطبيعة بجمالها مصدراً، كما كان التحضر بعناصره منبعاً، وقد تفنن الشاعر بصياغة هذه الصور، مكثراً في التشبيه الذي يجعل المشبه يضاهي ويحاكي ثم يفوق ويعتلي، ثم ينفرد ويتوحد، وكأن الأرض خلت من شبيه له، إن هذه الصور لا تحاكى علماً، أو تؤكد معلومة، أو تؤصل فائدة، أو ترسخ معرفة، بل هي نابعة من خيال شاعر مصور فنان مبدع، ساعدت قدرته في التصوير على التجميل وعلى التشبيه، وعلى الاستعلاء والحط من القدر أحياناً، متفنناً في بناء الصورة، مجدداً في معادلاتها، محققاً أحياناً عناصر الموازنة والازدواج بين شطري التصوير، مؤكداً التناسق والتنغم، ليحقق متعة تؤصل مقدرته الفنية في التصوير[١].

الألوان:

وظف الشعراء الألوان في أشعارهم عند تقديم الهدايا وهو ما يعكس أثراً في نفسية الشاعر، وربما ترك ذلك دلالة عميقة عند الشعراء، فهذا الصنوبري يقول في إهداء الخوخ الأقرع:

صفراءُ حمراءُ مستفيدٌ بهجتها التبرُ والعقيقُ[٢]

فقد ذكر عنصر اللون (صفراء، حمراء) فهذه الألوان ربما تعكس أثراً نفسياً عند الشاعر، وقال كشاجم:

مدامٌ نورُها نورا ن بالحُمرة والصُفرة،[٣]

فذكر عنصر اللون بين كلمتي (الحمرة، والصفرة).

---

(١) أبو زيد، علي إبراهيم، **فنيات التصوير في شعر الصنوبري**، دار المعارف، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١١١-١١٢.

(٢) الصنوبري، **الديوان**، ص ٣٦٠.

(٣) كشاجم، **الديوان**، ص ٢٠٦.

وقال أيضاً:

غيم مدامِعُه تفيــــض   وثيابـــه ســـودٌ وبيــــضُ

فامُنن بها حمراء بحـــ   ـــسُد مِسْكها الطيبُ الرضيض[١]..[٢]

فقد استخدم أيضاً عنصر اللون (في كلمتي سود وبيض).

إنّ الألوان التي ذكرها الصنوبري وذكرها كشاجم لها دلالة بلاغية، وقد تعكس الألـوان أثراً نفسياً على الهدية وخاصة عند اختيارها، فالهدية تظهر قيمتها من خـلال حجمهـا أحيانـاً وشكلها ولونها، فاللون إذن مرتبط بقيمة الهدية، وعلو شأنها وعلو شأن المُهدى والمهـدي إليـه، ويظهر اللون مدى العلاقة الحميمة والاتصال بين المهدى والمهدى إليه، وقـد تظهـر الألـوان التفاؤل والأمل في عمق المحبة التي تتركها الهدية، فاللون يعطي جمالاً، فهـو يـزين الهديـة، فاختيار اللون للهدية يكون حسب قيمتها ومكانة المهدى إليه.

وقال البحتري أيضاً في قصيدة وجهها إلى الحسين بن سعد شاكراً، مادحـاً إيـاه علـى إهدائه نبيذاً له، وقد بدأ القصيدة بداية تقليدية شكا فيها من خيانة الخل ووجع الحب، ثـم عـرّج على وصف ليلة الشرب فقال:

حَسُنَتْ لَيْلَة الثلاثاء وابيضَّــ   ــتْ بمسودِّها يد الدهر عندي[٣]

ويلاحظ تفنن الشاعر في البيت في إبراز عنصر اللون، فقد كان لون الخمر المتداخل مع سواد الليل سبباً في كون هذا معروفاً من المهدي إلى الشاعر عبر عنه الشاعر بمجـاز علاقتـه السببية وهو اليد البيضاء، ثم شبه الشاعر الخمر في تلك الليلة بالمرأة الشقراء التي طرقت بابـه ليلاً على سبيل الاستعارة المكنية.

ويلاحظ كذلك تداخل عنصر الألوان في هذه العبارات الخبرية مع موسيقيا بحر الخفيـف الأمر الذي يولد السرور والانبساط في النفس.

وقال البحتري أيضاً:

لَبَستْ زُرْقَةَ الزُجاج فجاءت   ذَهَباً يَستَنِيرُ في لاَزورْدِ[٤]

---

(١) الرضيض: المدقوق والمجروش. **الوسيط**.

(٢) كشاجم، **الديوان**، ص ٣٠٦.

(٣) البحتري، **الديوان**، مجلد ١، ص ٢٥٩.

(٤) **المصدر نفسه**، مجلد ١، ص ٥٥٩.

ويتابع الشاعر هنا تفننه في تبيان عنصر اللون بوصفه عنصراً فنياً جميلاً مدخلاً الأزرق عندما وصف الخمر وقد لبست لون الزجاج التي سكبت فيها كأنها ذهب أصفر في لازورد وهو معدن يتخذ للحلي، أجوده الصافي الشفاف الأزرق الضارب إلى حمرة وخضرة، فعنصر اللون من العناصر الفنية التي استخدمها الشاعر بإتقان في هذه الأبيات.

ومن الأمثلة على عنصر اللون قول أبي الفرج الوأواء من قصيدة يشكر بعض أصحابه وقد أهدى له بغلة:

أهْدى لها الروّضُ مِنْ أوصافِهِ شيةً خَضْراءَ ناضِرَةً إن زَالَ نَاضِرُهُ[١]

فقد ذكر اللون الأخضر.

ومن الأمثلة أيضاً قول ابن الرمي يمدح "وهب بن جامع الصيدناني"، ويستهديه بنفسجاً:

ولا أيا ديهِ بمقْفُوةٍ بَيْضَاؤُهُ منه بسودائه[٢]

فقد ذكر اللون الأبيض والأسود.

خامسا: الأوزان والقوافي والموسيقا

اتخذت القصيدة القديمة نظاماً ثابتاً في تنظيمها الموسيقي، إذ لا بد أن تبنى القصيدة على نظم موسيقي مطرد، هو البحر، تشترك فيه جميع أبياتها من بدايتها إلى نهايتها، وهذا البحر يبقى ثابتاً في القصيدة الواحدة، وإن اختلفت موضوعاتها، ولا بد أيضاً أن تنتهي كل وحدة موسيقية بقافية تشترك بها جميع الأبيات لتكسبها توازناً آخر في نظمها[٣].

فإن صياغة الشعر العربي منذ القديم كانت في كلام ذي توقيع موسيقي، ووحدة في النظم تشد من أزر المعنى، وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه ومنشديه، وأن هذه الصياغة الموسيقية تمثلت في بحور الشعر العربي وقوافيه[٤].

---

(١) الوأواء الدمشقي، **الديوان**، ص ٣٢٢.

(٢) ابن الرومي، **الديوان**، ج١، ص ١٢٣.

(٣) فرحان علي القضاة، القيمة الموسيقية للتكرار في شعر الصاحب بن عباد، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، عدد ٥٨ سنة ٢٤ شوال ١٤٢١هـ/ كانون الثاني- حزيران ٢٠٠٠، ص ١٢٢.

(٤) محمد فاخوري، **موسيقا الشعر العربي**، منشورات جامعة حلب كلية الآداب، ١٩٨٦-١٩٨٧م/ ١٤٠٦-١٤٠٧هـ، ص١٦٥.

وهكذا يتبين لنا أن الوزن والقافية ركنان أساسيان للشعر، فلا يسمى الكلام الذي يخلو منهما شعراً. فالوزن يوجد في نفس القارئ أو السامع اللذة في التذوق، مما يزيد أثر الشعر في النفس، فينال به الشاعر الإعجاب والتقدير(١).

وأما القافية فهي عظيمة الأهمية أيضاً، فهي تعد ضابطاً لأنغام البيت الشعري، وتمثل قرار البيت أو نهاية بموسيقاه التي لا تكمّل دونها، فتكرارها يزيد في وحدة النغم الموسيقي، كما أنها تعد علاقة بارزة موضحة نهاية البيت الشعري، إضافة إلى ما تشمل عليه من المعاني والدلالات(٢).

وقد حظيت مسألة اختيار الوزن الشعري (البحر) الشاعر، وارتباط ذلك بالموضوع الذي تطرقه القصيدة باهتمام النقاد والباحثين قديماً وحديثاً، إذ يرى بعضهم وجود صلة بين الوزن والموضوع، مستنداً إلى وجود طابع نفسي لكل وزن أو مجموعة من الأوزان، فبعض الأوزان يتفق وحالة الحزن وبعضها يتفق وحالة البهجة، وما إلى ذلك من أحوال النفس في حين ذهب آخرون إلى أن العاطفة هي التي تتحكم في اختيار الشاعر للوزن والذي أحيل إليه هو أن الشاعر حين يريد أن يقول قصيدة فإنه لا يعين البحر الذي يعني بإنشاء القصيدة عليه ولا القافية، وإنما يترك أفاعيل نفسه تحدد ذلك المسار، فيخرج شعره على الوزن الذي يتوافق وتلك الأفاعيل، ولقد عني شعراء العصر العباسي الذين نظموا أشعارهم في الهدايا بالنظم على معظم البحور الشعرية، فلم يقصروا منهم على بحر واحد أو أكثر، والجدول الآتي يبين استخدامهم للبحور الشعرية:

الرقم	اسم البحر	عدد مرات الاستعمال	عدد الأبيات
١-	الكامل	٨	٦٧
٢-	السريع	٧	٥٧
٣-	الخفيف	٦	٧٣
٤-	المتقارب	٦	٤٩
٥-	المنسرح	٥	٣٧
٦-	البسيط	٥	٤٠
٧-	الطويل	٤	٤٨

(١) فرحان علي القضاة، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، ص ١٢٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٢٢.

٨-	الرجز	٣	٤١
٩-	مجزوء الرجل	٣	٣٨
١٠-	مجزوء الوافر	٣	١٥
١١-	الوافر	٢	٣١
١٢-	مجزوء الرجز	٢	٤
١٣-	مجزوء المتقارب	٢	٦
١٤-	مجزوء السريع	١	١٣
١٥-	مجزوء الكامل	١	١٨
١٦-	مخلع البسيط	١	٦
١٧-	المجتث	١	٣
١٨-	الهزج	١	٨

إن المُنعم نظرة في (الإحصائية) السابقة يجد جملة من الملاحظات أهمها:

أولاً: أن شعر الهدايا جاء على معظم البحور الشعرية المعروفة، فقد استخدموا منها أحد عشر بحراً من الستة عشر بحراً التي استقر عليها اتفاق علماء العروض.

ثانياً: أن البحر الكامل كان حاضراً لدى أكثر الشعراء، وأنه أكثر البحور استخداماً، كما أنه استأثر بأكبر عدد من الأبيات؛ ويعود ذلك أن البحر الكامل أكثر البحور مناسبة لشعر الهدايا؛ ولأن البحر الكامل من أكثر البحور الذي تحدث على تفعيلته الرئيسة تغيرات حيث تأتي على صور كثيرة، وربما بسبب تكرار تفعيلته الرئيسة ست مرات مما يحدث موسيقى جميلة.

ثالثاً: حظى البحر الكامل من حيث عدد مرات الاستخدام (٨) بالحصة الأكبر، أما من حيث عدد الأبيات فقد حظي البحر الخفيف بالحصة الأكبر وربما لسهولته ورقة الألفاظ التي يتطلبها.

رابعاً: اعتمد الشعراء في شعر الهدايا على البحور الشعرية التامة، كما استخدموا بعض البحور المجزوءه، مثل: البسيط، والسريع، والمتقارب، والوافر.

خامساً: لم يعن الشعراء في شعر الهدايا بالنظم على بعض البحور مثل المضارع والمقتضب والمتدارك، كما أن اهتمامهم بالهزج والمديد كان قليلاً. إذا لم يستخدم أي منهما سوى مرة فقط.

ولعل السبب في هجر الشعراء لهذه البحور عدم شيوعها في أشعار المتقدمين عموماً، ولذلك فإن الناظر لا يكاد يجد مثل هذه الأوزان في أشعارهم.

ويقول إبراهيم أنيس عند حديثه عن المضارع والمقتضب: "إنك لو بحثت من أشعار عربية عن أمثلة لهذين الوزنين لا تكاد وتظفر بأمثلة صحيحة النسبة"(١).

أما حازم القرطاجني فكان قد ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه إبراهيم أنيس، وذلك عندما حاول أن يقدم تعليلاً (فنياً) لمسألة ندرة الشعر العربي على هذه الأوزان فقال: "أما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة، أما المضارع ففيه كل قبيحة، وينبغي ألا يعد من أوزان العرب، وإنما وضع قياساً، وهو قياس فاسد لأنه من الوضع المتنافر"(٢).

القافية:

يقول ابن عبد ربه: القافية حرف الروي الذي يبنى عليه الشعر، ولا بد من تكريره فيكون في كل بيت وتأكيداً لصحة هذا الرأي، قلنا همزية البوصيري، لامية الشنفرى، سينية شوقي(٣).

ومن تعريفات المحدثين للقافية: القافية عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر، أو الأبيات من القصيدة، وبهذا تكون جزءاً هاماً من موسيقى الشعر، فالقافية إذن بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها(٤).

ويرى عبد العزيز عتيق أن القافية هي المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت(٥).

فالقافية إذن بمنزلة الفواصل الموسيقية، فهي قمة الارتفاع الصوتي في البيت الشعري، فهي لا تمثل خاتمة البيت كما يبدو ذلك في الظاهر، وإنما تمثل همزة الوصل بين البيتين، ومن الملاحظ في شعر الهدايا نجد أن الشعراء قد اهتموا بالقوافي في أشعارهم واعتنوا باختيارها عناية كبيرة، والجدول الآتي يبين استخدام القافية وعدد الأبيات التي نظمها شعراء الهدايا في

---

(١) إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر العربي**، ط٦، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٩١.

(٢) حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، **منهاج البلغاء سراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجه، تونس، ١٩٦٦م، ص٢٨٦.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٦، ص٢٩٣.

(٤) محمد أبو الفتوح شريف، **أوزان الشعر وقوافيه**، مكتبة الشباب، ص١٨١. وأيضاً ينظر: بدوي المختون، **علم العروض والقافية**، مكتبة الشباب، ص٩٢.

(٥) عبد العزيز عتيق، **علم العروض والقافية**، دار النهضة العربية، ص١٣٤.

العصر العباسي ضمن نطاق دراستنا، على كل حرف من حروف المعجم:

القافية	عدد الاستعمال	عدد الأبيات
اللام	٣٠	٢٣٨
الراء	٢٠	٣٥٥
النون	١٨	١٣٤
الباء	١٠	١٣٦
الدال	١٠	١٠٦
الفاء	٩	١١٩
القاف	٩	١٠٨
الميم	٩	٨٨
الياء	٨	٥٤
الهمزة	٧	٣٩
الكاف	٦	٣١
الحاء	٦	٢٦
الجيم	٤	١٣
التاء	٤	١٠
العين	٣	٩
السين	٢	١٨
الضاد	٢	١٢
الصاد	٢	٨
الهاء	٢	٤
الشين	١	٢

يتبين من الجدول السابق ما يأتي:

أولاً: استخدم الشعراء في شعر الهدايا عشرين حرفاً من حروف الهجاء، هذا مما يترجم عن اهتمامهم بالنظم على معظم حروف المعجم العربي.

ثانياً: أكثر الشعراء من نظم الشعر على القوافي الآتية (اللام، والراء، والنون، والباء، والدال، والفاء، والقاف، والميم).

ثالثاً: ابتعد الشعراء عن النظم على الحروف التي تشكل القوافي النادرة كالثاء، والزاي، والواو والطاء، أعتقد أن سبب ذلك كون هذه الحروف لا تناسب شعر الهدايا ولا تناسب موضوعاته، بسبب عدم شيوعها

رابعاً: احتل حرف اللام مكان الصدارة بين الحروف من حيث عدد مرات الاستخدام وعدد الأبيات إذ استخدم (٣٠) مرة وعدد الأبيات (٢٣٨) بيتاً؛ وربما سبب ذلك لسهولة حرف اللام، ومناسبته لشعر الهدايا وموضوعاته.

لقد تبين من دراسة جدول القوافي أن صلة توجد بين القافية والموضوع المطروح في الهدايا والمناسبة، وقد تبين أن الشعراء قد نوّعوا في قوافيهم، فلم يقصروها على حروف معينة، وإنما جاءت شاملة لأكثر من ثلاثة أرباع الحروف العربية، كما يبين ميلهم الشديد إلى استخدام القافية المطلقة[١] التي تشكل نسبة ٩٨% من شعرهم، وهذه القافية تمتاز بالتناغم الصوتي والإيقاع الموسيقي، وهي "أوضح في السمع وأشد أسراً للأذن؛ لأن الروي فيها يعتمد على حركة بعده، فقد تطيل في الإنشاد، وتشبه حينئذ حرف مد"[٢].

فقد استخدم الصنوبري في قصيدته حرف الباء في روى القصيدة يتناسب مع موضوع الاستهداء الذي يحتاج إلى مد الكلام للتأكيد على مطلب المستهدي يقول:

اسلم أبا القاسم المقسوم مذهبه بين اللهى والنهى أقسام ترتيبِ

يا ابن المآثر يا ترب البصائر يا بدر المناير يا شمس المحاريب

الطّيبُ يُهْدَى، وتُستَهْدَى طرائفُهُ وَأَشْرَفُ النَّاسِ يُهدي أَشْرَفَ الطِّيبِ

وَالمِسْكُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بالشَّبابِ، فَهَبْ بعضَ الشَّبابِ لِبَعْضِ المَعشرِ الشّيبِ[٣]

وقال أبو تمام يمدح ويستهدي مركوباً:

قُلْ للأمير أبي سَعيدٍ ذى النَّدى والمَجْدِ زَادَ اللهُ في إكرامِهِ

يا واهَبَ العِيسِ الهَموسُ برحلِها والأعوجيّ بسَرْجِهِ ولِجامِهِ[٤]

---

(١) القافية المطلقة: هي التي يكون فيها حرف الروى متحركاً.

(٢) إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر العربي**، ص ٢٨١.

(٣) الصنوبري، **الديوان**، ص ٣٩٨.

(٤) أبو تمام، **الديوان**، ص ٢٤٥.

التزم الشاعر باللزوميات وهي تساوي الحروف التي قبل حرف الروي مثل (إكرامه، ولجامه) وقد استخدم حرف السين مما يعطي نغمة موسيقية خاصة واستخدم قافية الميم ولذا جاءت مناسبة لموضوع القصيدة.

وقد قال الصنوبري في قصيدته ، وأكثر حرف السين، يستهدي أبا العباس الرشيدي فصاً:

أبا العباسِ يا شمسَ الـ ـعُلا من آلِ عبّاسِ

أيا ابن الخلفاءِ الكا شفينَ البُؤسَ بالباسِ

ويا بانيَ أساسٍ عُلاً من فوقِ أساسِ

ومن إنسانُ عيني منْـ ـهُ فِي أكملِ إيناسِ[١]

استخدم حرف السين بكثرة جاء متسق مع القافية، وأضفى عليها جرساً موسيقياً لجلب انتباه المستهدي خاصة أن كنية المستهدي تنتهي بالسين (أبو العباس).

الموسيقا:

نظراً لأهمية الموسيقى في الشعر، فقد حرص الشعراء على توفيرها في أشعارهم، ولجأوا من أجل تحقيق ذلك إلى عدة وسائل، منها التكرار، مثل تكرار الحروف، وتكرار المفردات، وتكرار بعض متون البديع التي تعتمد على التكرار كالجناس وغيره مما أوجد في أشعاره الإيقاع الجميل، والأنغام المعبرة[٢]، فإن الموسيقى الشعرية تتمثل في جرس الألفاظ وتتابع مقاطع الكلام وتواليها على مسافات زمنية متساوية، وفق نظام خاص وفق معين، مضافاً إلى ذلك تردد القوافي وتكرارها مما يكسب النص إيقاعاً ذا أثر عظيم في النفس[٣].

ومما يوضح ذلك الشاعر دعبل الذي يعدّه أحد الأشخاص أن يهديه نعلاً ثم يبطئ في إنجاز الوعد فيقول بيتين من الشعر في هذا الغرض من بحر الوافر الذي قد توحي موسيقاه بالحزن حيث يقول معاتباً:

وَعَدْتَ النَّعلَ ثُمَّ صَدَفْتَ عَنْها كأنَّكَ تَشْتَهِي شَتْماً وقَذْفاً

---

(١) الصنوبري، **الديوان**، ص ١٥٣.

(٢) فرحان علي القضاة، القيمة الموسيقية للتكرار في شعر الصاحب بن عباد، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، عدد ٦٨ سنة ٢٤ شوال ١٤٢٠هـ ربيع الأول ١٤٢١هـ كانون الثاني/ حزيران ٢٠٠٠م، ص١١٩-٢٠٠.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ص١٢٢-١٢٣.

فإنْ لَمْ تَهْدِ لِي نَعْلاً فكُنَّها إذا أَعْجَمَت بَعْدَ النُّونِ حَرْفَا[١]

أما محمد بن هاشم الخالدي، فإنه يقول مقطوعة شعرية كاملة في وصف مروحة أهداها إلى عمرو بن اصطفن، ثم يذكر بعد ذلك منافعها فهي ترد حر شهور (التشارين) وتجعل ستراً لصاحبها عن الناس إن أراد أن يستتر عنهم، وكذلك، فهي تصلح أن تكون آلة موسيقية تطرب صاحبها أو لمداعبة الحبيب، ضربه بها أو تستخدم في عروض الكلام للإيماء بها يقول:

تَـرُدُّ التشاريـنَ فـي حُمَّـةٍ مِـنَ القَيْـظ نِيـرانُها تَلْتَـهَبْ

وَتَجْعَـلُ سِتْـراً إذا مـا أردْ تَ سِرًّاً إلى صاحبٍ في سبـبْ

وإنْ شئْت كانت قضيبَ الأقاحِ فأدَّتْ إِلَيْـكَ فُنُـونَ الطَّـربْ

وتصلحُ للضَّرب ضَرْب الدَّلالِ دلالِ الحبيـبِ، إذا ما عتـبْ

وتوحي بها في عُرُوض الكلامِ إذا ما احتبستَ لنثر الخُطَـبْ[٢]

وقد يظهر بعض مظاهر الموسيقى الداخلية: التكرار، وأبرز صورة تكرار القافية كما هو واضح التي يلزم بها الشاعر في جميع أبيات القصيدة، ويعمل التكرار على توضيح الفكرة وترسيخها، وقد يلجأ الشاعر إلى تكرار حرف أو كلمة أو جملة، أو تكرار حركات يتخيرها تخيراً بقصد إحداث أثر موسيقي جلي في القصيدة أو في أبيات منها.

ومن مظاهر الموسيقى الشعرية الداخلية التدوير، وهو اتصال شطري البيت واشتراكهما في كلمة واحدة تنقسم بين الشطرين، ونجد ذلك في قول الشاعر الصنوبري:

فشربنا تذكـارَ وجهكَ إذا كا نَ تمامُ السُّرورِ في التّذكارِ

ورأينـاكَ بالقلوب أبـا بكـ ـرٍ كما قد نرَاكَ بالأبصارِ

وكأنا من حُسْنِ ذكرك في رو ضِ شقيقٍ ونرجسٍ وبهارِ[٣]

وقال الصنوبري يستهدي مسكاً:

---

(١) دعبل الخزاعي، **شعر دعبل الخزاعي**، ص ص١٩١-١٩٢.

(٢) الخالديان، **الديوان**، ص٢٧.

(٣) الصنوبري، **الديوان**، ص ٧٥.

وَالمِسْكُ أَشْبَهُ شَيءٍ بالشَّبابِ، فَهَبْ بعضَ الشَّبابِ لِبَعْضِ المعشرِ الشّيبِ[١]

هذا فقد كرر الشاعر حرف الشين في البيت مما زاد في الجرس الموسيقي نغمة موسيقية مناسبة، فإذن فقد يؤدي تكرار الحروف دوراً عظيماً في الموسيقى اللفظية فقد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر.

وقال أيضاً الصنوبري يستهدي أبا العباس الرشيدي فصّاً:

أبا العباسِ يا شمسَ الـ عُلا من آلِ عبَّاسِ

أيا ابن الخلفاءِ الكا شفينَ البؤسَ بالباسِ

ويا بانيَ أساسِ عُلا من فوقِ آساسِ[٢]

استخدم الشاعر الصنوبري حرف السين بكثرة فجاء منسق مع القافية وأضفى عليها جرساً موسيقياً لجلب انتباه المستهدي خاصة أن كنيته تنتهي بالسين (أبو العباس) فحرف السين يعطي نغمة موسيقية خاصة مما جاءت مناسبة لموضوع القصيدة.

قد تأتي الموسيقى أحياناً هادئة يظهر من خلالها الحزن ويتضح ذلك من قول بشار بن برد:

ألا يا حبذا واللهِ من أهدى لي العِطْرا

وَمَنْ أهدَى لي الريحا نَ قَدْ شَابَ به سِحْراً[٣]

فقد ذكر الهدية في معرض غزله لمحبوبته ذلك أن وصف لها بأنها مهديته العطر يضفي على النص – كما يبدو جمالاً ورونقاً فهو متيم بها لكنها لا تنيله مراده من وصلها وأن حبها قد أبلى جسمه الأمر الذي أدى به لإظهار موسيقى حزينة هادئة، وقد يلاحظ أيضاً من استخدام ابن الرومي العبارات الإنشائية من نداء وأمر في طلب كساء من أحد الأشخاص، الأمر الذي يوحي بحدة الخطاب وشدته فيقول ابن الرومي:

أعاذَكَ الله من حالٍ لا تُماطِلُني لضيقِها بكِساءٍ تافِهِ الثَّمن[٤]

---

(١) الصنوبري، **الديوان**، ص ٣٩٨.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٥٣.

(٣) بشار بن برد، **الديوان**، ج٣، ص ٢١٥.

(٤) ابن الرومي، **الديوان**، ج٦، ص ٢٤٤١.

يلاحظ الحدة والعنف مع موسيقيا بحر البسيط التي تساعد على إثارة هذه الحدة ثم إنه يتبع ذلك بالطلب منه ألا يطيل حتى يعطيه الكساء الذي يطلبه من ذلك الكساء تافه الثمن.

أن القافية لها دور في تحقيق الموسيقى إلى جانب الجناس ويظهر ذلك في قول أبي علي البصير يستهدي بخوراً من أحد الأصدقاء مستخدماً قافية الراء المكسورة التي توحي بتواضع الشاعر واستحيائه لدى طلبه البخور، مع ما يحدثه الجناس الناقص من موسيقا داخلية متناغمة في ثنايا الأبيات، يقول:

يا شقيقي ويا خليلي إباءً المرجّى لكلّ خَيْر وفيرِ

أَنْتَ مِنْ أطيب الأنام بخوراً غَيْرَ أني شممته عند غيري

وهو جمٌ لَدَيْكَ فابْعَثْ بدُرْجٍ مِنْهُ إن لَمْ أكن تعديتَ طوري[1]

---

(١) البشير المجدوب، **الظرف بالعراق في العصر العباسي فيما بين القرنين الثاني والرابع للهجرة**، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، د.ت طبعه، ص ١٩٢.

الخاتمة :

مما تقدم في هذا البحث، توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج يمكن الحديث عن أهمها فيما يأتي:

أولاً: في العصر الجاهلي لا يكاد المرء يلمس في الشعر الجاهلي أشعاراً قيلت بمناسبة تقديم الهدايا سوى إشارات بسيطة جداً.

ثانياً: أما في صدر الإسلام فقد ازدهر شأنها بعد سنّ رسول الله ﷺ قبول الهدية، وندب إلى تبادلها.

ثالثاً: في العصر الأموي تطورت وازدهرت قياساً بالعصر الجاهلي حتى أصبحت عادة دائمة وسنة حميدة حتى في المناسبات الاجتماعية والدينية والسياسية.

رابعاً: في العصر العباسي قد ازداد تطور الهدايا وذلك بسبب نمو المجتمع وتحضره فقد لقيت الهدايا نشاطاً ملموساً أكثر فأكثر في العصر العباسي وكانت العادات جارية في أن تهادي العامة والخاصة ضروباً وألواناً من الهدايا المختلفة كالأطعمة والأشربة، والملابس، وأدوات الزينة والحيوانات والطيور، فضلاً عن الهدايا الرمزية كالزهور والورود والرياحين والعطور والألطاف والتحف العينة.

خامساً: تلعب الهدايا دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية عند كثير من الأمم ولم تكن مقتصرة على الهدايا المادية فحسب بل هناك هدايا معنوية.

سادساً: لم يقتصر وصف الهدية على العادات الاجتماعية والطقوس والمعتقدات في العصر العباسي بل أيضاً تناول وصف الهدية الأطعمة السائدة في العصر العباسي والجوانب الاجتماعية.

سابعاً: أصبحت الهدية وسيلة للاعتذار حتى أصبح نوعاً يتسم بعضه من الهدايا المعنوية.

ثامناً: وقف الشعراء من الاعتذار موقفين أحدهما فكاهي والآخر عتابي.

تاسعاً: ترد الهدايا لأسباب معنوية أو مادية أو لعيوب لا سيما في إهدائها غرضه التعريض والسخرية والنقد والشتم والعتاب.

عاشراً: لجأ الشعراء في طلب الهدية بأساليب لطيفة فكهة حتى ينالوا ما يطلبونه ويستخدمون في طلب الهدية بغرض المدح من جانب وبالاستهداء من جانب آخر.

الحادي عشر: عكف الشعراء على طلب الخمرة واستهدائها لأن الناس في العصر العباسي أسرفوا في تناول الخمرة.

الثاني عشر: كان الوصف انعكاساً للصور الجميلة كصورة المجتمع التي تكشف عن الثراء والترف ووصف الهدية يعكس مشاعر المهدى إليه نحو الهدية.

الثالث عشر: اتسم شعر الهدايا بخصائص أسلوبية وفنية مميزة تحمل ألواناً من الفن التي تدل على مقدار ما وصل إليه الشعراء من دقة ومهارة في الألفاظ وبروز المحسنات البديعية.

الرابع عشر: أن شعر الهدايا جاء على معظم البحور الشعرية المعروفة وقد كان البحر الكامل أكثر البحور الشعرية استخداماً ودوراناً.

الخامس عشر: إن شعر الهدايا قد نوّعوا في قوافيهم فلم يقصروها على حروف معينة، وإنما جاءت شاملة.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- الأبشيهي، شهاب الدين محمد أحمد أبي الفتح (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م) **المستطرف في كل فن مستظرف**، ط١، دار الأضواء، بيروت، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٣- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، **الأغاني**، الهيئة العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، د.ت.

٤- البحتري، أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شلال بن جابر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، **الديوان**، حققه وشرحه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٥- البخاري، الإمام الحافظ، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/ ٢٠٤٢م)، تحقيق: أحمد محمد الشاكر، دار الجيل، بيروت.

٦- بشار بن برد (ت ١٦٦هـ/ ٧٨٢م)، **الديوان**، شرحه وعلق عليه: محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٧- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، **الديوان**، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، ط٢، دار المعارف بمصر.

٨- التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م،.

٩- الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **آداب الملوك**، تحقيق: جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٠- الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١١- الثعالبي، **اللطائف والظرائف**، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٢- الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

١٣- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، **المحاسن والأضداد**، نشره: عاصم عتياتي، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

١٤- جحظة البرمكي، أبو الحسن، أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)، **الديوان**، تحقيق: مزهر السوداني، مطبعة النعمان، النجف، ط ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٥- جرير بن عطية الخُطفي (ت ١١٤هـ/ ٧٣٣م)، **الديوان**، شرح : محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان أمية طه، دار المعارف، القاهرة.

١٦- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر علي (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، دار القاموس الحديث، بيروت، د.ت.

١٧- الحصري، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م)، **زهر الآداب وثمار الألباب**، القسم الأول، علق عليها قاسم محمد وهب، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية، دمشق، ١٩٩٦م.

١٨- الحلاج، أبو المغيث، الحسين بن منصور البيضاوي (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م)، **الديوان**، صنعه وأصلحه: أبو طريف الشيبي كامل مصطفى بن محمد حسين الكاظمي، ط٢، بغداد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٩- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، **التذكرة الحمدونية**، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٠- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٢١- **الخالديان**، أبي بكر محمد وأبي عثمان بن هاشم الخالدي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) و(ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)، جمعه وحققه: سامي الدهان، دمشق، (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م).

٢٢- الخباز، **شعر الخباز البلدي**، تحقيق: صبيح رديف، ط١، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، بغداد، مطبعة الجامعة.

٢٣- دعبل الخزاعي، دعبل بن علي بن رزين بن سليمان (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)، **شعر دعبل بن علي الخزاعي**، صنعه: عبد الكريم الأشتر، ط٢، دمشق، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٢٤- أبو دلامة زند بن الجون (١٦١هـ/ ٧٧٧م)، **الديوان**، نشره: إميل بديع يعقوب، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، دار الجيل، بيروت.

٢٥- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، **مختصر الصحاح**، ط١، ١٣٩٨، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة النوري، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٦- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، **مجمع البلاغة**، تحقيق: عمر عبد الرحمن الساريسي، مكتبة الأقصى، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٢٧- الراغب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء**، دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

٢٨- ابن رشيق، أبو الحسن بن القيرواني (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: النبوي عبد الواحد شعلان، ط١، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٩- ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ت ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م)، تحقيق: حسين نصار، د.ت.

٣٠- الزبيدي، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف، **مختصر صحيح البخاري**، التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح، ط١، دار النفائس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣١- ابن الزبير، القاضي الرشيد، أبو الحسين أحمد بن الرشيد، من أهل القرن الخامس الهجري، **الذخائر والتحف**، تحقيق: محمد حميد الله، منشورات وزارة الإعلام، ط٢، الكويت، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٣٢- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، تحقيق: سليم النعيمي، دار الذخائر للمطبوعات، قم، (١٣١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٣٣- الزوزني، أبو محمد عبد الله بن محمد العبد لكاني، **حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء**، تحقيق: محمد بهي الدين بن محمد سالم، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتاب العربي، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٣٤- السري الرفاء، أبو الحسن، السري بن أحمد الكندي (ت ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م)، **الديوان**، تحقيق ودراسة: حبيب حسين الحسني، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، د.ت.

٣٥- سعيد بن حميد، أبو عثمان، سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤هـ)، **رسائل سعيد بن حميد وأشعاره**، تحقيق: يونس أحمد السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١م.

٣٦- السلامي، أبو الحسن، محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي، **شعر السلامي**، جمع وتحقيق: صبيح رديف، مطبعة الإيمان، بغداد، د.ت.

٣٧- سلم الخاسر، سلم بن عمرو مولى بن تيم بن مرة (ت ١٨٦هـ/ ٨٠٢م)، **الديوان**، تحقيق: نايف محمود معروف، ط١، ٢٠٠١م، دار الفكر العربي، بيروت.

٣٨- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **نيل الأوطار، منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار**، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الحديث، القاهرة.

٣٩- الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: هلموت ريتر ورفاقه، ط٢، فرانز شتايز بفيسبادن، شتوتكارت (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٤٠- صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م)، **شرح ديوان الغواني**، حققه: سامي الدهان، ط٣، دار المعارف.

٤١- الصنوبري، أحمد محمد بن الحسن الضبي (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، **الديوان**، تحقيق: إحسان عباس، ط١، ١٩٩٨م، بيروت.

٤٢- الصولي، أبو بكر، محمد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ/ ١٩٤٧م)، **أخبار البحتري**، تحقيق: صالح الأشتر، ط٣، دار الأوزاعي.

٤٣- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، **تاريخ الأمم والملوك**، علق عليه وراجعه وصححه وطبعه نخبة من العلماء الأجلاء، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٤- ابن طيفور، أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، **بلاغات النساء**، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٤٥- العباس بن الأحنف، أبو الفضل، العباس بن الأحنف بن حنيفة (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، **الديوان**، دار صادر، بيروت، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م). ط (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م)

٤٦- العباسي، عبد الرحيم بن علي (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م)، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٤٧- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، **العقد الفريد**، تحقيق: أحمد أمين ورفاقه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).

٤٨- عبد الصمد بن المعذل، **شعر عبد الصمد بن المعذل**، حققه: زهير غازي زاهد، مطبعة النعمان، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

٤٩- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)، **الديوان**، عمر فاروق الطباع، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٥٠- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، **الفروق اللغوية**، ضبطه وحققه: حسام الدين القدس (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، مكتبة القدس.

٥١- العسكري، **ديوان المعاني**، عالم الكتب، د.ت.

٥٢- العكوك، علي بن جبلة (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، **شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوك**، تحقيق ودراسة: أحمد نصيف الجنابي، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، (١٣٩١م/ ١٩٧١م)، د.ت.

٥٣- علي بن الجهم، أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشي (ت ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)، **الديوان**، تحقيق: خليل مردم بك، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٥٤- أبو الفتح البستي، علي بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي، (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، **الديوان**، تحقيق: دراية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

٥٥- أبو فراس الحمداني، أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدون (ت ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م)، **الديوان**، رواية أبي عبد الله بن خالويه، دار بيروت، (١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م).

٥٦- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **عيون الأخبار**، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.

٥٧- القرطاجني، حازم بن محمد (ت ٦٨٤هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجه، تونس، ١٩٦٦م.

٥٨- القرطبي، أبو عمر، يوسف بن عبد الله محمد بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٩٨١م، القاهرة.

٥٩- القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ويوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٦٠- كشاجم، أبو الفتح، محمود بن الحسين بن السندي بن ساهك المعروف بكشاجم (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، **الديوان**، تحقيق: خيرية محمد محفوظ، مطبعة دار الجمهورية، بغداد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

٦١- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، **الكامل في اللغة والأدب**، حققه وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، د.ت.

٦٢- المتنبي، أبو الطيب، أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، **الديوان**، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

٦٣- مجنون ليلى، قيس بن الملوح بن مزاحم بن ربيعة (ت ٦٥هـ/ ١٠٤٢م)، **الديوان**، تحقيق: مجيد طراد، ط١، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، عالم الكتب.

٦٤- ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن المعتز بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)، **الديوان**، تحقيق: يونس أحمد السامرائي، ط١، عالم الكتب، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٦٥- ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل المعروف بابن منظور، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، قدم له: عبد الله الغلايلي، إعداد وتصنيف : يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت.

٦٦- أبو نواس، الحسن بن هاني (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، **الديوان**، حققه: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦٧- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: الباز العريني، عبدالعزيز الأهوائي، الهيئة المصرية العامة، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٦٨- الوأواء الدمشقي، أبو الفرج، محمد بن أحمد الغساني (ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)، تحقيق: سامي الدهان، ط٢، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، دار صادر، بيروت.

٦٩- الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق يحيى (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٦م)، **المشي أو الظرف والظرفاء**، دار صادر، بيروت.

٧٠- الوطواط، أبو إسحاق، برهان الدين الكتبي (ت ٧١٨ هـ/١٣١٨م)، **غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة**، دار صعب، بيروت، د.ت.

ثانياً: المراجع

١- الأطرقجي، واجدة مجيد عبد الله، **المرأة في أدب العصر العباسي**، دار الرشيد، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

٢- الحديثي، بهجة عبد الغفور، **أمية بن الصلت، أمية بن أبي الصلت بن عوض بن عقدة بن عنترة بن قيس (ت ٨هـ)، أمية ابن أبي الصلت حياته وشعره**، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة.

٣- أنيس، إبراهيم، **المعجم الوسيط**، ط٤، ١١١٢هـ/ ١٣٧٢م، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية.

٤- أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، ط٥، ١٩٨٤م، مكتبة الأنجلو المصرية.

٥- بابتي عزيزة فوّال، **الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي**، ط١، ١٩٨٦م، دار الشمال، طرابلس، لبنان.

٦- جابر، سعود محمود، **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ط١، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧- الجبوري، يحيى، محمد بن عبد الملك الزيات، **سيرته، وأدبه، تحقيق ديوانه**، دار النشر، عمان، ط١، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٨- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **لطائف قرآنية**، ط١، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، دار دمشق.

٩- خريس، حسين، **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد بين أبي نواس ومعاصريه**، مؤسسة الرسالة.

١٠- دراسه: محمود، **ابن أبي عون وكتابه التشبيهات**، إربد (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

١١- الدروبي، محمد محمود، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ١، دار الفكر، عمان، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

١٢- الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ط٢، مكتبة الكتاني، إربد، ١٩٩٥م.

١٣- زايد، عبد الرزاق أبو زيد، **علم البديع، نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ**، مكتبة الشباب، د.ت.

١٤- السامرائي، يونس أحمد، **شعراء عباسيون**، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية.

١٥- سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر العباسي منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث**، دار المعارف.

١٦- أبو سويلم، أنور عليان، **الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول**، دار العلوم، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

١٧- شريف، محمد أبو الفتوح، **أوزان الشعر وقوافيه**، مكتبة الشباب.

١٨- شكور، جورج، **كتاب البيان**، ط١، ١٩٩٢م، دار الفكر اللبناني، بيروت.

١٩- شلبي، سعد إسماعيل، **الشعر العباسي التيار الشعبي**، مكتبة غريب.

٢٠- الشيخ، عبد الواحد حسن، **دراسات في علم البديع**، مكتبة ومطبعة الإشعاع العنيه، د.ت.

٢١- صالح، محمود عبد الرحيم، **فنون النثر في الأدب العباسي**، وزارة الثقافة، عمان، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٢٢- صبح، علي، **البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر** (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث.

٢٣- الصمد، واضح، **ديوان الأمين والمأمون**، ط١، ١٩٩٨م، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٤- الصياد، فؤاد عبد المعطي، **النوروز وأثره في الأدب العربي**، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٢م.

٢٥- ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (١٣٩٢هـ/ ١٩٦١م).

٢٦- عابدين، سامي، **في الأدب العباسي (قصر المأمون وأثره على العصر)**، ط١، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، دار النهضة العربية، بيروت.

٢٧- عابدين، سامي، **الاتجاهات الأدبية في قصر المأمون**، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان.

٢٨- عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)**، ط٢، دار الفرقان، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٢٩- عتيق، عبد العزيز، **في البلاغة العربية**، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

٣٠- عطية، عبد الهادي عبد الله، **ملامح الأدب في العصر العباسي الأول** (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، مكتبة بستان المعرفة.

٣١- أنور أبو سويلم، **أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، دراسة في حياته ونثره وشعره ونوادره وأخباره ومروياته**، ط١، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، دار عمار.

٣٢- فاخوري، محمود، **موسيقا الشعر العربي**، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب (١٤٠٦هـ/ ١٤٠٧هـ)/ (١٩٨٦م، ١٩٨٧م).

٣٣- فاخوري، حنا، **الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم**، دار الجيل، لبنان، ١٩٨٥م.

٣٣- كعب بن زهير (ت ٢٤هـ/ ٦٤٤م)، شرحه: عمر فاروق، الطباع، دار الأرقم.

٣٤- المجدوب، البشير، **الظرف بالعراق في العصر العباسي فيما بين القرن الثاني والرابع للهجرة**، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، د.ت.

٣٥- محمد، السيد إبراهيم، **قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي**، ط١، المكتب الإسلامي (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٣٦- المختون، محمد بدوي، **علم العروض والقافية**، مكتبة الشباب.

٣٧- المراغي، أحمد مصطفى، **علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع**، دار القلم، بيروت، لبنان.

٣٨- مروة، علي، **طرائف النساء والجواري**، دار رياض الريسي للكتب والنشر.

٣٩- المطفي، عبد العظيم، **البديع من المعاني والألفاظ**، ط١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، القاهرة، مكتبة وهبة.

٤٠- مهنا، عبد الله الأمير، **الطرب والظرف والنشيد في مجالس هارون الرشيد**، ط١، ١٩٩٠م، دار الفكر اللبناني، بيروت.

٤١- نافع، عبد الفتاح صالح، **الصورة في شعر بشار بن برد**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٣م.

٤٢- الهاشمي، أحمد، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، ط١٢، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٣- وليد، عبد المجيد إبراهيم، **الشعر الهزلي العباسي في نهاية القرن الثالث للهجرة**، ط١، ٢٠٠١م، مؤسسة الوراق.

الدوريات:

المجلات:

١- القضاة، فرحان علي، القيمة الموسيقية للتكرار في شعر الصاحب بن عباد، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، عدد ٥٨، سنة ٢٤ شوال ١٤٢١هـ/ كانون الثاني حزيران ٢٠٠٠م.

٢- الملا، محمد عثمان، الاعتذار في العصر العباسي، **مجلة المنهل**، (الظهران)، العدد ٤٤٧ لسنة ٥٦، مجلد ٥١، جمادى الأول ١٤١٠هـ/ ديسمبر ١٩٨٩م.

٣- الملا، محمد عثمان، الهدية في الشعر العباسي، **مجلة المنهل**، العدد ٤٤٧، مجلد ٤٨، لسنة ٥٣، محرم ١٤٠٧هـ، سبتمبر أكتوبر ١٩٨٦م.

الرسائل الجامعية:

١- الشخشير، لينا عبد ربه خورشيد، **شعر الغزل العذري في العصر العباسي**، رسالة ماجستير اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

Abstract

I introduced in this study gift poetry in Abasian age until the end of fourth century in art form and litrary. Caring toward gifts appear in old times, but it is flounshed in Abasian age, it is started in caring about gifts before Islam, through caring in an emergence of civilisation such as Ceramic, Jewellery, Cosmetic.

It's not relatively on cosmetics and Jewellery but it is included a lot of things either valuable or cheap.

This study consisted of three semesters, at first semester I took the concept of gift and the difference between gift and present and barter, I talked about presents in other nations and gifts in Islamic and Ummayad age.

I explained In this study the relation of gifts in Islamic, Persian, and social ocaassion.

In second semester, I introduced the subjects of gift poetry, accept of gift or refused , thankful on gift ... ect.

In third semester, I introduced an art study to gift poetry from style. Especially, comprehension methods such as:

Imperatives, calling and repetition, colorful, coherence, antynom, synonym and music, the pronunciation and meaningful rhyme and rhythm.

The results of this study:

In Al Jahili poetry just simple glimps but in Islamic age, it is flourished after our prophet urges us to accept gift. In abasian age, it is used widely.

It is customary habits to replace gifts, such as meals, Juice, clothes and others.

The description is in contrast to beautiful picture to the Luxurious life they live.

Gift's poetry has special methods, it has different colorful in arts that express the skilful of poetry in pronunciation and figurative language. It includes different rhythm in rhyme.

Researcher

Adnan Harahsheh